

# الكتبة

٨٤

8030

لثقافة الإنسانية والتقدم .

الكتاب

العدد

العدد والثامنون

سنة ١٩٨٧

- ١١٧ عام على ميلاد لينين ، افكار

حية ومبادئ خالدة .

- حملة صليبية " ضد الارهاب "

- الاتجاهات العامة في تطور الاقتصاد

الاسرائيلي .

- الاوضاع الصحية في قطاع

غزة .

- تقييم الموارد البشرية

الفلسطينية ، التعليم العالي والقوة

البشرية .

- هنري ونستون ، خالد ابداء في

ضمير الطبقة العاملة .

- العلنية ، الديمقراطية ،

المسؤولية .

- غوركي عاش معاناة شعبية وبشر

بانتماء الاشتراكية .

- تاريخ الحركة الشيوعية المصرية

١٩٥٧ - ١٩٦٥ للدكتور رفعت

السعيد .

أوضاع صحية متردية في قطاع غزة

# AL-KATEB

For human culture  
and progress

Editor -

Asa'd Al-Asa'd

P.O.Box 20489

Jerusalem

Tel: 856931

ماجدا دينا - المجلد  
للسنة  
القدس

الكاتب  
للثقافة الإنسانية والتقدم

رئيس التحرير

أحمد الأرملة

مدير التحرير : نظام غطاي

مجلس التحرير

الابنية الكات :

بالعدد أربعمائة وثمانين سنة واربعة

محتيا ٢٠ دولار

بلدان أخرى ٤٠ دولار

المؤشرات

المحتية ٥٠ دولار

بلدان أخرى ١٠٠ دولار

بسام الصالحي تيسير العاروري

جميل السلاحي د. مهدي عبد الله

فضل البورنو محمد البطروري

محمود الشيخ

صفحة محتاج : جبريل أبو غرير

المراسلات :

الكاتب - حق : ٢٠٤٨٩ - القدس

تلفون ٨٥٦٩٣١

توزيع المجلد في القدس بوضع لعمدة قبة

للتدريج المجلد والمجلد إذا لم تنشر

# المحتويات

العدد (٨٤) السنة (٨) نيسان ١٩٨٧ م .

## مبـدأة

- ١١٧ عام على ميلاد لينين ، افكار حية ومبادئ  
خالدة  
١٢ حملة صليبية " ضد الارهاب "
- المكتبة  
١٩٨٧  
Library  
UNIVERSITY
- أ. نور رزقي  
أ. بروفيسور نصير العاروري  
و. جون . ج. كنارول  
ترجمة : محمد البطراوي

## اقتصاد وتنمية

- ٣١ الاتجاهات العامة في تطور الاقتصاد الاسرائيلي  
٤٤ الاوضاع الصحية في قطاع غزة  
٥١ تقييم الموارد البشرية الفلسطينية ، التعليم العالي والقوة البشرية .
- د . سمير عبدالله  
وسمير البرغوثي  
اتحاد لجان الاغاثة  
الطبية الفلسطينية  
د . جميل طاهر  
ترجمة : سمير حليلا

## مداخلات

- ٧٢ هنري ونستون خالد ابداء في ضمير الطبقة العاملة  
٨٧ العلنية ، الديمقراطية ، المسوءولية  
٩٨ غوركي عاش معاناة شعبية وبشر بانتصار الاشتراكية
- محمد البطراوي  
عن انباء موسكو  
د . امينة الخماش

## سبع الكتب

- ١٠٥ تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ١٩٥٧ - ١٩٦٥  
للدكتور رفعت السعيد
- صالح زقوت

الآراء المشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير .

١١٠ قصص قصيرة جدا ، للحرب الرشقة قبل

أن تنام

محمود شقيصر

عمر حمش

١١٥ ازهار الى مقبرة المخيم

## شعر

اسعد الاسعد

عطا الله قطوش

صبحي زبيدي

١١٧ نغمات على وجه الوطن

١١٩ صلاة على سنة الوطن

١٢٣ بشرف امي ، قصيدة باللهجة العامية

## شعر

١٢٤ اخبار ثقافية





١١٧ عاماً على ميلاد لينين

## أفكاره ومبادئه

بقلم : انور رمزي

في الثاني والعشرين من هذا الشهر ( نيسان ) تحل الذكرى ١١٧ لميلاد قائد البروليتاريا العالمية ومؤسس اول دولة للعمال والفلاحين فلاديمير ايليتش اوليانوف - لينين . هذا المفكر والقائد الذي نذر حياته من اجل انتصار قضية الطبقة العاملة والجمهير الشعبية الكادحة ، والذي بفكره وعمله اثار لها طريق الانتصار وسار معها في نضال عنيد الى النهاية المظفرة . وبانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا القيصرية ، وبناء اول دولة اشتراكية للعمال والفلاحين ، دشنت مرحلة جديدة في تاريخ البشرية ، مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .

ومنذ حدثت ، اثارت اوضاع الطبقة العاملة والفلاحين المسحوقين والاضطهاد القسري ، اهتمام لينين الذي كان معجبا في ذلك الوقت باخيه الكسندر اوليانوف ، حيث عرف لأول مرة من خلاله على كتاب رأس المال لماركس . ولذلك فقد كان لاعدام اخيه ، على ايدي السلطة القيصرية بسبب مشاركته في محاولة اغتيال القيصر ، تأثير كبير على لينين ، الا انه في نفس الوقت كان لهذا الحدث تأثيره ايضا في تبلور وتعميق افكاره الثورية ، فقد كتبت أنا اوليازوروف

واختار لينين طريق الماركسية . ومن خلال دراسته المعمقة الخلاقة للماركسية ومطابقتها على الواقع الموضوعي لروسيا ومن خلال تحليله العميق للتجربة العالمية ، تمكن لينين من اعطاء اجابات صحيحة ودقيقة عن ما تحتاج اليه الطبقة العاملة في عهد انهيار الرأسمالية ، اعطى الطبقة العاملة سلاحا نظريا

مات الكسندر اوليانوف

وعلميا يمكنها من الانتصار في معركتها الحاسمة مع البرجوازية وبؤء هلهاء لبناء مجتمع جديد على انقاض مجتمع الاستغلال والعبودية ، لقد اعطى اللينينية للطبقة العاملة العالمية .

ومع ان روسيا كانت موطن ولادة اللينينية الا ان ذلك لا يعني ان اللينينية هي تعاليم روسية محضة كما انها ليست ترجمة روسية للماركسية كما يحاول اظهارها الايديولوجيون البرجوازيون والمحرفون . بل ان اللينينية كما جاء في بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في الذكرى المئوية لميلاد لينين هي " الماركسية في عهد الامبريالية والثورات البروليتارية ، في عهد انهيار النظام الكولونيالي وانتصار حركات التحرر الوطني ، في عهد انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية وبناء المجتمع الشيوعي " . كما ان لينين لم ينظر الى روسيا في معزل عن العالم الرأسمالي بمجمله فقد كتب في عام ١٨٩٩ " اننا نرى في روسيا ايضا نفس عمليات التطور الاساسية للرأسمالية ، ونفس المهام الاساسية امام الاشتراكيين والطبقة العاملة " .

ولا عجب ان مؤلفات لينين هي من اكثر الكتب مبيعا في العالم حيث تجد الطبقة العاملة وجميع المناضلين من اجل حريتهم واستقلالهم دليلا موثوقا لحل قضاياهم ومنازلهم ، لقد تجسدت مبادئ لينين في نضالات الطبقة العاملة وفي المسيرة الصاعدة للاشتراكية وفي تقدم البشرية الاجتماعي المضطرب . فاللينينية هي تعاليم عالمية وجذورها ضاربة عميقا بعق التجربة العالمية

لقد تمكن لينين بعبقريته الفذة من فهم تعاليم ماركس وانجلس والعمل على تطبيقها بشكل خلاق من خلال التحليل الواقعي للواقع الملموس . ولم يعتبر لينين الماركسية علما جامدا بل دليلا للعمل واكد ايضا ان " التحليل الواقعي للوضع الملموس هو الجوهر ، هو قلب وروح الماركسية " . وانطلاقا من ذلك فقد تمكن لينين من تطوير مبادئ الماركسية في مرحلة الامبريالية والوصول الى امكانية انتصار الثورة في بلد واحد او عدة بلدان ، هذا التطوير الذي كان حاسما في التحضير ودفع الثورة وانتصارها في روسيا القيصرية . ومع اخلاصه ومثابرته في النضال من اجل نقاوة الماركسية ضد مختلف اشكال التحريف التي تعرضت اليه ، الا انه في نفس الوقت شدد على الحاجة الى تطوير الماركسية ودفعها الى الامام ولذلك فقد كتب " اننا لا نعتبر الماركسية شيئا مكملا تماما ، بل على العكس فنحن مقتنعون ان نظرية ماركس وضعت حجر الاساس فقط لذلك العلم الذي يجب على الاشتراكيين تطويره من جميع النواحي ، اذا رغبوا في مجارة الحياة " . ان نظرية ماركس تعطي المبادئ الهادية فقط

وانطلاقا من هذا الفهم لمبادئ الماركسية تمكن لينين من تحديد مهام الطبقة العاملة والعمل الدؤوب لتحويلها من طبقة في ذاتها الى طبقة لذاتها وقيادتها لحل قضاياها المصيرية متحديا جميع الصعوبات منطلقا من ثقته غير المحدودة بإمكانات الطبقة العاملة وقدرتها على الانتصار فقد كتب احد اعضاء المنظمة الماركسية في بتيربورغ آنذاك ان " الايمان الراسخ بانتصار الطبقة العاملة ، والفهم العميق

الى اعمال " .

وهكذا كانت حياة لينين مزيجاً من الابداع الفكري والنشاط العملي المثابر لبلورة هذه الافكار في اعمال ثورية . وقد ادرك انه من اجل تحقيق هذه المهمة ومن اجل قيادة الجماهير الشعبية وتعبئتها في الاعمال الثورية لا بد من قيام حزب للطبقة العاملة من نوع جديد قادر على تنفيذ هذه المهمة وقد تمكن لينين بفكره وعمله من اقامة مثل هذا الحزب وقيادته مع الجماهير الكادحة لتحقيق الانتصار . وهذا ايضا اصبح قانوناً عالمياً من قوانين الثورة والضمانة الاكيدة للدفاع عن مصالح الطبقة العاملة وقيادتها لتحقيق اهدافها والانتصار في نضالها من اجل بناء المجتمع الاشتراكي .

لقد اثبت التطور العالمي صحة ما اعلنه لينين في كتابه " مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية " من ان بعض السمات الاساسية للثورة الروسية ليست ذات اهمية محلية وطنية مميزة ، روسية فقط ، بل ذات اهمية عالمية ايضا " . ووضح لينين ان المقصود بالاهمية العالمية " هو القيمة العالمية او الحتمية التاريخية لتكرار ما جرى عندنا ، في النطاق العالمي ، وانه لا بد من الاقرار بهذه الاهمية لبعض السمات الاساسية لثورتنا " ولكنه في نفس الوقت حذر من النقل العفوى والنسخ وشدد على ان كل شعب من الشعوب يساهم بقسطه في تطوير واغناء اشكال جديدة في العملية الثورية وقد ثبتت صحة اقوال لينين في التجربة التاريخية العالمية .

واكد لينين في جميع نشاطاته على اهمية " النظرية الثورية " بدون نظرية ثورية لا

للماركسية ، والقدرة على توظيفها لحل القضايا المعاصرة للجماهير العاملة ، كل ذلك لب لينين احترام ماركسيي بيتربورغ وجنحه قائدهم بدون منازع " .

وكان لينين اول ماركسي في روسيا يحدد بشكل نظري متكامل الدور التاريخي للطبقة العاملة الروسية كقائد وكقوة قائمة في المجتمع وتكافل ضد القيصرية والرأسمالية من اجل تحرير الشعب المستغل ( بفتح الغاء ) ومن اجل انتصار الثورة الاشتراكية في كتابته " من دم اصدقاء الشعب " . كما وضع ولاول مرة ايضا قضية التحالف بين العمال والفلاحين كقوة مفرزة وكشرط اساسي من اجل الاطاحة بالقيصرية وملاك الارض والبرجوازية وبناء المجتمع الشيوعي . ولقد تخطت هذه الافكار حدود روسيا واصبحت من العوامل الاساسية لانتصار اية ثورة اشتراكية او انتصار اية ثورة تحرروني مع ضمان تطورها الى طريق التطور الاشتراكي وقد اثبتت تجارب الحركة الثورية العالمية صحة هذه الافكار عن طريق تطبيقها العملي .

ولم يكتف لينين بالتحليل النظري للاوضاع السائدة ، بل انخرط بكل قوته من اجل تحويل هذه الافكار والنظريات الى قوة فاعلة تعمل على تغيير المجتمع . ولذلك فلعل من المهمات التي تتميز بها التعاليم اللينينية في الوحدة الوثيقة بين النظرية والممارسة الثورية وتأكيدا لذلك كتب لينين ان " الهدف من افكارنا النظرية هو من اجل توجيهنا في نشاطنا الثوري . وان افضل مكان لانتصار هذه الافكار هو ارض المعركة الثورية . بالنسبة للشيوعي فان الاختبار الحقيقي هو منه الواضح كيف واين ومتى يحول ماركسيته



سخلق ظروفًا مواتية لتطور ونجاح الانتفاضات الوطنية وحروب التحرر الوطني من أجل تحقيق الاستقلال للشعوب المضطهدة من الامبريالية

وقد حذر لينين من الاكتفاء بالاستقلال السياسي إذ أن ذلك يشكل تهديدًا حقيقيًا بفقدان هذا الاستقلال حيث أن "رأس المال المالي يشكل قوة جبارة ويمكن القول قوة حاسمة، قوة في جميع مجالات العلاقات المالية والدولية، وهذه القوة قادرة على ممارسة صوحي عمليا تمارس ستأثير حتى على دول تتمتع بأكبر قدر من الاستقلال السياسي" ما اصدق هذه الكلمات، اننا اليوم نشاهد هذا الخطر الذي حذر منه لينين ماثلاً امامنا في نشاط وممارسات الشركات فوق القومية، والاستعمار الجديد، حيث تمكنت من اعادة بعض الدول التي تحررت حديثاً الى تلك السياسة الامبريالية .

ان الضمانة الوحيدة والاكيدة لضمان استقلال هذه الدول، يكمن في بناء قاعدة اقتصادية مستقلة عن الامبريالية، بمساعدة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، وان تأخذ الطبقة العاملة دورها الاساسي في هذا التطور لترتقي به نحو الاشتراكية .

وعبر لينين عن انسانية الاشتراكية عن طريق نضاله من اجل السلام والتعايش السلمي ، هذه المبادئ التي اصبحت تشكل حجر الزاوية في سياسة لدولة السوفياتية الخارجية والتي عبر عنها لينين بأن "نهاية الحروب والسلام بين الامم والقضاء على السلب والعنف، هذه هي مثلنا". ومع معرفته الواضحة بطبيعة الامبريالية العدوانية ووضوح رؤيته للاسباب الحقيقية للحروب والتي

لا يمكن ان تكون حركة ثورية" كما شدد على ضرورة معرفة واستيعاب المبادئ النظرية من كل الثوريين معتمدين على التحليل الموضوعي ليمكنوا من قيادة الاحداث قيادة صحيحة فقد كتب عام ١٩٠٥ اى بعد الثورة الروسية الاولى "والان، وفي عهد الثورة، فأى التباس او غموض او نقص في مبادئ القضايا النظرية يعتبر افلاسا ايديولوجيا كليا . والان اكثر من اى وقت مضى يحتاج الاشتراكي الى دراسة جيدة وجهة نظر عالمية ثابتة، حتى يتمكن من السيطرة على الاحداث لا ان تسيطر الاحداث عليه ."

لقد اثبت تطور حركة التحرر الوطني العالمية صحة التعاليم اللينينية حول القضايا القومية والكولونيالية، فقد اعتبر لينين دائماً نضال شعوب المستعمرات الكولونيالية من اجل الحرية جزءاً مكوناً من نضال البروليتاريا العالمي ضد الاستعمار وعالج هذه المواضيع بصفتها من مكونات قضية الثورة الاشتراكية. ومع بروز المنظومة الاشتراكية والنجاحات التي حققتها وزيادة تقاوم الازمة العامة للرأسمالية كل ذلك زاد من تعميق المحتوى الاجتماعي لثورات التحرر الوطني وانتقال جزء منها حيث تمت هذه الثورات بقيادة احزاب الطبقة العاملة الى الانتقال الى طريق التطور نحو الاشتراكية عن طريق انجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية دون المرور في مرحلة الرأسمالية . ان المساعدات التي يقدمها الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى قد ساعدت بشكل حازم على انتصار ثورات التحرر الوطني وتطورها اللاحق وهذا ما اشار اليه لينين من ان " انتصار الثورة الاشتراكية في بلد واحد او عدد من الدول



فقير وغني، وعلى الجميع ان يعملوا. وسينعم  
بشمار العمل الجماعي ليس فقط حفنة من  
الإغنياء، ولكن الشعب العامل كله. ويجب ان  
تعمل الماكينات والتحسينات الاخرى على  
تسهيل عمل الجميع، وليس لمساعدة قلة  
لتغنى على حساب ملايين ومئات الملايين  
من البشر. وهذا المجتمع الجديد والاحسن  
يدعي المجتمع الاشتراكي والتعاليم حول هذا  
المجتمع تدعى الاشتراكية". ولكن هذه  
البساطة كانت بحاجة الى عبقرية لينين لوضع  
المبادئ الاساسية والقوانين الحتمية الضرورية  
لتطور المجتمع والتي وقع على عاتق الحزب  
الشيوعي السوفياتي من بعد لينين مهمة تطويرها.  
لتواكب تطور الحياة الجديدة. ان بناء  
الاشتراكية كما اعتبره لينين " هدف عظيم  
ولمثل هذا الهدف يستحق ان يهب الانسان  
حياته كاملة ". وهكذا فعل لينين فحتى وهو  
على فراش المرض الذي تحمله كما ذكرت  
كروبسكايا " وهو نشيط مثلما تحمل السجن في  
السابق"، كان جل همه منصب على استكمال  
بعض القضايا الضرورية والمستعجلة ولذلك فقد  
سأل طبيبه عند تعرضه للإصابة بالرصاصة  
الغادرة "هل ستكون النهاية قريبا؟ اذا كان  
الامر كذلك اخبرني لكي لا اترك بعض الامور  
بدون تنفيذ ". وهكذا تمكن لينين من على  
فراش المرض من انجاز الكثير والذي ضمنه في  
العديد من الرسائل الطويلة وخمس مقالات  
نشرت في جريدة البرافدا والتي يمكن  
اعتبارها وصية الوداع السياسية وكان من  
اهمها "رسالة الى الموءتمر".

تعتبر حياة لينين ونشاطه العملي درسا  
ملهما لجميع المناضلين الثوريين في العالم.  
يستلهمون منها العبر في نضالهم المشابر

ومعها محروب بين اللصوص الرأسماليين  
لتقسيم الفنائم المنهوبة، فقد كان اول مرسوم  
للسلطة السوفياتية هو مرسوم السلام، السلام  
المبادل دون الحاق او مصادرة، وكان كذلك  
اول من طرح امكانية التعايش السلمي بين  
الاشتراكية والرأسمالية ودعا الى المباراة بين  
النظامين معربا عن ثقته الاكيدة بأن النصر في  
هذه المباراة سيكون لصالح الاشتراكية حتما.

ومثلما لقيت سياسة لينين السلمية  
المعارضة الشديدة من الامبرياليين ومن  
الدخيلين على الماركسية كذلك تجد الان  
سياسة القيادة السوفياتية اللينينية ومبادئها  
المتعددة من اجل توطيد السلام واقامة عالم  
خال من اسلحة الدمار النووية ووسائل نقلها  
وبذلك تجنب البشرية لخطر الابداء النووية  
، نجد هذه السياسة مقاومة من الاوساط  
الامبريالية واحتكارات انتاج الاسلحة وبعض  
الارباط اليسارية المتطرفة. وقد علم لينين  
انه مع بقاء الرأسمالية الامبريالية تبقى  
الاشكالية متوفرة لشن الحروب حيث " لا يمكن  
القضاء على الحروب نهائيا ما لم يتم القضاء  
على الطبقات وتحقيق الاشتراكية". ولكن وفي  
ظروف وجود النظامين الاجتماعيين الاشتراكية  
والرأسمالية، وبفضل قوة وجبروت المنظومة  
الاشتراكية والانجازات التي حققتها على كافة  
الامدة وبفضل تطور حركة السلام وتحولها  
الى حركة جماهيرية واسعة، اصبح بالامكان ردع  
القوى الامبريالية ولجم عدوانيتها

" وقد تمكن لينين خلال حياته القصيرة  
من وضع المبادئ الاساسية لبناء المجتمع  
الاشتراكي، وحدد ببساطة فائقة معالم المجتمع  
الاشتراكي الحديث حيث قال " اننا نعمل من  
اجل اقامة مجتمع جديد بنظام افضل، وفي  
هذا المجتمع الجديد والافضل سوف لن يوجد

للدفاع عن مصالح الطبقة العاملة وجماهير الكادحين، المدافعين بحزم عن حرية واستقلال الشعب العامل والمثابرين في نضالهم الى النهاية من اجل القضاء على استغلال الانسان لاخته الانسان وبناء مجتمع جديد خال من الظلم الاجتماعي والطبقي .

ولعل من اهم الدروس المستوحاة من حياة لينين هو ايمانه الراسخ بدور الطبقة العاملة وقدرتها الاكيدة على تغيير المجتمع مستلهما في ذلك مبادئ التعاليم الماركسية التي كشفت عن حقيقة هذا الدور واثبتت علميا ان هذه الطبقة المظلومة هي بانية المستقبل الوضاء للبشرية جمعاء .

ان ايمان لينين الذي لا يتزعزع بدور وقوة الطبقة العاملة جعله يكرس كل حياته الفكرية والعملية من اجل توعية هذه الطبقة بدورها الحقيقي وقيادتها نحو تحقيق هذا الدور وصولا الى اقامة سلطة البروليتاريا .

وعمل لينين بدون كلل من اجل اطلاق هذه القوة التي لا تقهر عن طريق توعيتها بحقوقها وبالدور المنوط بها تاريخيا لتغيير المجتمع وبناء الاشتراكية وقد خاض في سبيل ذلك معارك عنيفة ضد جميع اشكال التحريف المحلي في روسيا وفي الاقطار الاوروبية التي حاولت انقاص هذا الدور او جعله تابعا لدور البرجوازية ممثلين ذلك بقلة عدد البروليتاريا او بان المرحلة هي مرحلة التطور الرأسمالي في روسيا وان الطبقة العاملة سيجيء دورها بعد ذلك . وقد تمكن لينين من خلال مناقشاته المفصلة والمدمعة بالحقائق ليس فقط الرد على طروحات المحرفين والانتهازيين وازهار سخفها وضاليتها وبعدها عن النهج الماركسي الثوري، بل تمكن خلال هذه

المناقشات العلمية الواضحة من وضع الاسس الكفيلة بتحويل الاشتراكية الديمقراطية الى حركة علمية ثورية قادرة على القيادة الواعية للحركة العمالية الجماهيرية وتوجيهها في الطريق الصحيح، طريق النضال من اجل تغيير المجتمع .

وكرس لينين ثقته بدور وقوة الطبقة العاملة في العمل على تحرير هذه القوة من القيود ودفعها للنضال الجماهيري الطبقي السياسي . وقد رأى من اجل ذلك ضرورة وجود قيادة واعية لهذه الطبقة لتوجيهها وتقود نضالاتها، ورأى في ذلك تشكيل حزب من طراز جديد، حزب للثورة الاجتماعية وليس حزب " ديمقراطي للاصلاحات الاجتماعية".

وقد اوضح لينين ضرورة تشكيل حزب ثوري للطبقة العاملة في كتابه " ما العمل " من اجل انتهاء المرحلة التي سادت آنذاك في الحركة الاشتراكية الديمقراطية ومن اجل " بدء مرحلة ثورية حقيقية، ماركسية حقيقية تقود الطبقة العاملة الى التخلص من جميع قيودها وليس تحسين ظروف استغلالها واجراء بعض الاصلاحات على وضعها ؟

ورأى لينين بشكل واضح امكانية البروليتاريا على قيادة جميع الفئات الكادحة الاخرى وبشكل خاص الفلاحين، فلذلك وضع ولاول مرة قضية التحالف بين العمال والفلاحين كقوة مقرر وكشرط اساسي للقضاء على المجتمع القديم وبناء المجتمع الاشتراكي الجديد .

وعمل لينين على تكريس وحدة حزب الطبقة العاملة فكريا وتنظيميا وسياسيا كما شدد على الانضباط واهميته لقيادة البروليتاريا

العنف ووضع الاسس لبناء المجتمع الاشتراكي الحديث .

ويثبت تطور الحركة الثورية صحة التعاليم اللينينية عن دور وجبروت الطبقة العاملة التي تقف في الصفوف الاولى من النضال المثابر في جميع المجالات ففي الدول الاشتراكية تقود الطبقة العاملة النضال من اجل تطوير الاشتراكية وتحقيق المزيد من الانجازات ، وفي الدول الامبريالية تناضل من اجل كبح جماح العدوانية الامبريالية والاستغلال الرأسمالي ، وتكون الطبقة العاملة في النضال الوطني التحرري بالرغم من كونها طبقة ناشئة وقليلة العدد الطبقة الوحيدة الثابتة على المبادئ والمثابرة في النضال من اجل التحرر والاستقلال وبناء الاشتراكية .

ومن العبر الاساسية المستوحاة من حياة لينين وعمله الثقة الكبيرة بال جماهير والعمل الدؤوب من اجل كسبها الى جانب الثورة . لقد عمل لينين دائما وعلم الحزب ان يعمل بثبات لكسب الجماهير وتوعيتها وتنظيمها وكان يكرردائما " ان النصر يعود لـ"ولئك الذين يثقوا بالشعب" . كما اكد ان كسب الجماهير يمكن فقط عن طريق التفاني في خدمتها والدفاع عن مصالحها وليس بالحديث المنمق ، وانما يجب ان تقتنع الجماهير بتجربتها الخاصة وفهمها العميق لمبادئ الثورة حتى يمكنها التضحية من اجلها والدفاع عنها ، وفي احدى المرات اجاب لينين لمن قالوا له ان خطابه سهل الفهم " في الوقت الذي اعتلي فيه المنصة ، خطيبا ، فانت دائما افكر ان العمال والفلاحين هم الذين يسمعونني . وانا اريد ان يفهموني . ليس مهما اين يتحدث الشيوعي ، بل دائما

وجد في كتابه " مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية" قضية الانضباط حيث كتب " بم بوط انضباط حزب البروليتاريا الثوري ؟ وبم بجرى تجربته ؟ وبم يدعم ؟ اولا بوعي الطبقة البروليتارية ووفائها للثورة وبثباتها ورباطة جأشها وبطولتها وروح التضحية بالذات عندها . وثانيا باستطاعتها الترابط والتآزر ، واذا شئتم الاندماج لحد ما ، مع اربع جماهير الكادحين وفي المقام الاول مع جماهير البروليتاريا وكذلك مع الجماهير الكادحة غير البروليتارية . وثالثا بصواب القيادة السياسية التي تقوم بها هذه الطليعة بوضحة استراتيجيتها وتكتيكها السياسيين ، لئلا تفتن اوسع الجماهير الكادحة بهذه الصفة بتجربتها الخاصة " .

بهذه الثقة بدور البروليتاريا عمل لينين لتحويل الحزب الى قائد جماهيري مائل يعتمد على صحة افكار ومبادئ الطبقة العاملة التي وضعها ماركس وانجلز وطورها لينين نفسه . وتمكن لينين فعلا من تطوير الحزب الى قائد جماهيري ومعتز به ليس البروليتاريا فقط . وهذا ما اهله لان يطلق عليه المدوية الشهيرة في وجه المناشقة وثرهم "يوجد مثل هذا الحزب" ليتولى السلطة في الوقت الذي انكر فيه زعماء المناشقة امكانية اى حزب لتوليها .

لقد تحققت ثقة لينين بالطبقة العاملة ، فقد تحولت هذه الطبقة بفضل قيادة حزب لينين الحكيم الى قوة جبارة وتمكنت من تحقيق التحالف القوى مع الفلاحين ولقت عليها وتحث قياداتها جميع الفئات الكادحة وذلك تمكنت من الاطاحة بالنظام القيصرى



عليه التفكير بالشعب والتحدث الى الشعب".  
لقد شدد لينين على التواجد بين الجماهير والتشاور معها وسماع مطالبها حتى يتمكن من التعبير عن مصالحها وحثها على المشاركة في النضال من اجل تحقيق مطالبها هكذا علم لينين الحزب البلشفي، وحتى عندما سارت الجماهير المخدوعة في مسيرة " الاحد الدامي" بقيادة غابون لم يتركهم حزب لينين لوحدهم بل سار معهم لتوعيتهم واطهار المؤامرة امامهم وتعرضوا مثلهم لرصاص جنود القيصر مما زاد ثقة الجماهير بهم وبقيادتهم .

ولينين نفسه كان دائما يجد الوقت للاجتماع بالجماهير وسماع احاديثهم عن احوالهم وعن ما يقلقهم وحتى في اضيء الاوقات اثناء الهجوم على القصر الشتوى وجد لينين الوقت لسماع ما تقوله الجماهير من عمال وفلاحين وجنود .

لقد اكسبته هذه المعاملة وهذه الثقة حب الجماهير وحمائيتها له واعترافها به قائدا دون منازع ولذلك فقد احتشدت الجماهير الغفيرة لاستقباله عند عودته من فنلندا في نيسان ١٩١٧ لتقدم له الولاة ولتستقبله كرئيس دولة بمشاركة العمال والفلاحين والجنود الذين قدموا له التحية .

وزاد اهتمام لينين بالجماهير في المعركة من اجل بناء الاشتراكية فقد انطلق من حقيقة ان " المهتمات والاهداف الرئيسية في البناء الاشتراكي - الاقتصادى والسياسي والاجتماعي والثقافي - يمكن تحقيقها عن طريق تطوير اوسع المبادرات الخلاقة لجميع الشعب العامل .  
عن طريق جر الجماهير العاملة الى ادارة الدولة ."

وهنا ايضا اعتمد لينين على اعطاء المثل للجماهير من اجل قيادتها في بناء الاشتراكية وكان يعلم القادة الحزبيين والاداريين ضرورة اقامة جسور متينة مع الجماهير والا فمن غير الممكن قيادة عشرات وعشرات الملايين من الناس لبناء الشيوعية وعلمهم بعدم الاعتماد بشكل مطلق على حماس الجماهير بل الاستفادة من حماس الجماهير . وحول اهمية المثل الشخصي كتب لينين رسالة الى نائب رئيس مقاطعة ارخانجيل قال فيها " اذا كنا نسي بثبات لتعليم العمال والفلاحين الانضباط . يجب اولاً ان نبدأ بأنفسنا ونكون منضبطين "

لقد كان لينين مثالا للعلاقة بالجماهير والتشاور معها فابان اعلان السياسة الاقتصادية الجديدة عقد لينين سلسلة من الاجتماعات مع الفلاحين غير الحزبيين كما استدعى الى مكتبه ممثلين من مختلف المناطق وفي جميع هذه الاجتماعات كان لينين يستمع الى احوالهم وملاحظاتهم عن السلطة السوفياتية وعملهم ويدون الملاحظات التي جاء بعدها الاعلان عن السياسة الاقتصادية الجديدة التي فتحت افاقا لتطور الاشتراكية وامتنت علاقة جماهير الفلاحين بالسلطة السوفياتية الجديدة . وقد كتب جوركي في ذكرياته عن لينين " انني اعلم انه ( لينين ) يحب الشعب وليس الافكار، وانك لترى امامك كيف كان يهيبء الافكار عندما تتطلب مصالحة الجماهير ذلك " .

وهكذا وبالا اعتماد على الجماهير تمكن لينين وحزبه عن تحقيق الثورة الاشتراكية ومن حمايتها امام الاعتداءات الداخلية والخارجية والتي استهدفت القضاء على الثورة في مهدها



إيليتش لينين» والتي كتب فيها ان الثورة الروسية لولا تأثير لينين لما أخذت هذا الشكل . لقد اغضب لينين هذا المقال وبحته في المكتب السياسي للحزب واتخذ قرارا بادانة مثل هذه المقالات " ان الحياة والتاريخ ليس مسرحا تسلط فيه الاضواء على شخصية واحدة وتبقى الحزب والجماهير صانعي التاريخ الحقيقيين في الظل " .

وقد اقلقت لينين قضية الديمقراطية حتى وهو على فراش المرض واخذ متسابقا مع المرض يضع افكاره ويوضحها في كراس" المهام المقبلة للسلطة السوفياتية" الذي املاه في ربيع ١٩١٨ قال في آخر ما املاه " لقد حان من جديد وقت الانعطاف الشديد ومن الضروري الجمع بين الادارة المركزية المحسنة وتطوير الديمقراطية " .

وضع لينين في مسودة الخطاب الذي كان ينوي القاءه من على منصة مؤتمر السوفييات والذي لم يستطع الا كتابة موجزه ، انه في الفترة الجديدة والطويلة لبناء الاشتراكية" تصبح في طيات الماضي الصيغة العسكرية " يجب" وتحل محلها الصيغة المتحضرة " قد يكون" التي تستلزم التدرج الحكيم والتحليل الشامل لما يجري" . وبصر في مسودة هذا الخطاب على ضرورة تحسين جهاز الدولة بالرغم من تأكده بالاعتراض " من جانب انصار الحفاظ على جهازنا بالشكل غير الممكن واللائق الذي كان قبل الثورة . والذي هو عليه الان " .

وقد جاء في السطر الاول من وثيقة "رسالة الى المؤتمر دعوة لينين الى " عدد من التغييرات في نظامنا السياسي" وربط بين

وهذا ما نراه الان في نشاط وممارسات الحزب الشيوعي السوفياتي الرامي لاطلاق مبادرة الجماهير في تطوير ودفع البناء الاشتراكي .

لقد كانت الديمقراطية مبدأ اساسيا في تعامل لينين في جميع المجالات وحتى عندما كانت الظروف تتطلب انضباطا صارما ومركزية كلية في العمل ، لم يقيم لينين باتخاذ اي قرار يزيد بالنسبة للقضايا الاساسية بل كان يبحث في اللجنة المركزية للحزب وتتخذ القرارات اما بالاجماع او بالتصويت . وكان لينين مضطرا لبرأي الاغلبية وقد حدث ان كان لينين اما في النقاشات الحزبية او في السلطة السوفياتية مع الاقلية . ففي المؤتمر الثاني للسوفييات لم يقبل المؤتمر مشروع لينين حول الارض ووافق على مشروع الاشتراكيين الثوريين والفلاحين والتزام لينين بقرار المؤتمر ونفذه وعلق على ذلك بأن الجماهير سوف تنتقم بتجربتها " يجب ان نفسح المجال امام قدرة الجماهير الخلاقة " .

حدث لينين على تطوير الديمقراطية الاشتراكية الى اعلى حد من اجل جذب الشعب العامل الى العمل الفعلي في حكم البلاد وتمتين العلاقات بين السوفييات والجماهير الشعبية ، ووضح لينين ان الديمقراطية الاشتراكية" تعني ان كل مواطن يجب ان يوضع في المكان الذي يؤوله من الساعمة في بحث قوانين الدولة وانتخاب عليه لاجهزة الحكم وفي تنفيذ القوانين "

ولم تكن ديمقراطية لينين لتسمح له بالتساهل مع جاحلوا ولوبحسن نية من ابرازه شخصا كما فعل غوركي سنة ١٩٢٠ في مقال نشره في مجلة " الاممية الشيوعية" بعنوان "فلاديمير

الكادحين تداس حقوقهؤلاء الكادحين يوميا وبأشكال مختلفة .

ويستعمل الاستعمار الجديد والبرجوازية التي استولت على الحكم في الدول النامية مقاومة الديمقراطية سبيلا لمنع تطور حركات التحرر الوطني والابقاء على الاستغلال الامبريالي والبرجوازي لخيرات هذه الدول .

ان اشاعة الديمقراطية واطلاق طاقات الجماهير الخلاقة هي من الصفات الاساسية للمجتمع الاشتراكي . هذه التعاليم اللينينية التي تعمل القيادة السوفياتية على ترجمتها في الحياة ووضعتها موضع التنفيذ منفذة وصايا لينين من اجل دفع تطور الاشتراكية الى آفاق جديدة .

وأخيرا لا يمكن الادعاء بأن مثل هذه المقالة يمكن ان تغطي او تستوعب التراث اللينيني الفكري ونشاط لينين العملي الذي كرس مرحلة جديدة من مراحل تطور البشرية وانتقالها من الرأسمالية الى الاشتراكية .

هذه التغييرات وتطوير الأوضاع داخل الحزب نفسه اذ اقترح زيادة اعضاء اللجنة المركزية بشكل كبير من العمال "الذين هم اقرب الى العمال والفلاحين البسطاء" وليس تغيير الاماكن من الصف الثاني الى الصف الاول "بل اللجوء بجراة الى الصفوف الاخيرة" .

لقد علم لينين ان ديكتاتورية البروليتاريا هي اكثر شكل من اشكال الدولة ديموقراطية ويكون ديكتاتورية البروليتاريا تمثل الاغلبية فان الاغلبية يجب ان تتمتع بالديموقراطية في القضاء على مقاومة البرجوازية المحتضرة وبناء المجتمع الاشتراكي الجديد .

واكد لينين دائما على ان النضال من اجل الديمقراطية هو جزء مكون من النضال من اجل الاستقلال والتحرر والاشتراكية .

ولا عجب ان نرى ان اكثر ما يميز النظام الرأسمالي هو عداؤه للديموقراطية للجماهير الشعبية فبينما تتمتع حفنة من الاحتكاريين بكل الحقوق والخيرات التي يخلقها ملايين



## حملة صليبية "ضد الارهاب"\*

بقلم : البروفيسور نصير العاروري و جون . ج . كارول  
ترجمة : محمد البطراوي

أبرزت الغارة الامريكية على الجماهيرية الليبية في الرابع عشر من نيسان ( ابريل ) ١٩٨٦ بعدا جديدا واكثر جدية في سياسة الثورة المضادة الامريكية المعروفة باسم " مقاومة الارهاب " ( ١ ) . فقد بين هذا الحادث مدى التصعيد الخطير في سياسة التدخل الامريكية ذلك ان القوة العسكرية للولايات المتحدة استخدمت ضد دولة ذات سيادة . وأشارت هذه الغارة الى ذلك التوجه الجديد الواضح لادارة الرئيس الامريكي نحو موقع " الصقور الاكثر قوة " هذا التوجه الذي يتناقض كليا مع اصراره المعلن سابقا حول " دخان البندقية " ، وليس اكثر دلالة على ذلك مما خلفته تلك الغارة فأحالت بعض البيوت في ليبيا الى اكوام من الهدم ، واصابت اربع سفارات واودت بحياة المدنيين وجرحت الكثيرين منهم . لقد ظهر بجلاء ، بعد هذه الغارة ، ان الولايات المتحدة قد اخذت على عاتقها دور العمل المنفرد ، وعلى الرغم من تحذيرات وتخوف بعض الدول العربية والعديد من دول حلف الناتو ان الرسميين الاميركان ، اصرروا على ان اللجوء الى القوة العسكرية سيكون بعد ذلك متركزا اساسيا في سياسة امريكا الخارجية .

ملكت العلية الموجهة ضد ليبيا اكبر تحول حتى ذلك الوقت في حملة " مقاومة الارهاب " ، واستخدمها ريفان كواحدة من اهم وسائله في تنفيذ سياسته الخارجية ، ففي كل عام كانت الحملة تزداد سعارا ، فيزداد معها اندفاع ادارة الرئيس ، وتزداد حدة النقاشات حولها في المجالس

\* ورقة مقدمة الى اللقاء السنوي لجمعية السياسة لشمال شرقي بوسطن ، ماساتشوسش ، المنعقدة ما بين ١٣ - ١٥ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٨٦ .

الحكومية، الى ان جاء الوقت الذي جعل قضية استخدام القوة العسكرية امرا لا يمكن مقاومته . ادعى وزير الخارجية جورج شولتز ومساعدوه الصقور ان الارهاب صار يهدد الولايات المتحدة بما يسببه من حالة عدم استقرار في مناطق العالم الثالث كالشرق الاوسط وبلدان امريكا اللاتينية ذات الاهمية الحاسمة للمصالح الامريكية، ولذا فان الارهاب هو جزء من مؤامرة دولية تقوم بها تلك الدول التي يمولها ويشجعها الاتحاد السوفييتي، ان شولتز سيعمل ضد هذا " التصميم المتنامي " الذي يقوم به السوفييت ، باللجوء الى القوة العسكرية الامريكية لمنع اعمال الارهاب قبل وقوعها او الثأر لها ان وقعت (٢) .

ان مما يثير السخرية ذلك التناقض في مواقف كل من كاسبار واينبرغر ووزير الدفاع ولجنة الاركان المشتركة الذين نفذوا عملية ضرب ليبيا بالقنابل من الطائرات المغيرة، ذلك الموقف الذي يظهر اكثر تحفظا ، فقد نفى واينبرغر فكرة ان الصقور الاقوياء يهدفون الى الحصول على " المكافأة العاجلة " ودعا الولايات المتحدة الى مراعاة الحذر، وان لا تقدم على عمليات الثأر هذه الا اذا كان هنالك تأكيد مدعم بالوثائق ان مثل هذه العمليات لن تضر بالسكان المدنيين ، على اي حال ، فان سياسة شولتز القائمة على " الدفاع الايجابي " كانت تحتل مرتبة ثانوية في نهاية المرحلة الاولى من رئاسة ريغان ، فقد اثار المؤتمر الذي انعقد عام ١٩٨٤ في معهد جونانان القائم في اسرائيل ، والذي طور فيه شولتز استراتيجيته . بعض النقاش العام حول اخلاقية تعريض حياة الابرياء للخطر في عمليات مقاومة الارهاب ، ويرى الوزير شولتز ان المكاسب من " الحرب ضد الارهاب " كبيرة ، فهي ، كما يرى ، تضمن مستقبل " الديموقراطيات " ، الذي يفترض المخاطرة (٢) .

ان استراتيجية شولتز تتماثل بشكل ملحوظ مع وجهة النظر الاسرائيلية التي تتميز بارادة التظاهر بان اصابات المدنيين ليست الا نتيجة للعمليات الانتقامية الواجب اتخاذها ، كما انها تتميز بانزال اصابات اكثر فداحة من تلك التي حدثت ويجري الانتقام لها ، ان ادارة ريغان كثيرا ما عبرت عن رؤيتها في طريقة مقاومة الارهاب " الاسرائيلية " كنموذج " يجب ان تحتذيه ، وقد دأبت الحكومة الامريكية على الدفاع عن " الانتقامات " الاسرائيلية وضرباتها المسبقة بحجة منع الارهاب قبل وقوعه (٤) . ومثالا على ذلك ، فان الرئيس ريغان وقف كشريك مساند للغارة الاسرائيلية على تونس في تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٨٥ ، تلك الغارة التي ازهقت ارواح ٢٠ شخص من التونسيين والفلسطينيين كعملية انتقام لمقتل ثلاثة اسرائيليين في قبرص ، لقد وصف ريغان هذه العملية بانها " عملية دفاع مشروع عن النفس ، ولم يجد فيها خرقا لقانون تصدير السلاح الذي يحظر استخدام الاسلحة الامريكية المصدرة الى بلدان اخرى في استعمالها لاغراض عدوانية ، وكتناق مع هذا الوضع اخذت الولايات المتحدة الامريكية نفسها في التحرك والاقتراب اكثر واكثر نحو تطبيق سياسة شولتز ، ففي العاشر من تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٨٥ ، اعترضت طائرات حربية امريكية واختطف طائرة مدنية مصرية كانت تقل مختطفين سفينة الركاب الايطالية اكييلي لاورو .

ان قبول الادارة الامريكية غير السليم بما تسميه النموذج الاسرائيلي ، لا يأخذ في الحسبان دور





اسرائيل كبلد يحتل اراض عربية، وعلى الرغم من تباهي مندوب اسرائيل في الامم المتحدة بأن " المهمة الاولى لمحاربة الارهاب هي اضعاف ثم القضاء نهائيا على قدرة الارهابين بالقيام باعمال هجومية " باستخدام القوة رغم هذا التباهي الا ان اسرائيل لم تحقق نتائج باهرة في هذا المضمار، ان احتلال اسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة والجولان وجنوب لبنان قد زاد من اعدائها، وجعل منها دولة عسكرية، واكثر اعتمادا على المساعدات الامريكية، وجعل من الامريكيين هدفا ايضا بمقتهم اصحاب الدعم الرئيسيين للسياسات الاسرائيلية.

وفي الوقت الذي تقوم فيه اسرائيل بمحاربة اعمال المقاومة داخل الاراضي المحتلة بكل شدة وبدون رحمة، الا انها لم تحل دون تحول تلك المقاومة حيانا الى اعمال ارهاب وامتداد ذلك الارهاب الى بلدان اخرى في الخارج. ان مخيمات اللاجئين واهياء الفقر في غزة ولبنان ستستمر في خلق من يمكن تجنيدهم للقيام باعمال العنف، ما لم يوجد حل سلمي للصراع العربي الاسرائيلي. ان النظرية البسيطة القائلة بأن الارهاب يفرخ الارهاب ليست غائبة عن الادارة في واشنطن والتي ترى في اسرائيل معقلا لمقاومة الشيوعية، ومعبرا لصفقات الاسلحة غير الشرعية، ومحفزا لمقولة ريفان بعد حرب فيتنام حول التدخل العسكري الامريكي والمسماة " النزاع القليل الحدة ". ان صليبية مقاومة الارهاب هو المظهر الذي تتجلى به العقيدة الريفانية، والتي تقوم على سياسة اظهار امريكا كقوة يجب ان تؤخذ دائما في الحسبان بعد الفشل في فيتنام، سياسة خلق عدم الاستقرار والاطاحة بالحكومات التي ترى انها جزء او على تقارب من " الامبراطورية السوفيتية " كنفولا وافغانستان ونيكاراغا وبوريا وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية، ومن هنا فان ميزة " النموذج " الاسرائيلي تكمن في ثبوتية العالمية وليس طريقة تنفيذه، ان تطبيق العقيدة الريفانية بخلق نزاع قليل الحدة يقوم على امكانية ان تقوم قوات عسكرية غير امريكية بالحرب، لاطهار البراعة والشجاعة الامريكية دون المخاطرة باستثارة كراهية الرأي العام للمغامرات الحربية الخارجية ودون خرق للقوانين الدولية. ان دور اسرائيل في السياسة الامريكية العالمية يأخذ عدة ابعاد، فهي تستطيع ان تسلح وتطور مجموعات الطابور الخامس، وتستطيع ان تصدر معدات تكنولوجيا القمع، وتستطيع ان تعقد منقذات التسليح والتمويل السرية، بالاضافة الى دورها في اعمال القتال الفعلية.

## " الواقعية الجديدة "

=====

من الواضح ان " ارث التحفظ " الخيالي الذي أطري كثيرا كعبرة من حقبة فيتنام قد تلاشى تماما لصالح معايير المتنادين بالتدخل، والمولعين بتذكر الامجاد السالفة لسياسة جون فوستر دالاس وغيره من مهندسي الحرب الباردة. لقد كان جيمي كارتر واحدا من الرؤساء ممن تورطوا علنا في التدخل في شؤون البلدان الاخرى، وكما اعلن ذلك في رسالته الاتحادية عام ١٩٨٠ وانشائه لقوات التدخل السريع كأداة حديثة للتدخل الامريكي، ورغم هذا فقد كان يوصف بالضعف لعدم رغبته في استخدام القوة باستعداد اكبر، في حين ان جماعات الجناح اليميني، مثل لجنة الخطر

الحالي، التي انتقدت بشدة ما تخيلته من جنوح نحو ضبط النفس من جانب امريكا . لقد اقسوا على محو " مماثلة الزمن الفيتنامي " وان يعيدوا للتدخل منزلته وينهضوا بأمريكا " لتقف عاليا" في وجه الشيوعيين والارهابيين وكل من يمكن ان يناوئ الهيمنة الامريكية .

اعلنت لجنة الحظر الحالي في بيانها الاول ان " الخطر الرئيسي الذي يهدد امتنا، ويهدد السلام العالمي وقضية الحرية الانسانية، هو عمل السوفييت من اجل الهيمنة (٥) . وهاجم اعضاء اللجنة كارتر ومستشاره للامن القومي ومثقي " اخوية العالم " . ان " الانعزالية " و " ثقافة الخنوع " التي سادت امريكا بعد حرب فيتنام هي ، كما يقول نورمان بودهورتز في كتابه الذي يحمل اسم " الخطر الحالي "، مرض اصاب او لئك النخبة من الناس الذين فقدوا " الارادة " على اظهار تفوق القيم الامريكية .

ان صليبية ريغان الجديدة التي يشنها ضد الارهاب الدولي هي التعبير عن تلك الروح المتجددة المحبة للقتال في رسم سياسته الخارجية، واعادة لاكتشاف الجيروت كما يدعوا اليه بودهورتز وريتشارد البن وغيرهما من مثقي الجناح اليميني . ليس من العسير على المرء ان يدرك دوافع ذلك العداء الكبير الذي يبديه الرئيس ريغان ضد الانجازات السوفيتية في بلدان العالم الثالث . فالاتحاد السوفيتي وقواه الحليفة استطاعت ، كما يقول ريغان ، ان تحقق مكتسبات مرموقة اثناء عهد كارتر في اثيوبيا وانغولا وافغانستان وكموديا ونيكاراغوا . واعلن بصراحة ان بوء المشاكل هذه كانت وبشكل مباشر " نتيجة للايديولوجية الماركسية اللينينية المفروضة من الخارج " واعلن في رسالته الاتحادية عام ١٩٨٥ قائلا : " يجب ان لا نحطم الثقة مع او لئك الذين يخاطرون بأرواحهم في كل قارة من القارات ، من افانسات الى نيكاراغوا . . . لدفع العدوان السوفيتي والحفاظ على الحقوق التي كانت دائما حقوقنا ومنذ ميلادنا " (٦) . وقد اعاد ريغان هذا القول في خطابه الموسع امام الجمعية العمومية للامم المتحدة المنعقد بمناسبة الاحتفال بمرور اربعين عاما على انشائها . وقد حدد ريغان ما اسماه - القضايا الاقليمية - في جدول اعماله للقاء المرتقب مع الرئيس السوفيتي غورباتشوف ، بأنها ناجمة عن وجود القوات السوفيتية في افغانستان واثيوبيا وانغولا ونيكاراغوا :

" جميع هذه النزاعات ، والتي استمر بعضها لفترة طويلة من الزمن ، تتبدى بخلافات محلية ، ولكنها جميعا تحمل صفة عامة ، ذلك انها ناجمة عن ايديولوجية مفروضة من الخارج ، تقسم الامم وتخلق انظمة حكم تكون في الغالب ومن لحظة استلامها للسلطة في حالة حرب مع شعوبها نفسها . وفي كل حالة ، تمتد الحرب الماركسية اللينينية فلا تقتصر على الحرب ضد شعب البلد نفسه بل تتعداه الى حرب مع جيران ذلك البلد (٧) .

ان ما يلاحظ هنا في هذه المقولة هو مشابهتها ، في النغمة والجوهر ، للغة السياسة الخارجية

لاينهاور - دالاس في قمة الحرب الباردة. ان ريفان يدعو الى "واقعية جديدة" والى ضرورة "تخفيض" المكتسبات السوفييتية في العالم الثالث، تماما وعلى غرار ما دعا اليه مستشار اينهاور للسياسة الخارجية من ضرورة تخفيض النفوذ السوفييتي في بلدان اوروبا الغربية. ولكن الامر تحول في عهد ريفان من بلاغة سياسية حماسية الى سياسة ثابتة تجرى ممارستها وفرضها. وريفان هذا المدلة بذكرى صليبية دالاس الاخلاقية، كرر تحليله "للتحرير" و"التخفيض" في خطابه الاتحادي عام ١٩٨٦ بقوله :

الى هذه الانظمة السجينة والمأسورة ، الى هؤلاء الذين تنزل بهم الضربات لاجترائهم على القتال في سبيل الحرية والديموقراطية وحقهم في العبادة والكلام والحياة والنماء داخل عائلة الامم الحرة - نقول لكم هذه الليلة : لستم وحدكم في قتالكم من اجل الحرية، امريكا ستدعمكم وتقدم لكم المساعدة المادية والمعنوية .. من اجل تحقيق النصر في افغانسات ، في انغولا ، في كمبوديا ، وفي نيكاراغوا (٨) .

ان الفرضية الضمنية التي تقوم عليها هذه الاقوال ، هي ان السياسة الامريكية اتسمت منذ مؤتمر بالطا باسترضاء ومهادنة الاتحاد السوفييتي والقوى الثورية في العالم الثالث . وستقوم "الواقعية الجديدة" التي ينهاجها ريفان باغلاق هذه الفجوة وذلك بالمساعدة الفعالة لتلك القوى العاملة على نفس اهداف موسكو "التوسعية" . وتحدد هذه الاقوال "العقيدة الريفانية" التي تحقق استخدام القوات العسكرية لدحر النفوذ السوفييتي خارج بلدان العالم الثالث المضطربة .

لقد انتهت ادارة ريفان تخميناتها وتأملات الى ان صانعي السياسة الامريكية سيجدون ان "دروس فيتنام" تشكل حدودا صعبة امام التدخل العسكري الامريكي في العالم الثالث . وقامت مجموعة من الاشخاص بالاعلان عن انفسهم كخبراء في مقاومة الارهاب ولتقديم الافكار والبرامج لما يصفوه ، حسب تعبيرهم الملطف ، بسياسة خارجية اكثر ميلا نحو تأكيد ذاتها . ونجد بين هذه المجموعة اشخاصا من المثقفين المحافظين الجدد امثال ايرفنج كريستول وريتشارد بايبس وجين كيرباترك ، ومن الاستراتيجيين الصقور مثل ريتشارد اربين والجنرال الكسندر هينغ والكولونيل روبرت ماكفارلين ، ومن السياسيين المعادين للشيوعية مثل جورج شولتز وروبرت دول واليوت ايرامز .

وقد ادعى ايرفنج كريستول ، الناطق الرسمي المحافظ ، بان "الواقعية الجديدة" لا تتطلب شيئا اقل من اجبار الاتحاد السوفييتي على اجراء "اصلاح ايدولوجي" . وهذا "الاصلاح" حسبما يراه كريستول لا يتم الا عندما يكف الاتحاد السوفييتي عن كونه "نظاما سياسيا يقوم على دين مستحدث مفروض على الشعب السوفييتي يدعي الماركسية اللينينية" وهذا الهدف يجب ان يحتل قمة برنامج السياسة الامريكية الخارجية. وادعى ريتشارد بايبس المؤرخ من جامعة هارفارد بأن شرعية النظام السوفييتي ترتكز ، بين الاشياء الاخرى ، على الانطباع الشائع بأنه "قوة لا تقهر" ،



ولكن اذا ما حدث نوع من الهزيمة للسوفييت خارج بلادهم ، " فانهم سيقاسون في الحال من نتائج داخلية " .

ان الصليبية ضد الارهاب الدولي توفر وسائل ، مهما كانت ضئيلة ، يمكن بواسطتها وضع استراتيجية "التخفيض" موضع العمل فالحاق الضربات بتلك الدول التي تعتقد مجموعة ريفان بأنها " اتحاد دول ارهابية " يقودها الاتحاد السوفييتي ، سيمكن الولايات المتحدة من انزال سلسلة من الضربات الاقليمية القاصمة بالسوفييت ، والتي من شأنها ان تقلل من الانبهار الدولي بتلك القوة العظمى وتقلل من شرعية السوفييت داخل بلادهم . وهكذا فان الاطاحة بالحكومة السانديناستية في نيكاراغوا ستكون الخطوة الاولى في الطريق نحو " الاصلاح الايديولوجي " . وترى جين كيرباتريك ، على سبيل المثال ، ان تدخل الولايات المتحدة في امريكا الوسطى كاجراء ضروري مضاد لحملة العنف السوفييتية السائدة في المنطقة :

اليوم تساعد الموارد القادمة من كل بلدان الكتلة السوفييتية على توحيد القوة السانديناستية في نيكاراغوا ونشر العنف في امريكا الوسطى وامريكا الجنوبية لقد اصبحت ماناغوا عاصمة الارهاب في نصف الكرة الارضية الغربي (٩) .

وحث كيرباتريك المتشككين ومعارضى المساعدات الامريكية للكونتراس الى اعادة النظر في مواقفهم ، وخصوصا على ضوء ما تصفه " بالصدقة اللانهائية " بين ليبيا ونيكاراغوا ووجود " نظام الدعم الدولي لسياسة العنف " :

انه لثمن غال ذلك الذى تتكلفه امريكا الوسطى نتيجة فقدانها السلام والحرية . فاذا ما سمحنا بالتوحيد الشامل للقوة السانديناستية ، والاندماج الكامل لنيكاراغوا في " النظام الاشتراكي العالمي " ، عندها سينظر اعضاء الكونغرس الى الماضى آسفين ، حيث كان بإمكان مبلغ ١٠٠ مليون دولار كمساعدة من الولايات المتحدة الى الكونتراس في ذلك الوقت ان تشكل شيئا مخالفا . (١٠) .

يستخدم كل من ريفان وكيرباتريك المبالغة والتحريف حول مسلك الدول المستهدفة في حملتها " لتخفيض " نفوذ الاتحاد السوفييتي في العالم الثالث . ان استخدام فن الشتائم كوسيلة لتشويه انسانية هذه البلدان المستهدفة يجعل امر مهاجمتها اكثر سهولة وللهرب من انتقادات الرأى العام ، ولقد اصبح هذا الاسلوب اصيلاً ومميزاً عند ريفان . وكأعضاء في " اتحاد الارهابيين " و " شركة القتل الحديث " (١١) فان هذه الانظمة يجب ان تباد . وفي محاولته لدعم الكونتراس بمبلغ ١٠٠ مليون دولار اتهم ريفان حكومة نيكاراغوا بانها حولت بلادها الى " بيت حماية ومركزاً للارهاب الدولي " والصق بها العديد من التهم للتدليل على وحشيتها ، من قتل





للرهبان، الى تهريب المخدرات، قائلا : " يظهر انه لا توجد جريمة الا ويقوم الساندنسون بالهبوط اليها - هذا نظام خارج عن القانون " (١٢) .

### مِيار مزدوج :

لا تترك الادارة الامريكية ، بناء على تبريراتها واستنتاجاتها ، مجالا لان تأخذ في الحسبان تلك الظروف الدولية البالغة التعقيد ، او التمييز النوعي بين الارهاب من اجل الارهاب ذاته وبين عمليات العنف اللاحقة للاضطرابات الناجمة عن التحلل الاجتماعي . فقد جاء في الانباء ان وزير الخارجية قال امام جمع في كنيس يهودى في مدينة نيويورك في ٢٥ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٨٤ ، بأنه لا ينصح ببحث الظروف والسياسات التي توجه ضدها او تقوم بسببها الاعمال " الارهابية " خشة الوقوع في الخطأ ، والتعاطف مع بعض تلك الظروف ، الامر الذى يعنى " مكافأة " الارهابيين على أعمالهم . (١٣) ففي مناطق الشرق الاوسط وامريكا اللاتينية تكرر الادارة الامريكية كل جهودها لمحاربة الاعراض ( العنف السياسي والاجتماعي ) وتتجاهل كل التجاهل جذور الاسباب التي ادت الى ذلك . فضلا عن هذا فان هذه السياسة متقرر للولايات المتحدة نفسها ممارسة اعمال الارهاب ، كما حدث من وضع الالغام وتفجيرها في المواليء النيكاراغوية ، او تدريب عمالات الكونتراس على اعمال الاغتيال ، او تدبير امر التمويل الايراني للكونتراس بواسطة اسرائيل ، في الوقت الذى تدين لجوء الدول الاخرى الى العنف .

هؤلاء الكونتراس الذين يصفهم ريفان بـ " ورثة الامجاد الاخلاقية للاباء المؤسسين " والذين يكأفون " من اجل صيانة الحرية " ، يمارسون وباستمرار اعمال الارهاب ضد المواطنين المدنيين في نيكاراغوا . فمن كانون الثاني ( يناير ) الى حزيران ( يونيو ) ١٩٨٤ هاجم هؤلاء ٥٥ تعاونية

زراعية ، قتلوا وخطفوا فيها ٢١٩ مزارعا و ٨٢٦ عاملا زراعيا . وفي الاشهر الستة الاخيرة من عام ١٩٨٤ ، قتل الكونتراس ما يزيد عن ١٢٠ مواطنا على جوانب الطرق في كمائن نصبوها لهذا الغرض (١٤) . قال السيناتور الديموقراطي من ولاية تينيسي في تعقيب له على احد خطابات الرئيس ، ان ما يدعيه الرئيس ريفان من " اعمال وحشية " يقوم بها الساندنستون تتضاءل تماما عند مقارنتها بأعمال الكونتراس (١٥) .

ويظهر هذا المِيار المزدوج بوضوح ايضا بما استحوذ على ريفان طيلة ست سنوات من العمل في ليبيا ، ذلك البلد الصغير البعيد المحروم من الاصدقاء الضعيف عسكريا . فقد كانت استراتيجية ريفان ان يطيح بليبيا من خلال نشر " التشويه الاعلامي " واستخدام القوات المسلحة . فالرئيس القذافي ، كما يراه ريفان ، هو رمز الرفض العربي ، رغم ضعفه ، للهيمنة الامريكية في الشرق الاوسط ، وهو ما نبغى من نفوذ سوفيتي ، رغم انه يعارض انشاء قواعد سوفيتية في ليبيا . وقد جرى اطلاق اللقب والنعت المختلفة على القذافي ، فهو اراهابي ، وكلب مسعور ، وبربري ، وقشرة فارغة يجب الاطاحة

بها. وقد انتشر سيل الاتهامات الهوجاء التي صبها ريغان وادارته في أوروبا كذلك عن طريق المبعوثين أمثال وايتهد مساعد وزير الخارجية والسفير الأمريكي ولتر فيرنونس وغيرهم .

بدأت سلسلة العمليات ضد ليبيا باسقاط طائرتين نفاثتين لبيبتين على الساحل، وبعدها مباشرة ارسال اسطول حربي قام بمناورات استفزازية في خليج سرت ، وتصعيد ذلك باغراق سفينتين لبيبتين في آذار (مارس) ١٩٨٦ . وبلغت هذه التحرشات اوجها في نيسان (ابريل) ١٩٨٦ بلاغارة جوا على طرابلس وبنغازي . وقد وصف ريغان ، الذي رفض الدخول في اى حوار مع ليبيا ، هذه الغارة بانها ممارسة حق " الدفاع عن النفس" . وتتطابق تماما مع نص المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة " على الرغم من ان هذه الغارة اودت بحياة ما يزيد عن مائة شخص مدني ، بينهم ابنة القذافي نفسه . وقد اعلن الرئيس ريغان للامريكيين بعد الغارة مباشرة قائلا :

قمنا اليوم بما كان يجب علينا ان نقوم به من قبل ، وسنكرر ذلك اذا اقتضى الامر . . قبل ان يستولى القذافي على الحكم عام ١٩٦٩ كان شعب ليبيا صديق للولايات المتحدة . وانني لعلنى ثقة بأن اكثر الليبيين يحسون بالعار ويملؤهم الاشمئزاز من هذا الرجل الذي احال اسم بلادهم كمرادف للبربرية في ارجاء هذا العالم . ان الشعب الليبي شعب مهذب وقع في قبضة هذا الطاغية (١٦) .

لقد تجاهلت الادارة الامريكية في حريها ضد ليبيا ونيكاراغوا استخدام القانون الدولي . فضربت بالقنابل من الجو الاراضي والمنشآت النيكاراغوية ، وبثت الالغام في مياهها الاقليمية ، ورفضت الانصياع الى السلطة القضائية لمحكمة العدل الدولية . وعلى غرار ذلك ، فانها تحدثت حقوق ليبيا ومطالبها في مياهها الاقليمية في خليج سرت باستخدام الطائرات ، ولم تعراى التفات لاي امكانية من امكانيات التفاوض . والهدف ضد هذين البلدين ، وكما هوفي انغولا وافغانستان ، للبرهنة على ان الاتحاد السوفييتي ليس هو تلك القوة التي لا تقهر ، وان الماركسية اللينينية ، على الرغم من انها تتعارض مع " اشتراكية القذافي الاسلامية " وفلسفة كتابه الاخضر ، يمكن ان تهزم وتطوى جانبا .

وتجاهل وزارة الخارجية ايضا الفرق بين موقفي كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي من قضية التحرر الوطني . فالاتحاد السوفييتي هو احدى الدول من بين ١١٤ دولة تعترف كلها بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني . في حين ان الولايات المتحدة قبلت بالادعاء الاسرائيلي بان منظمة التحرير الفلسطينية هي منظمة ارامية ، وتشكك في حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، ذلك الحق المعترف به دوليا . ان منظمة التحرير من وجهة النظر الامريكية جزء من شبكة القوى الارهابية السوفييتية الدعم ، ولا ترى فيها منظمة تنازل من اجل حق تقرير المصير لشعبها . يستخدم وزير الخارجية شولتز عنوانا عريضا واحدا للارهاب لمجموعة من العلاقات المتداخلة بين الدول والحركات الاجتماعية ، ويمكننا ان نقدم مثلا على

ذلك بمقاله في خطاب له في نيويورك في كنيس بارك افينيو :

يمكننا ان نفهم اليوم بشكل اوضح تلك الوشائج التي تربط الارهابيين بعضهم  
بالبعض الاخر . ان ليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية تقدمان السلاح  
وتوفران التدريب للشيوعيين في امريكا الوسطى ، وهما تساعدان بذلك  
الجهود الكوبية المدعومة من السوفييت لتقويض امننا في تلك المنطقة  
الحيوية (١٧) •

ان التضمين هنا واضح جدا - فهذه القوى التي يمكن ان تناوئ السيطرة الامريكية تستحق ان  
تأمل كقوى ارهابية، ومن هنا ، فان اسرائيل عندما تتجاز بطائراتها المسافات لتصل الى شمال  
افريقيا لطقي قنابلها على مقر منظمة التحرير في تونس، فان ادارة ريغان رأت ان هذه العملية،  
وعلى العكس تماما مما رآته فيها اغلب دول العالم ووصفتها بأنها عمل ارهابي تمارسه دولة، رأت  
فيها ادارة ريغان عملية دفاع عن النفس قامت بها اسرائيل ضد ارهابيين، تماما كما رأت في  
عليتها هي نفسها عندما قصفت طائراتها ليبيا في ١٤ نيسان (ابريل) ١٩٨٦ . وهكذا يجري  
استبدال المصطلح فالارهاب اصبح بديلا عن الشيوعية كبطاقة موحدة شاملة، تلمق بجميع اءلك  
الناوئين بحزم للهيمنة الامريكية، فتدل عليهم •

ان سياسة التخفيض هذه تأخذ على عاتقها اظهار القوة الامريكية بانتهاج كافة السبل، ومنها  
التدخل العسكري . ولضمان نجاح هذه السياسة يجب تجنب ذلك النوع من المعارضة الجماهيرية  
والسياسة الذي ساد خلال سنوات الحرب الفيتنامية . ومن هنا تظهر اهمية دمج منتقدي السياسة  
الخارجية بالارهاب المرتبط بالاتحاد السوفييتي . ذلك انه يمكن حشد الرأى العام لمحاربة  
الارهابيين بشكل اكثر سهولة من دعم دور الشرطي العالمي المقاوم للشيوعية •

وبشكل سعي ادارة ريغان المتواصل لترسيخ فكرة ارتباط الاتحاد السوفييتي بعمليات الارهاب  
عالميا بالغ الاهمية في سياستها • وعلى سبيل المثال، فان شولتز يعلن قائلا : " اذا كان تقويض  
الحرية والغاء الديمقراطية هو هدف الارهاب، فمن الواضح ان الاستبداد هو الحليف " . ويستشهد  
بأسلة " نافهة " و " ضئيلة " حول الدور الذي يلعبه الارهاب في بعض الدول ذات النظم  
الاستبدادية كدليل على دعم السوفييت للنشاط الارهابي •

لا تقتصر صليبية ريغان على تخفيض المكتسبات السوفيتية في بلدان العالم الثالث، ولكنها  
وبالاضافة الى ذلك تخدم تشجيع سياسة الولايات المتحدة القائمة على عدم التدخل تجاه الانظمة  
الحوالية للغرب والتي تتصف بمخالفاتها الواسعة والمنظمة لحقوق الانسان في بلادها • ونجد ان  
ادارة ريغان كثيرا ما اظهرت كلا من اسرائيل وجنوب افريقيا كضحيات للمنظمات الارهابية •  
وعندما تزايد الضغط، من داخل امريكا وعلى المستوى العالمي، لفرض عقوبات اقتصادية على  
نظام مريتوريا، حاول ريغان ان يسوغ معارضة امريكا لذلك بقوله ان بوتلا ليس ملزما " بالتفاوض مع  
اي منظمة تنادى بان هدفها هو انشاء دولة شيوعية وتلجأ الى الاساليب الارهابية لتحقيق ذلك " •  
وما يشير اشد السخرية كذلك ان جنوب افريقيا واسرائيل، واللذان تطبقان نمطين من القانون



كياسة للدولة، وتخرطان في عمليات ارهابية مدعومة من الدولة ذاتها ، تعتمدان في بقائهما على معونات الولايات المتحدة، تلك القوة العظمى التي تدعي بأنها نصبت نفسها كشرطي لمقاومة الارهاب الدولي .

دول اخرى عديدة تعتمد في بقائها على الدعم الامريكي مثل ديكتاتوريات امريكا اللاتينية التي تعتمد الارهاب بشكل عام كوسيلة لكبح نقمة الجماهير وعدم رضاها عن الظروف الاجتماعية السائدة في تلك الدول . لقد وصف ادوارد هيرمان الجرائم البشعة التي تقتربها فصائل الموت في غواتيمالا ، والتي تتضمن اختفاء الافراد وتقطيع الاجساد والتمثيل بها والتعذيب ، بأنها الماركة المسجلة الافتراضية للانظمة التي تدعمها الولايات المتحدة في امريكا اللاتينية (١٩) . ومثالا على ذلك ، فان المؤتمر الاول لاقارب الافراد المختفين في امريكا اللاتينية ، والذي جرى انعقاده في كوستاريكا عام ١٩٨١ ، قد اعلن ان العدد التقديري للافراد الذين اختفوا من الرجال والنساء والاطفال على ايدي سلطات الحكم وفصائل الموت شبه العسكرية التابعة لها ، بلغ (٩٠) الف مفقود . ويظهر التباين الصارخ اذا ما عرفنا ان العدد الذي اعلنته السي . اى . ايه كتقدير لجميع من ماتوا نتيجة لـ " الارهاب الدولي " هو ٣٦٦٨ شخصا طيلة الفترة من عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٨٠ . وما يثير السخرية حقا ان البلدان المسؤولة عن تزويد انظمة امريكا اللاتينية بالاسلحة والتدريب وتكنولوجيا القمع هما الولايات المتحدة واسرائيل ، وهما الدولتان اللتان ادخلتا مصطلح " الارهاب " الى قاموس العلاقات الدولية المعاصر (٢٠) .

## هستيريا ( ضد الارهاب )

=====

حملت صليبية مقاومة الارهاب في طياتها عواقب غير حميدة داخل الولايات المتحدة ذاتها . فنتيجة لتبني تقديرات ريفان لمقدار التهديد ، اصبح افراد الشعب الامريكي على درجة عالية من الحساسية لقضية امنهم سواء داخل الولايات المتحدة نفسها او خارجها . وتتضخم جو الهستيريا هذا ليفوق في ابعاده مقدار الخطر الحقيقي ، فقد طفحت الصحف الصادرة في ربيع وصيف عام ١٩٨٦ بأخبار الغاء الرحلات السياحية الى اوروبا ، واتخذت احتياطات وقائية غير عادية في المطارات المحلية الداخلية ( وجد الاطفال ان مسدسات الماء البلاستيكية التي يلهون بها قد صودرت ) ، وانتشرت اشاعات عن حدوث هجمات ارهابية . ولكن الولايات المتحدة ذاتها بقيت بعيدة الى حد كبير عن الارهاب ، افراد قلائل من الشعب الامريكي ، بينهم السياح والمقيمون في الخارج ، احسوا لذعة الارهاب . ففي اوروبا على سبيل المثال ، كان عدد المتضررين من الارهاب (١٢) شخصا خلال عام ١٩٨٥ اقل بدرجات كثيرة من عدد ضحايا حوادث السيارات او عدد الذين توفوا نتيجة الافراط في المشروبات الروحية . فالخطر بالنسبة للمواطنين الامريكيين على هذا الاساس هو بكل بساطة ليس كبيرا على اي حال .



جاء جو الحذر الداخلي هذا نتيجة لتلك الحملة المحمومة التي شنتها حكومة ريفان لتسليط الأنظار وتركيز كل الانتباه نحو التهديدات الارهابية . وبانجرار الجمهور ووسائل الاعلام الى الحملة الجارفة، اخذت تتعالى اكثر واكثر نغمات الادارة البلاغية، وكأنها رفعت من مستوى العنف العسكري . ويستدل على مدى تأثير هذه الحملة بمدى الحماس الذي انخرطت فيه الصحافة الامريكية كثرية اساسي. فبعد الغارة الامريكية على ليبيا مثلا، قام المذيعون التلفزيونيون من امثال نيد كويل صاحب برنامج نايت لاين ( منتصف الليل ) في محطة اى.بي.سي الذي استدعى بعض الدبلوماسيين الاجانب المشكوك فيهم، واخذ يحاورهم بحماس زائد حول عدم رغبتهم في الصداقة على شرعية تلك الغارة، واخذ يتكلم بحماس ايضا عن " عجز " الدول العربية والاوروبية عن تنفيذ دعوة الولايات المتحدة لغرض عقوبات صارمة على ليبيا . وقد ظهر جليا ان مسألة المحافظة على التقاليد الصحفية قد طرحت جانبا اثناء هذه المقابلات، فهي لم تتصف (بالحياد) بل على العكس تماما انحازت وبروح قومية واضحة نحو دعم سياسة الولايات المتحدة . وقد سارعت الصحافة الامريكية، ودون ادنى تردد، بقبول البلاغات الرسمية الحكومية حول مجرى الاحداث وانهايت باللوم والادانة للحلفاء الغربيين . هذا فضلا عن ان بعض الصحف ذهبت الى ابعد من ذلك فاخذت في تشويه صورة العقيد القذافي واصفة اياه بـ " المجنون " و " المختل " و " الارهابي "

## عنصرية ضد العرب

لقد فرخت هذه الحملة المناوئة للارهاب تيارا قويا من العداء والعنصرية ضد العرب في امريكا ان اقوال وخطابات وزير الخارجية جورج شولتز والرئيس ريفان كانت تطفح بالتخويف من الاجانب بشكل يفهم منه ان المقصود بذلك هو الدول العربية . وكانت الاقوال بليغة والقبح بالغ الاساءة، بحيث وجد الرأي العام الامريكي نفسه ملتهبا بالكراهية ضد العرب . وكان محور هذه الخطابات هو ادانة الارهاب ووصمه بالبربرية، ومن اجل اظهار الارهاب وكأنه جزء من مؤامرة دولية تعمل على افساد الغرب وتقويض قيمه، واظهار عدد من الدول والمنظمات، وبشكل خاص ليبيا وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية وكذلك نيكاراغوا وكوبا كدول ارهابية. ومع ان مثل هذا الربط لم يجر الحديث عنه بشكل جلي، الا ان منطق الحجج كان يعني ان الليبيين والاييرانيين ومنظمة التحرير الفلسطينية هم براية . وقد حاول ريفان مؤخرا، وعلى اثر افتضاح مغامرته مع ايران في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٦، ان يخرج ايران من هذه الدائرة قائلا ان العملية التي قام بها مخالفا بذلك قانون الولايات المتحدة والكونغرس جعلت من ايران اقل ميلا نحو الارهاب .

ادعى الوزير شولتز في خطابه يوم ٢٥ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٨٤ ان منظمة التحرير الفلسطينية والليبيين هم جزء من مؤامرة دولية واسعة يمولها الاتحاد السوفيتي من اجل " زعزعة ثقة الغرب بنفسه ووحدته وارادته في مقاومة التهديد " ويرى الوزير ان " الولايات المتحدة

والديمقراطيات الاخرى ملزمة اخلاقيا بمثل عليا معينة وروية انسانية للمستقبل " ، وعلى العكس منهم هذا ، فان الوزير يضيف ملاحظا بانه على الرغم من ان " لاهداف معلنة" للمجموعات والدول الارهابية يمكن ان تكون ذات طابع اجتماعي او سياسي ، الا ان " قفزهم فوق الاحداث للوصول الى اهدافهم ... هو نفس الشيء ، فهم يلجأون الى القوة لفرض ارادتهم .. انهم اعداء الداء فاسدون للحضارة الانسانية ذاتها " . ( التأكيد مضاف ) . وظهر مصطلح " البربرية " مرة ثانية فيما بعد :

نحن ( الغرب ) نزعنا انفسنا من ربة البربرية ، ووجهنا التحدي للنزوع الى الحرية والى الكرامة وليدة تلك الحرية . لقد عملنا على تخليص انفسنا من حالة الوجود البدائي التي وصفها هوبس بأن الحياة تكون فيها " في حالة خطر وخوف دائمين من الموت بشكل من اشكال العنف ... حياة مقرفة فظة قصيرة ... " .

الارهاب هو خطوة الى الوراء ، انه خطوة نحو الفوضى والفساد . وبمعنى اوسع ، فالارهاب يمثل رجعة الى البربرية في عصرنا الحديث ، فاذا تقاعس العالم الحديث وعجز عن مواجهة التحدي ، وسيطر الارهاب وما يجيء معه من انعدام سيادة القانون والانسانية ، فسيتم تقويض كل انجازات العالم المعاصر شيئا فشيئا ، ويجعل قضية احراز اي شكل من اشكال التقدم امرا مستحيلا ( ٢١ ) .

هذه الدعوات الخاصة التي يشفعها الوزير بالارهابيين ، وهم في هذه الحالة الليبيون والفلسطينيون والايраниون ، هي بالتحديد تلك التي كان يوجهها عموما كل اؤلئك الذين اعتادوا التعامل على العرب . والارهابيون في قاموس الوزير ، منكتّمون ، يكتنفهم الغموض ، متعصبون ، ليس في قلوبهم رحمة ، لا عقلانيون ، متوحشون ، اشرار ، منحرفون . لقد كانت مثل هذه التصورات المناوئة للعرب موجودة من قبل حقا في الوجدان الامريكي ، وقبل ان تتسلم الحكم الادارة الحالية ، ولكنها تعززت واصبحت اكثر حدة وقوة بعد صليبية مقاومة الارهاب . فالعرب والعرب الامريكيون بشكل او اخر ، هم " اليهود الجدد " وهم مجموعة عرقية من البشر متهمون بالتآمر ، وفساد وغلظة الطمع ، وحب الكسب ، وانعدام الوثوق بهم ، والجبانة الدنيئة .

يظهر العرب على هذه الصورة في كل مكان في الثقافة الامريكية المعاصرة في الرسوم الكاريكاتورية والسينما والمسرح وكل مكان . فمثلا صور العرب في مجموعة من المسرحيات عرضت في مدينة بروفيدانس في ولاية رود ايلاند عام ٨٥ - ١٩٨٦ ليس اقل من ثلاث مرات من مجموعة المسرحيات العشرة التي تم عرضها ، ففي واحدة من هذه المسرحيات يطعن عربي شخصاسكين في ظهره ، وفي واحدة اخرى يظهر عدد من الاغنياء العرب وهم يشربون الشمبانيا في احد المعارض الفنية ، ( وفي الثالثة يظهرهم بشكل مشير للاعتراض ولا يمكن ابراده ) . وقد وجد السيد جاك ج. شاهين بعد مراجعته لـ ١٩ فيلما حديثا ان ستة منها تصف العرب الاغنياء بالتلاعب بالسياسة

الأمريكية وثلاثة منها تعرض الإرهابيين العرب ، وستة أخرى تصور العرب بشكل كاريكاتوري على أنهم فاسقون ، بدائيون ، أغبياء ، متوحشون ، جبناء ، وما إلى ذلك . ( ٢٢ ) وتأتي أفلام كثيرة على هذا النمط ، ففي أحد الأفلام " الذي تقوم حيكته على مؤامرة عربية غامضة " وفيلم " عجز وفقر في بفرلي هيلز " والذي يقوم فيه إيراني بدفع المال لجاره من أجل الحصول على صداقته ، وفيلم " لكي تعيش وتموت في لوس انجلوس " والذي يبدأ بسلسلة من اللقطات ، لا علاقة لها ببقية أحداث قصة الفيلم ، تصور عربيا ( إرهابيا ؟ ) يقوم بنفس نفسه بالمتفجرات على سطح أحد الفنادق . مثل هذا التصوير ، على سوقيته وفجأته ، هو صدى لصوت وزير الخارجية بطريقة برئية ، التثبيت فكرته القائلة بأن العالم العربي هو منبع " البربرية " .

ويغزل العرب حاليا لتجري معاملتهم بطريقة خاصة عنصرية مجحفة . فالمسافرون العرب إلى الولايات المتحدة يخضعون لتفتيش مكثف عند استعمالهم للطائرات الأمريكية مثل طائرات نين دبليو إي . ويتحسب العرب الأمريكيون المسافرون على الخطوط الأمريكية الدخلية مستذكرين نية رعايهم التي كانت تسافر على إحدى طائرات شركة دلتا حيث منعها العاملون في الطائرة من قراءة كتاب عنوانه " في فلسطين ، وليس في الأردن " ( Palestine Is , But Not in Jordan ) ومن الواضح أن " الملامح العربية " للشخص ليست وحدها فقط مقياس تعرض المسافر لهذه المعاملة ، فمثل الكتب ذات العناوين الشرق اوسطية تضع حاملها أيضا موضع الشك بأنه إرهابي ( ٢٣ ) .

وقد وصل هذا الاجحاف إلى حملات الدعاية الانتخابية ، حيث يعارض المرشحون للانتخاب للناصب العامة أن يكونوا على علاقة بالعرب الأمريكيين . ففي أثناء الحملة الانتخابية للكونغرس في ولاية ماساتشوستس أعاد المرشح جوزيف كيندي تبرعا قدمه السيناتور السابق جيمس أبو رزق رئيس اللجنة العربية الأمريكية لمقاومة التمييز ضد العرب . وحدث رفض مماثل من ويلسون جود في حملته الانتخابية البلدية في فيلادلفيا . ( ٢٤ ) .

وقد تسبب هذا المناخ المجحف بشعور الجالية العربية الأمريكية بالقلق الزائد ، حيث يدور الآن نقاش مفتوح واستدكار لوضع اليابانيين الأمريكيين في معتقلات أثناء الحرب العالمية الثانية ، ككثير تهديد مشابه لمثل وضع العرب الأمريكيين الحالي . ويفسر الكثيرون صليبية ريفان - شولتز ضد " الإرهاب " ليست أكثر من محفز أولي في العنصرية ضد العرب ، والتي هي في نظر الكثيرين اجحاف " مقبول " حتى في نظر بعض الاوساط المتعلمة ( ٢٥ ) .

سوارغير متكامل :

أدى العنف الذي ادارت به ادارة الرئيس ريفان حملتها ضد الارهاب ومهارتها في تحديد القيم " الطيبة والخبيثة " الى خلق مناخ من الاجحاف عن بحث ومناقشة الامور السياسية . فاحذ



اعضاء الكونغرس في التحوط والحذر حتى لا يضبطوا في " الموقع الخطأ " في موضع الارهاب هذا . وهذا يعني ان كثيرا من امكانيات المعارضة قد وُتِدَت . وقد قوبل هجوم ريغان المتكرر على ليبيا بكثير من التأييد والقبطة لدى جماهير واسعة من الرأي العام الامريكي وبعض اعضاء الكونغرس، حتى ولو كان لدى البعض منهم نزعة معارضة ذلك بشكل سافر . كان الكونغرس قد حصل على سلطة اشرافية على قضايا الحرب، في فترة ادارة الرئيس نيكسون عام ١٩٧٣ ، والتي قيل وقتها ان من شأنها ان تكبح توجهات الرئيس العسكرية في اعقاب هزائم الحرب في فيتنام وكمبوديا . فمن اجل اعفاء ريغان من سلطة الكونغرس هذه، قام اعضاء الكونغرس الجمهوريون بزعامة روبرت دول بتحرير الرئيس ريغان من هذه السلطة، بسن اجراء يقضي باعفاء الرئيس ريغان من " التشاور " مع الكونغرس قبل تدخل القوات الامريكية في عمليات ضد " اعمال العدوان " الاجنبية ، ويفهم من هذا الاجراء بأنه تخويل كامل وغير محدد للرئيس لاستعمال " القوة القاتلة " ضد التهديد الارهابي (٢٦) .

وقد ادارت ادارة الرئيس ريغان صليبيتها ببلاغة بيانية وحدة ، ولم تعر الحقائق ادنى احترام ، وبهذا المنطلق ، البلاغي يصل الرئيس ريغان ووزير خارجيته الى الاسباب الجذرية للارهاب الدولي بكونها مواءمة شيوعية : " فالسوفييت يدينون الارهاب علنا ، ولكنهم يتسترون عمليا على الجماعات الارهابية عندما يعتقدون انها تخدم اغراضهم ، وهدفهم هو دائما وفي كل الاحوال واحد ، الا وهو اضعاف الديمقراطيات الحرة وزعزعة الاستقرار العالمي " (٢٧) كما ان الارهاب الفلسطيني واللبيبي والنيكاراغوي هو اداة بايدي السوفييت (٢٨) . ولكن مثل كل البلاغة الاخرى لا يجري البرهان على مثل هذه الصلة المزعومة .

وتنزع البلاغة كذلك الى الابهام بتصديق تلك المبالغات حول النتائج الممكنة للارهاب، لانه وبساطة من غير المعقول ان تغمر الفوضى السياسية اوروبا الغربية او الولايات المتحدة او " تنزل الاذى بحضارتنا المعاصرة " نتيجة لتلك الاعمال القليلة من خطف الطائرات واعمال العنف العرضية والتباعدة في بعض مطارات " اوروبا والشرق الاوسط .

وفضلا عن هذا التزوير الحماسي للحقائق، فقد كان يجري تجاهلها والاستخفاف والتلاعب بها . فالحملة الموجهة ضد ليبيا توضح مدى رغبة حكومة ريغان في تحريض الحقيقة، فمنذ السنوات الاولى لرئاسة ريغان اصبحت الحكومة الليبية هدفا رئيسيا تعمل ادارة ريغان ضده . كانت الصحافة تورد التقارير باستمرار عن مسؤولية ليبيا عن العمليات الارهابية في العالم ، على الرغم من ان الادلة التي كانت توردها الصحافة للتدليل على ذلك كانت ضعيفة متهاوية . قيل عن " فرقة انتحارية " ليبية دخلت الولايات المتحدة واخذت تترصد الرئيس لاغتياله ، ولم تثبت حقيقة هذه الادعاءات ايضا . ونسب العديد من الاحداث التي جرت في اوروبا والشرق الاوسط الى الليبيين او انه تم " برعايتهم " ، وكثيرا من الادعاءات لم يظهر دليل واحد على صحتها . ان افتضاح حكومة



وبأن مؤخرًا بكونها كانت تنشر الأكاذيب المدروسة حول أهداف الليبيين ، تضع جميع هذه التهم السابقة ، في ضوء جديد بالغ الأهمية .

نشرت مجلة " وول ستريت جورنال " في ٢٥ آب ( أغسطس ) ١٩٨٦ خبرا من تلك الاخبار التي أصبحت معروفة وواضحة ادّعت فيه ان مصادر المخابرات الامريكية تعتقد ان " العقيد القذافي يدبر الان لعمليات ارهابية جديدة " وانه " بدأ بتجنيد السفّاحين المحليين للاعتداء على الدبلوماسيين ورجال الاعمال الامريكيين والاوروبيين " . وان "مسوء ولا كبيرا آخر" يتشكك في سلامة القوى العقلية للقذافي . ( فالقذافي " على ما يظهر فقد صوابه مرة أخرى " ) وانتهى الخبر بإيراد قائمة طويلة مفصلة بالعمليات الارهابية المنسوبة الى ليبيا . ونتيجة لهذا " الدليل الجديد " قيل ان الولايات المتحدة تقوم بالاعداد " لعمليات عسكرية واقتصادية سرية " ضده . وعندما ووجه ربنان بحملة الأكاذيب هذه ، او " تشويه المعلومات " كما سمّتها الصحافة ، لم تظهر على ربنان اي علامات الشعور بالاثم او الندم بأي حال من الاحوال . ذلك ان ادارة الرئيس ، حسب وجهة نظره ، " قامت بما احست ان من واجبه ان تقوم به " وقد صادق الوزير شولتز على ذلك ( ٢٩ ) .

## الخلاصة

=====

اصيب الشعب الامريكي بالارهاق في اعقاب الحرب الفيتنامية ، واخذ يحس بالقلق ازاء مسألة التسلح ، وعدم التعاطف مع الدعوات المتكررة لمقاومة " التهديد الشيوعي " بالسلح ، وافترضت الاوساط الحاكمة بأنه ليس من السهل عليها حشد وتوجيه الرأي العام الامريكي نحو تأييد ودعم الحملات العسكرية في الخارج مثقلين بالاحباط الذي جرّته عليهم تجربة جنوب شرق آسيا العسكرية ، ولكن اليمين الامريكي استطاع على مدار سنوات الثمانينيات ان يحسّل شكل ذلك التورط الامريكي في فيتنام الى صورة جديدة للحرب اكثر ايجابية ، فظهرت هذه الصورة فيما تمثله افلام رامبو . وعلى الرغم من انه ظلت هنالك بعض اشكال المعارضة الشعبية للتدخل الامريكي في الخارج ، الا ان قوة هذه المعارضة اخذت في التلاشي شيئا فشيئا منذ بداية فترة ما بعد تلك الحرب .

وعلى هذا الاساس ، اثبتت صليبية مقاومة الارهاب انها اداة داخلية فعالة استطاعت بها ادارة ربنان تهيئة الرأي العام واعاداده لقبول تدخلات جديدة ، ذلك ان التدخل كان يحظى بالتأييد والمصادقة عندما كان يجري الادعاء بأنه مكرس لمقاومة الارهاب . وهكذا اصبحت الدعوة لمقاومة الارهاب بديلا عن الدعوة لمقاومة الشيوعية كمنطلق لحشد الرأي العام لمعاوضة التدخل ضد آخرين في الخارج ، وتعطي الفرصة الشرعية للتغلب على اي شكل محتمل من اشكال معارضة اللجوء الى القوة لا يزال موجودا نتيجة التجربة الفيتنامية .

والجديد في السياسة الخارجية لإدارة ريغان هو ما أضافته من بعد جديد غريب وشاذ إلى حملتها المقاومة للشيوعية . فلم يكن الإرهاب ، حتى أبان ذروة الحرب الباردة ، عاملاً من عوامل استراتيجية أمريكا العالمية، فقد كان الدّ خصوم أمريكا حينذاك الإيديولوجيين والمناضلين لتحقيق الثورة الاجتماعية، أما اليوم فيحشرون معهم المجرمين والمختلّين والشيوعيين والقوميين والطلّات ( جمع ملا وهو شيخ الدين عند الشيعة ) وموزعي المخدرات والمختلّين على أنهم جميعاً أعداء الديمقراطية . وبهذا تتحقق المجالات المتعددة للفرص الممكنة التي تتيح لهذه الإدارة البالغة التطرف في محافظتها ، استخدام القوة الأمريكية حسبما تملّيه إيديولوجيتها ، ودونما حاجة للتصن والتفكير في إبراز العلاقات الموجبة لهذا الاستخدام أو ضرورة تقديم تفسيرات تحدد الأسباب والنتائج .

إن الخطر المتزايد الذي يهدد الوضع الدولي ، وخصوصاً بلدان العالم الثالث التي لا تتعاطف مع أهداف السيطرة الأمريكية في أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وكثير من الأماكن الأخرى ، هو واحد المخاطر الناجمة عن هذه الاستراتيجية . وثاني هذه المخاطر هو ذلك التحريف والتشويه الذي تتعمده الولايات المتحدة لنوايا وسلوك الدول الأخرى ، والذي أدى إلى تخلخل وعدم وضوح لما يدور من أبحاث ونقاش داخل الولايات المتحدة فيما يتعلق بسياساتها الخارجية ، وثالث المخاطر هو أن سلوك الولايات المتحدة يظهر متخفياً وعلى غير حقيقته ، وخصوصاً بما يتعلق بمدى معونتها لتلك البلدان القمعية والتي تقترب هي نفسها جرائم الإرهاب التي تنفذها الدولة . وأخيراً ، فإن هذه الاستراتيجية قد أدت إلى نمو متزايد لتمييز عنصري بشع ضد العرب في الولايات المتحدة ، قد يصبح حقداً دائماً يصعب زواله .

## Endnotes

- 1) For a discussion of the evolution of U.S. counter -insurgency see Michael T. Klare, "The New Counter Insurgency" The Nation, March 14, 1981.
- 2) Naseer H. Aruri and John J. Carroli, "U.S. Policy and Terrorism," American - Arab Affairs, No. 14 (Fall, 1985), pp. 59 - 70 .
- 3) Address by George Shultz, " Terrorism: The Challenge to the Democracies." Washington : Bureau of Public Affairs, Department of State, Current Policy No . 589, June 24, 1984 .
- 4) Address by George Shultz , "Terrorism and the Modern World" Washington: Bureau of Public Affairs, Department of State , Current Policy No, 629, October 24, 1984.

- 5) For a discussion of the Committee's role in undermining detente see Richard J. Barnett, Real Security's Restoring American Power in a dangerous Decade. New York : Simon and Schuster, 1981, PP. 41 - 62 .
- 6) Ronald Reagan , " State of the Union 1985," Vital Speeches of the Day, Vol, 51, No. 9( February 15, 1985).
- 7) Ronald Reagan, "Life and Preservation of Freedom" Vital Speeches of the Day, Vol, 52No. 3 (November 15, 1985).
- 8) Ronald Reagan, " State of the Union 1986," Vital Speeches of the Day, Vol. 52, No. 10 (March 1, 1986) .
- 9) Jeane Kirkpatrick, "Nicaragua's Terrorist Friends," Boston Globe, May 11, 1986 .
- 10) Ibid .
- 11) New York Times, july 9, 1985.
- 12) New York Times, March 17, 1986.
- 13) New York Times, October 26, 1984. For the text see "terrorism and the Modern World" cited above .
- 14) Joseph Collins et ai. Nicaragua : What Difference Could a Revolution Make? New York : Grove Press, 1985, P. 264 .
- 15) New York Times, March 17, 1986.
- 16) Ronald Reagan, "Address to the Nation, April 14, 1986" Washington : Bureau of Public Affairs, U.S. Department on State, Selected Documents.No. 24 .
- 17) "Terrorism and the Modern World," op. cit.
- 18) Ibid .
- 19) Edward S. Herman, The Real Terror Network : Terrorism in Fact and Propaganda. Boston : South End Press, 1982, On this Subject see also Noam Chomsky, Turning the Tide : U.S. Intervention in Central America and the Struggle for Peace. Boston : South and Press, 1985.
- 20) Micheal McIntock, The American Connection : State Terror and Popular Resistance El Salvador, Guatemala, 2 vols. London : zed



books, 1984; Jan Nederveen Pieterse, Israel's Role in the third World Amsterdam: Emancipation Research, 1984; George Black, "Israeli Connection: Not Just Guns for Guatemala,:" NACLA Report, May / June, 1983, P. 43; Milton Jamail and Margo Gutierrez, It is No Secret: Israel's Involvement in Central America. Belmont, Mass: AAU 6 Press 1986; Herman, op. cit.

- 21) "Terrorism and the Modern World", op.cit.
- 22) Jack G. Shaheen. "The Holywood Arab : 1984 - 86," Mideast Monitor, Vol. . Nos. 1 & 2, 1986.
- 23) Boston Globe, June 16, 1986.
- 24) Boston Globe, June 22, 1986.
- 25) Boston Globe, June 16, 1986.
- 26) New York Times, April 18, 1986.
- 27) "Terrorism and the Modern World", "op. cit.
- 28) See also a Uri Ra'anani et al. Hydra of Carnage: International Linkages of Terrorism. Lexington, Mass: Lexington Books, 1986.
- 29) New York Times. October 3, 1986.



## الاتجاهات العامة في تطور الاقتصاد الاسرائيلي

بقلم : د. سمير عبدالله و سمير البرغوثي

الحلقة السابعة

### تجارة اسرائيل الخارجية

تعتبر التجارة الخارجية الجزء الاكثر اهمية في العلاقات الاقتصادية الخارجية . وهي عبارة عن عمل التبادل التجارى للسلع والخدمات مع العالم الخارجى . ويشتمل مصطلح العلاقات الاقتصادية الخارجية اضافة الى التجارة الخارجية انتقال رأس المال وعناصر الانتاج الاخرى ، والاقتراض من الخارج والتعاون في مجال البحث والتطوير التكنولوجي والمساعدات والسنوات الخارجية وما شابه . وتحكم هذه العلاقات اطر مختلفة، كاتفاقيات التبادل التجارى والبحث والتطوير الثنائية والجماعية ، او الارتباط بالتكتلات الاقتصادية او باتفاقيات للتكامل الاقتصادى التي تعتبر ارقى اشكال العلاقات الاقتصادية الدولية .

في هذه الحلقة لن نتوقف كثيرا عند اتفاقات اسرائيل الاقتصادية الخارجية، وسنورد اهم هذه الاتفاقات والتي لها كبير الاثر في تطور ارتباطاتها الاقتصادية الخارجية كميا ونوعيا . واهم هذه الاتفاقات :

١- اتفاقية التجارة الحرة مع السوق الاوروبية المشتركة التي وقعت عام ١٩٧٥ . والتي بموجبها ستدخل جميع المنتجات الاسرائيلية الى السوق الاوروبية المشتركة بدون رسوم جمركية (duty - Free) ومنذ عام ١٩٨٥ اصبحت جميع المنتجات الصناعية المصدرة للسوق المشتركة بدون رسوم جمركية .

٢- في عام ١٩٧٦ اصبحت اسرائيل مستفيدة من التفضيل العام لمنتجاتها في السوق الامريكى (U.S Generalized System of Preference) وذلك بموجب قرار

من الادارة الامريكية . وبموجب هذا التفضيل اصبحت الولايات المتحدة الامريكية بمفردها تستوعب ٣٠٪ من صادرات اسرائيل .

٣- في ابريل ١٩٨٥ وقعت اسرائيل اتفاقية منطقة التجارة الحرة ( FTA ) مع الولايات المتحدة الامريكية وبموجب هذه الاتفاقية سيجرى تقليص الرسوم الجمركية على السلع المبادلة بين الدولتين تدريجيا حتى عام ١٩٩٥ ، حيث ستلغي كافة الجمارك والقيود على التجارة بينهما كلياً .

ازافة الى تشييط تجارتها الخارجية ضمنت هذه الاتفاقيات لاسرائيل مركزا متميزا ، كوسيط بين السوق الاوروبية المشتركة والسوق الامريكي . اذ بسبب عدم وجود اتفاقات مشابهة بين هذين السوقين الكبيرين ، فان المستثمرين الاوروبيين الذين يتطلعون الى دخول السوق الامريكي ، والمستثمرين الامريكيين الذين يتطلعون الى دخول اسواق بلدان السوق الاوروبية المشتركة بمنتجاتهم ، سيجدون من الافضل توطين استثماراتهم في اسرائيل . بسبب ان هذا يمكنهم من تجنب العوائق الجمركية المفروضة على التبادل المباشر بين السوق المشتركة والسوق الامريكي . وبالتالي فان هذه الاتفاقيات سلحت اسرائيل بأدوات هامة لجذب الاستثمارات الاجنبية ، وزادت من اهمية التجارة الخارجية كأحد اهم عوامل تطور وتوسع الاقتصاد الاسرائيلي .

## ١- تطور اهمية التجارة الخارجية في الاقتصاد الاسرائيلي :

تنامت اهمية التجارة الخارجية بشكل مضطرد في الاقتصاد الاسرائيلي . ومن الممكن تشخيص المراحل التي مرت بها هذه الاهمية في مرحلتين رئيسيتين :

المرحلة الاولى : والتي تميزت بتقليص الاهمية النسبية للتجارة الخارجية وامتدت منذ نشوء اسرائيل وحتى اوائل الستينات . فقد هبطت نسبة التجارة الخارجية ( الصادرات + الواردات ) الى الناتج المحلي الاجمالي من ٧٥٫٩٪ عام ١٩٥٠ الى ٦٨٫٦٪ عام ١٩٦٥ كما في جدول ٧/١ وقد كان هذا التطور منسجما مع استراتيجية اطلاق الواردات التي ميزت السياسة الاقتصادية الاسرائيلية آنذاك حيث جرى تقليص الاعتماد على المستوردات في سد حاجة الطلب المحلي .

جدول رقم ٧/١

تطور نسبة الصادرات ، الواردات والصادرات والواردات الى الناتج المحلي لسنوات مختارة في الفترة ١٩٥٠ - ١٩٨٥ (١)

| ١٩٨٥  | ١٩٨٠ | ١٩٧٥ | ١٩٧٠ | ١٩٦٥ | ١٩٦٠ | ١٩٥٥ | ١٩٥٠ |                        |
|-------|------|------|------|------|------|------|------|------------------------|
| ٥٨٫١  | ٥٥٫٤ | ٦٥٫٩ | ٥٩٫٧ | ٤٣٫٩ | ٤٦٫٧ | ٤٤٫٥ | ٦٨٫٦ | الواردات               |
|       |      |      |      |      |      |      |      | الناتج المحلي الاجمالي |
| ٤٨٫٦  | ٤٣   | ٣٤   | ٣٠٫٥ | ٢٤٫٧ | ٢٣٫٦ | ١٤٫٣ | ٧٫٩  | الصادرات               |
|       |      |      |      |      |      |      |      | الناتج المحلي الاجمالي |
| ٤٣٫٧  | ٧٧٫٦ | ٥١٫٥ | ٥١   | ٥٦٫٣ | ٥٠٫٥ | ٣٣٫١ | ١١٫٦ | الصادرات               |
|       |      |      |      |      |      |      |      | الواردات               |
| ١٠٦٫٧ | ٩٤٫٤ | ٩٩٫٩ | ٩٠٫٢ | ٦٨٫٦ | ٧٠٫٣ | ٥٨٫٨ | ٧٥٫٩ | الصادرات والواردات     |
|       |      |      |      |      |      |      |      | الناتج المحلي الاجمالي |



المرحلة الثانية : وتتميز بتعاقد أهمية التجارة الخارجية بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي معدلات سريعة وقياسية . فقد ارتفعت نسبة التجارة ( المصادرات + الواردات ) الى الناتج المحلي الاجمالي من ٦.٨٦٪ عام ١٩٦٥ الى ٩.٠٢٪ عام ١٩٧٠ ثم الى ١٠.٦٧٪ عام ١٩٨٥ . يعود هذا التزايد الى استراتيجية السلع التصديرية التي بدأت منذ اواسط الستينات حتى يومنا هذا . ويعكس التذبذب في نسبة حجم التجارة الخارجية منذ اواخر السبعينات حجم الصعوبات التي باتت تواجهها هذه الاستراتيجية التي رهنت نمو الاقتصاد الاسرائيلي بالرواج في سوق التبادل الدولي وخصوصا في الدول الصناعية المتطورة . فهبوط الطلب على المصادرات الاسرائيلية يؤدى الى هبوط وارداتها من المواد الخام والسلع الوسيطة ، بسبب الاعتماد الكبير للاقتصاد الاسرائيلي على استيراد مدخلات الانتاج . وهذا يقود الى انخفاض حجم التجارة الخارجية في كلا جانبيه المصادرات والواردات .

كما يضاعف من الصعوبات التي تواجهها استراتيجية التصنيع الاسرائيلية انها تركز على التخصص في مجال الصناعات العسكرية ، التي ترتفع نسبة المخاطرة فيها عن بقية الفروع الصناعية ، يستند الرواج فيها على تصاعد التوتر في العلاقات الدولية وتعاقد سباق التسلح وتفاقم الحروب العالمية . ولذلك وجدت المراكز المسيطرة في الاقتصاد والسياسة الاسرائيليتين في سياسة الرئيس ريفن التي دأبت على توتير الوضع الدولي وممارسة سياسة الانتقام تجاه حركات التحرر الوطني ، فالتبا للخرج من براثن الازمة الاقتصادية الخانقة التي اوصلت الاقتصاد الاسرائيلي لها . لهذا السبب وقفت الى جانب كل خطوة من خطوات الادارة الامريكية بدون تحفظ . وشرعت في زج نفسها كترك في السياسة الكونية للادارة الامريكية ، وهي تحاول الحصول على حصة متزايدة الكبر في كفة سباق التسلح ، خصوصا في مبادرة الدفاع الاستراتيجي ( SDI ) التي تعتبر احد اهم اركانها .

## ٢- دراسة المصادرات :

### ١- تطور حجم المصادرات ونسبتها في الناتج المحلي الاجمالي :

ازدادت المصادرات الاسرائيلية الصافية ( بدون اعادة التصدير ) من ٣٥١ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى ٦.٧ مليار دولار عام ١٩٨٥ ، اي انها تضاعفت ١٩١ مرة تقريبا . وتحققت القفزة الرئيسية في حجم المصادرات خلال السبعينات ، حيث ارتفعت قيمة المصادرات الصافية من ٧٢٣.٦٦ مليون دولار عام ١٩٧٠ الى ٣.٥ مليار دولار عام ١٩٨٠ . اما في المرحلة السابقة لعام ١٩٧٠ فقد كانت زيادة المصادرات معتدلة نسبيا ، وفي المرحلة اللاحقة واجهت المصادرات الاسرائيلية عقبات كبيرة . فمصادرات عام ١٩٨٥ ارتفعت عن صادرات عام ١٩٨١ بـ ١١٪ فقط . كما عانت المصادرات من هبوط في عامي ١٩٨٢ ، ١٩٨٣ عن مستوى عام ١٩٨١ ( ٢ ) ان هذه المعطيات تبين تواضع معدل نمو المصادرات الاسرائيلية ، على الرغم من ان سياسة تشجيع التصدير اصحت تشكل حجر الزاوية في السياسة الاقتصادية الاسرائيلية وهي تكلف الخزينة الاسرائيلية مئات الملايين من الدولارات سنويا .

بصورة عامة تزايد اعتماد الاقتصاد الاسرائيلي على التصدير . فبعد ان كان هذا الاقتصاد يبيع ٨٪ من انتاجه المحلي الاجمالي في الاسواق الخارجية على ١٩٥٠ اصبح مضطرا لبيع ربع ناتجه المحلي الاجمالي في الستينات وحوالي نصف هذا الناتج في الثمانينات (راجع جدول ١/٧) .

## ب - بنية الصادرات الاسرائيلية :

حدثت تطورات جوهرية في بنية الصادرات الاسرائيلية ، واهم هذه التطورات :

- ١ - هبوط نسبة مساهمة الصادرات الزراعية بشكل مضطرد . اذ بعد ان كانت الصادرات الزراعية تشكل قرابة نصف الصادرات في اوائل الخمسينات اصبحت تشكل ١٦٫٦٪ من اجمالي الصادرات عام ١٩٧٠ ونحو ١٠٪ عام ١٩٨٠ تدهورت الى ٧٫٥٪ على ١٩٨٥ ( جدول ٢/٧ ) .
- اما قيمة الصادرات الزراعية فقد ارتفعت من ١٧ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى ١٢٩٫٦ مليون دولار عام ١٩٧٠ ثم ٥٥٥٫٧ مليون دولار عام ١٩٨٠ وهبطت الصادرات الزراعية لاول مرة خلال الثمانينات حيث لم تتعد ٤٦٨٫٥ مليون دولار عام ١٩٨٥ ( جدول ٢/٧ ) .

ان هذه المعطيات تأثرت الى حد كبير بازدياد اسعار السلع الزراعية عموما والغذائية بوجه خاص خلال السبعينات وهبوطها النسبي خلال الثمانينات وبالتالي فان الارقام عن قيمة الصادرات الزراعية لا تعكس بالضرورة تطورات في كميتها .

- ٢ - ارتفاع كبير في قيمة الصادرات الصناعية التي اصبحت تشكل المكون الرئيسي للصادرات الاسرائيلية . وقد ارتفعت نسبتها من نصف الصادرات عام ١٩٥٠ الى ٩٢٫٥٪ منها عام ١٩٨٥ .

ارتفعت قيمة الصادرات الصناعية من ١٨١ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى ٨٠٠ مليار عام ١٩٨٥ وكانت صادرات الماس المعقول تشكل نصف الصادرات الصناعية عام ١٩٥٠ ، هبطت نسبتها من الصادرات الصناعية الى نحو ربع هذه الصادرات عام ١٩٨٥ . ولكن فرع صناعة الماس ظل الفرع التصديري الاول من حيث حجم مساهمته في الصادرات الصناعية .

وفي نطاق الصادرات الصناعية يلاحظ تعاظم المكانة التصديرية لقطاع الالكترونيات الذي ارتفعت صادراته من ١٢٫٨ مليون دولار عام ١٩٧٠ الى ٧٩٣٫٦ مليون دولار عام ١٩٨٥ ، كما ازدادت المكانة التصديرية لفرعي الصناعات المعدنية والكيمياوية ومعدات النقل .

فقد ارتفعت قيمة الصادرات المعدنية من ٢٨٫٢ مليون دولار عام ١٩٧٠ الى ٥٠٧٫٥ مليون دولار عام ١٩٨٥ ، وارتفعت قيمة صادرات الصناعة الكيمياوية من ٥٢٫٩ مليون دولار الى ٢٦٠٫٢ مليون دولار عام ١٩٨٥ .

مليون دولار لنفس الفترة كما ارتفعت صادرات صناعة معدات النقل من ٩١ مليون دولار الى ١٤٧ مليون دولار لنفس الفترة ايضا ( جدول رقم ٢/٧ ) .

جدول رقم ٢/٧

بنية الصادرات الاسرائيلية (٣)

| ١٩٨٥           | ١٩٨٠           | ١٩٧٠           | ١٩٥٠           |                    |
|----------------|----------------|----------------|----------------|--------------------|
| مليون<br>دولار | مليون<br>دولار | مليون<br>دولار | مليون<br>دولار |                    |
| ٧٦٤ ٤٦٨        | ١٠٢ ٥٥٥        | ١٦٨ ١٢٩        | ٤٨٤ ١٧         | صادرات<br>زراعية   |
| ٩٢٤ ٥٦٦        | ٨٩٨ ٤٨٨        | ٨٣٢ ٦٣٧        | ٥١٦ ١٨         | صادرات<br>صناعية   |
| ١٠٠ ٦١٣        | ١٠٠ ٥٤٣        | ١٠٠ ٧٦٦        | ١٠٠ ٣٥         | اجمالي<br>الصادرات |

جدول رقم ٢/٧ ب

بنية الصادرات الصناعية الاسرائيلية بالنسب المئوية (٣)

| ١٩٨٥ | ١٩٨٠ | ١٩٧٠ |                      |
|------|------|------|----------------------|
| ٢٥٣  | ٣٣١  | ٣٨   | صناعة الحديد         |
| ١٤   | ٥٩   | ٢٤   | الصناعات الالكترونية |
| ٩    | ٧٧   | ٤٤   | الصناعات المعدنية    |
| ١٣٤  | ١٣٣  | ٨٣   | الصناعات الكيماوية   |
| ٧٣   | ٨٢   | ١٤   | معدات النقل          |
| ٣١   | ٣١٨  | ٤٥٥  | بقية الفروع الصناعية |
| ١٠٠  | ١٠٠  | ١٠٠  | المجموع              |

## اتجاه الصادرات الاسرائيلية :

يلاحظ حدوث تحولات هامة في اتجاه الصادرات الاسرائيلية اذ حدث تراجع كبير في مكانة السوق الأوروبية المشتركة ومنطقة التجارة الحارة كاسواق للصادرات الاسرائيلية في الوقت الذي ارتفعت مكانة سوق الولايات المتحدة الامريكية بشكل كبير جدا خلال الثمانينات . فكلما يلاحظ من



الجدول (٣/٧) ان السوق الاوروبية المشتركة اصبحت تستوعب قرابة ٣٠.٦٪ من الصادرات

جدول رقم ٣/٧

تطور اتجاه الصادرات الاسرائيلية في سنوات مختارة للفترة ١٩٥٠ - ١٩٨٥ (٤)

| ١٩٨٥    | ١٩٨٠ | ١٩٧٥ | ١٩٧٠ | ١٩٦٠ | ١٩٥٠ |
|---------|------|------|------|------|------|
| ٣٠.٦    | ٣٩.٤ | ٣٨.٨ | ٤٠   | ٤٩.٣ | ٤٨.٧ |
| ٤٥      | ٩.٣  | ٨.٧  | ٧.٨  | ١١   | ١٤.٨ |
| ٣٤.٢    | ١٧.٢ | ١٥.٨ | ١٩.١ | ١٣.٦ | ٢٣.٧ |
| ٣٠.٧    | ٣٤.١ | ٣٦.٧ | ٣٣.١ | ٢٦.١ | ١٢.٨ |
| ١٠٠     | ١٠٠  | ١٠٠  | ١٠٠  | ١٠٠  | ١٠٠  |
| المجموع |      |      |      |      |      |

الاسرائيلية في حين كانت تستوعب قرابة نصف الصادرات الاسرائيلية في الخمسينات وقرابة ٤٠٪ منها في السبعينات، كما ان نسبة الصادرات الى منطقة التجارة الحرة (EFTA) هبطت من ١٤.٨٪ من اجمالي الصادرات الاسرائيلية عام ١٩٥٠ الى ٩.٣٪ عام ١٩٨٠ ثم الى ٤.٥٪ عام ١٩٨٥.

اما نسبة الصادرات الاسرائيلية الى الولايات المتحدة فقد ارتفعت بشكل جوهري خلال الثمانينات . اذ ارتفعت من ١٧.٢٪ عام ١٩٨٠ الى ٣٤.٢٪ عام ١٩٨٥ . ومن المرجح ان تزداد اهمية السوق الامريكي كسوق للصادرات الاسرائيلية مع توقيع لاتفاقية التجارة الحرة بين الولايات المتحدة واسرائيل من جهة وللتعاون الوثيق في بعض الحقول الصناعية خصوصا الصناعات العسكرية ويصدد بحث اتجاه الصادرات الاسرائيلية تجدر الاشارة الى ان عدوان حزيران ١٩٦٧ فتح سوقا

جدول رقم ٤/٧

الصادرات الاسرائيلية الى الضفة الغربية وقطاع غزة بملايين الدولارات (٥)

| ١٩٦٧ | ١٩٧٥ | ١٩٨٠ | ١٩٨١  | ١٩٨٢  | ١٩٨٣  | ١٩٨٤  | ١٩٨٥  |
|------|------|------|-------|-------|-------|-------|-------|
| ١٤.٦ | ٨٣.٢ | ٨٣.٢ | ٥٨٢.٤ | ٦٦٤.٤ | ٦٤٨.٤ | ٧١٣.٢ | ٦١٩.٩ |
| ٢.٦  | ٩.٧  | ١٦.١ | ٩.٥   | ١٠.٥  | ١١.٠  | ١٢.٣  | ٩.٦   |
| ٨.٨  |      |      |       |       |       |       |       |

نسبة الصادرات الى  
الضفة والقطاع من  
اجمالي الصادرات  
الاسرائيلية

جديدة متنامية الاتساع امام الصادرات الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة . فقد ارتفعت قيمة هذه الصادرات من ١٤.٦ مليون دولار عام ١٩٦٧ الى ٨٣.٢ مليون دولار عام ١٩٧٠ ثم الى ٣٧١.٢ مليون دولار عام ١٩٧٥ وتضاعفت قيمة هذه الصادرات خلال النصف الثاني من السبعينات واول الثمانينات واستقرت في

حدود تزيد عن ٦٠٠ مليون دولار سنويا . وتزيد قيمة صادرات اسرائيل الى الضفة الغربية وقطاع غزة عن اجمالي صادراتها الى دول آسيا جميعها . كما انها تعادل اكثر من ضعف الصادرات الاسرائيلية الى منطقة التجارة الحرة الاوروبية ( EFTA ) واكثر من ستة اضعاف صادراتها الى افريقيا في عام ١٩٨٥ . ولا بد من التذكير هنا ، عن الفارق الجوهرى بين التبادل التجارى الاسرائيلي مع الدول الاخرى في اطار التجارة الخارجية وبين صادراتها الى الضفة الغربية وقطاع غزة ، اذ في حين يكون التبادل التجارى مع الدول الاخرى خاضع لموافقة طرفي العملية وعادة ما يحاول كل طرف تحقيق مصالحه من وراء ذلك التبادل ، فان صادرات اسرائيل الى المناطق المحتلة تتحقق لمصلحة الاقتصاد الاسرائيلي الذى يغرق اسواق الضفة الغربية بمنتجاته على حساب اعتماد تلك المناطق التي لا تمتلك اى نوع من الحماية او الدعم والتخطيط الوطنى الذى يتجيب مع مصالح ومتطلبات اقتصادها .

## ٢- دراسة الواردات الاسرائيلية :

### أ- تطور حجم الواردات ونسبتها في الناتج المحلى الاجمالي :

ارتفعت قيمة الواردات الاسرائيلية من ٣٠٢ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى ٨٣٢٠ مليون دولار عام ١٩٨٥ . ويلاحظ ان الجزء الاكبر من هذا الارتفاع حدث خلال عقد السبعينات الذى ارتفعت فيه الواردات من ١٥٠ الى قرابة ٨ مليار دولار ( ٦ ) . كما يلاحظ انخفاض معدلات نمو الواردات خلال الثمانينات بالمقارنة مع فترة العقود الثلاث السابقة . ويرجع السبب في هذا الانخفاض الى عاملين رئيسيين الاول : وينحصر في سياسة تقليص الاستيراد للسلع الاستهلاكية الكمالية الرامية الى تخفيض عجز الميزان التجارى ، والثاني يعود الى انخفاض طلب قطاع الصناعات التصديرية على مدخلات الانتاج الوسيط والاستثمارية بسبب صعوبات التصدير وانحسار الطلب الخارجى على السلع الاسرائيلية .

وبالنسبة لنسبة الواردات الى الناتج المحلى الاجمالي فقد ارتفعت من ٤٤ر٪ عام ١٩٥٥ الى ٦٥ر٪ عام ١٩٧٥ ، ثم هبطت الى ٥٥ر٪ عام ١٩٨٠ وعادت للارتفاع من جديد حيث بلغت ٥٨ر٪ عام ١٩٨٥ ( جدول رقم ١/٧ ) . تبين هذه المعطيات درجة اعتماد الاقتصاد الاسرائيلي على المنتجات الخارجية لسد حاجة السوق المحلى فيها من السلع الاستهلاكية والوسيط والاستثمارية . ان ارتفاع درجة الاعتماد هذه تعود بالدرجة الاولى الى اعتماد الصناعات الاسرائيلية على المواد الخام المستوردة كما يظهر في بنية الواردات .

### ب- بنية الواردات :

يصدق بنية الواردات الاسرائيلية يمكن ملاحظة المظاهر التالية :

اولا : تناقص مضطرب في نسبة السلع الاستهلاكية في الواردات . فقد هبطت هذه النسبة من ٢٥٤٪ عام ١٩٥٠ الى ٩٨٪ عام ١٩٧٠ ثم الى ٦٨٪ عام ١٩٨٠ و ٧٥٪ عام ١٩٨٥ ( جدول ٥/٧ ) . اما قيمة الواردات الاجمالية من السلع الاستهلاكية فقد مرت بمرحلة هبوط خلال

جدول رقم ٥/٧

بنية الواردات الاسرائيلية مصنفة حسب طريقة الاستعمال (٨)

| ١٩٨٥ | ١٩٨٠ | ١٩٧٠ | ١٩٦٠ | ١٩٥٠ |                         |
|------|------|------|------|------|-------------------------|
| ٧٥   | ٦٨   | ٩٨   | ٨٨   | ٢٥٤  | سلع استهلاكية           |
| ٧٥٥  | ٨١١  | ٦٦٥  | ٧٠٣  | ٥٦   | سلع وسيطة ومدخلات إنتاج |
| ١٧   | ١٢١  | ٢٣٧  | ٢٠٩  | ١٨٦  | سلع استثمارية           |
| ١٠٠  | ١٠٠  | ١٠٠  | ١٠٠  | ١٠٠  | المجموع                 |

الخمسينات حيث هبطت من ٧٦٧ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى ٤٤١ مليون دولار عام ١٩٦٠ (٧) ، ثم مرحلة ارتفاع بعد ذلك ولكن بمعدلات معتدلة بالمقارنة مع معدلات نمو المكونات الاخرى للواردات . كما يلاحظ ان معدلات نمو الواردات من السلع الاستهلاكية هبطت خلال الثمانينات بالمقارنة مع السبعينات . ويعود الهبوط في واردات السلع الاستهلاكية خلال الخمسينات الى استراتيجية احلال الواردات من جهة ، وسياسة التقييد على استيراد السلع الاستهلاكية التي يوجد مثيل او بديل محلي لها . وقد جرى التخلي التدريجي عن تقييد الاستيراد والاتجاه نحو الليبرالية في التجارة الخارجية مع التحول الى استراتيجية السلع التصديرية منذ اوائل الستينات . اما هبوط معدلات نمو الواردات من السلع الاستهلاكية خلال الثمانينات فيعود بالدرجة الاولى الى حالة الركود الاقتصادى وهبوط مستوى المعيشة .

ثانيا : ارتفاع مضطرب في نسبة المدخلات الانتاجية ( المواد الخام والوسيط ) . اذ ارتفعت نسبتها الى اجمالي الواردات من ٥٦٪ عام ١٩٥٠ الى ٨١٪ عام ١٩٨٠ . وهبطت عام ١٩٨٥ الى ٧٥٪ . وارتفعت قيمة هذا البند من الواردات من ١٦٩١ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى ٩٧٢٤ مليون دولار عام ١٩٧٠ ثم الى ٦٤٨١ مليون دولار عام ١٩٨٠ . وهبطت قيمتها الى ٦٢٨٤٩ مليون دولار (٩) عام ١٩٨٥ . وتشكل المستوردات من الماس والنفط الخام اهم سلعتين في واردات السلع الوسيطة .

ان كبر وتزايد المدخلات الانتاجية في الواردات الاسرائيلية يعود بالدرجة الاولى الى شحة المواد الخام المحلية . كما ان المساعي المحمومة للتوسع في الصناعات التصديرية كان يحتم زيادة الواردات من المواد الخام والوسيط من الخارج اقتداءا بالتجربة اليابانية . وقد اظهرت الثمانينات كبر المجازفة التي تكتنف استراتيجية الصناعات التصديرية ، حيث يكون الاقتصاد مرتبط بالتقلبات في اسواق التصدير من جهة ، والمنافسة الشديدة في هذه الاسواق من جهة اخرى .

وكان الامر بالنسبة لاسرائيل اكثر سوءا بسبب اتجاهات التخصص في التكنولوجيا المتطورة والتكنولوجيا العسكرية منها بوجه خاص، التي تزداد درجة المجازفة فيها بالمقارنة مع الفروع الصناعية الاخرى. وذلك بسبب ارتفاع تكاليف البحث والتطوير من جهة وسرعة التقادم في هذه الصناعات من جهة اخرى، هذا بالإضافة الى محدودية اسواق الاستيعاب الحالية لمثل هذه الصناعات.

ثالثا: ارتفاع في قيمة المستوردات من السلع الاستثمارية (الات والمعدات الانتاجية). فقد ارتفعت قيمة المستوردات من هذه السلع من ٥٦٢ مليون دولار على ١٩٥٠ الى ٣٤٧ مليون دولار عام ١٩٧٠، ثم الى ٩٦٩ مليون دولار عام ١٩٨٠ و ١٢٤ مليار دولار عام ١٩٨٥ (١٠) اما نسبة قيمة السلع الاستثمارية في اجمالي الواردات فقد ارتفعت بشكل معتدل خلال الفترة ١٩٥٠ - ١٩٧٠ اذ ارتفعت من ١٨٦٪ الى ٢٣٧٪، ثم هبطت الى ١٢١٪ عام ١٩٨٠ وارتفعت بصورة حادة الى ١٧٪ عام ١٩٨٥. ان تزايد نسبة الاعتماد على السلع الاستثمارية خلال المراحل الاولى للتطور يعتبر ظاهرة عامة بالنسبة لكافة الدول التي تسعى لبناء قاعدتها الصناعية. اما الهبوط النسبي في اهمية السلع الاستثمارية في الواردات خلال السبعينات، فيبين اكتمال بناء القاعدة الانتاجية مبرة كافية. الا ان الارتفاع الحاد الجديد خلال الثمانينات فيدل على اتساع عملية التجديد في القاعدة الانتاجية وازدياد نسبة التكتيف في التكنولوجيا المستخدمة.

## ج- مصادر الواردات الاسرائيلية :

كما يظهر في الجدول (٦/٧)، يلاحظ التغيرات التالية في مصدر الواردات الاسرائيلية :

جدول رقم ٦/٧

مصادر الواردات الاسرائيلية حسب مجموعات الدول (١١)

| ١٩٨٥ | ١٩٨٠ | ١٩٧٥ | ١٩٧٠ | ١٩٦٠ | ١٩٥٠ |
|------|------|------|------|------|------|
| ٤٣٨  | ٣٣٧  | ٤٢١  | ٤٧٢  | ٤١٧  | ٢٣١  |
| ٨٩   | ١٠٨  | ٦٦   | ٨٥   | ٩٧   | ٦٣   |
| ٢٠٢  | ١٩٣  | ٢٤   | ٢٢٢  | ٢٩١  | ٣٥٣  |
| ٢٧١  | ٢٦٢  | ٢٧٣  | ٢٢١  | ١٩٥  | ٣٥٣  |

اولا : تزايد اهمية السوق الاوروبية المشتركة كمصدر للواردات الاسرائيلية. فقد ازدادت نسبة الواردات منها الى اجمالي الواردات من ٢٣١٪ عام ١٩٥٠ الى ٤٧٢٪ عام ١٩٧٠ هبطت الى ٢٣٧٪ عام ١٩٨٠ ولكنها عادت الى ٤٣٨٪ عام ١٩٨٥. وتحتل هذه السوق المرتبة الاولى في قائمة المعزودين للسوق الاسرائيلي بالمنتجات، ويبدو ان الهبوط الذي عانت منه واردات اسرائيل من السوق الاوروبية المشتركة عام ١٩٨٠ كان ذو طابع طارئ كما يظهر من الاحصاءات للسنوات



السابقة واللاحقة لهذا العام . فقد كانت نسبة المستوردات من السوق المشتركة ٤١٨٪ عام ١٩٧٨ ،

٣٦٤٪ عام ١٩٧٩ ، ٣٧٪ عام ١٩٨٢ ، ٤٠٪ عام ١٩٨٣ (١٢) .

ثانيا : تحتل الولايات المتحدة الامريكية المرتبة الثانية في قائمة الدول المزودة لاسرائيل

بالمنتجات . وهي عمليات تحتل الدولة الاولى في العالم من حيث مساهمتها في واردات اسرائيل ، اذ

ان السوق المشتركة تضم تسعة دول . وكما يظهر في الجدول ٦/٧ فقد كانت الولايات المتحدة

تحتل المرتبة الاولى في عام ١٩٥٠ حيث كانت تسهم ب ٣٥٣٪ من واردات اسرائيل ، تراجعت

هذه النسبة مع بعض التذبذبات غير الحادة بين سنة واخرى . وبلغت هذه النسب عام ١٩٨٥

قراءة خمس واردات اسرائيل . وغالبية واردات اسرائيل من الولايات المتحدة من مدخلات الانتاج.

ثالثا : خارج اطار السوق المشتركة والولايات المتحدة الامريكية تستورد اسرائيل جزءا هاما

من صادراتها من الدول الاسيوية ، وبرز زبائن اسرائيل حاليا اليابان وجنوب افريقيا وكندا (١٣)

كما تستورد اسرائيل اقل من ١٠٪ من وارداتها من منطقة التجارة الحرة الاوروبية .

رابعا : اما واردات اسرائيل من المناطق المحتلة ( الضفة الغربية وقطاع غزة ) فهي محدودة

جدا من حيث حجمها ومن حيث اهميتها في اجمالي الواردات الاسرائيلية . وكما يظهر الجدول

٧/٧ فقد ارتفعت قيمة هذه الواردات من ٢٠٩ مليون دولار عام ١٩٧٠ الى ٢٢٤٤ مليون دولار

عام ١٩٨٠ ، حيث بلغت اعلى مستوى لها ثم هبطت الى ١٧٧٨ مليون دولار عام ١٩٨٥ ومن

الملاحظ ان نسبة هذه الواردات الى اجمالي الواردات الاسرائيلية ظلت محدودة جدا وبلغت ٢٩٪

#### جدول رقم ٧/٧

واردات اسرائيل من الضفة الغربية وقطاع غزة ونسبتها الى اجمالي الواردات  
الاسرائيلية

| ١٩٦٧                               | ١٩٧٠ | ١٩٧٢ | ١٩٧٥ | ١٩٧٨ | ١٩٨٠ | ١٩٨٤ | ١٩٨٥ |
|------------------------------------|------|------|------|------|------|------|------|
| الواردات                           | ١٩   | ٢٠٩  | ٤٠٩  | ١٢٣٣ | ١٥٧٨ | ٢٢٤٤ | ١٩٥٧ |
| نسبتها الى الواردات<br>الاسرائيلية | ٠٢   | ١٤   | ٢    | ٢٩   | ٢٦   | ٢٧   | ٢٣   |
|                                    |      |      |      |      |      |      | ٢١   |

في اعلى مستوى لها في عام ١٩٧٥ .

اما تفسير تطور واردات اسرائيل من المناطق المحتلة في حد ذاتها فيلقى ضوءا على طبيعة تقسيم العمل الذي بدأ يتكون بين اسرائيل وهذه المناطق بعد الاحتلال ، حيث اصبحت الضفة وغزة موردا رئيسيا لحجر البناء وبعض مواد البناء الاخرى بسبب ان مكان هذه المادة موجودة اصلا في المناطق المحتلة ، ثم بسبب تحييد الشركات الاسرائيلية لنقل بعض العمليات الصناعية التي تحتاج لايدى عاملة كثيفة الى المناطق المحتلة ، وذلك من اجل استغلال العمل المنخفض التكاليف

فيها . ويمثل هذا في اقامة مئات مشاغل صناعة الملابس والاحذية التي تعمل بموجب عقود مع هذه الشركات .

### ٤- عجز الميزان التجاري :

تتاني اسرائيل من عجز مزمن في ميزانها التجاري ، فمنذ اقامتها لم تشهد فائضا في ميزانها التجاري في اي سنة من السنوات حتى الان . وارتفعت قيمة العجز من ٢٦٥ر٢ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى ٣٠٦٤ مليون دولار عام ١٩٨٣ حيث بلغ العجز رقما قياسيا ، هبط بعدها الى ٢٠٢٥ مليون دولار عام ١٩٨٤ ثم الى ١٥١٦ مليون دولار عام ١٩٨٥ . وقد بلغ عجز الميزان التجاري التراكم منذ عام ١٩٤٩ وحتى ١٩٨٥ اكثر من ٣٣ مليار دولار (١٥) .

اما عجز الميزان التجاري بالنسبة للفرد من السكان فقد ارتفع من ٢٠٩ دولار عام ١٩٥٠ الى ٧٤٦ دولار عام ١٩٨٣ وهو اعلى مستوى يصله هذا العجز . اما في عام ١٩٨٥ فقد بلغ ٣٥٤ دولار (١٦) .

يتحقق الجزء الاكبر من عجز الميزان التجاري الاسرائيلي في مبادلاتها مع اوربا الغربية وخصوصا مع مجموعة السوق الاوروبية المشتركة . فقد ارتفعت قيمة العجز في الميزان التجاري مع هذه المجموعة ( السوق المشتركة ) من ٥٢٦ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى ٣٧٨١ مليون دولار عام ١٩٧٠ ثم الى ١٧ مليار دولار عام ١٩٨٥ . اما مجموعة منطقة التجارة الحرة الاوروبية فقد وصل العجز معها الى ٤٦٢ مليون دولار عام ١٩٨٥ . وكان الميزان التجاري مع بقية الدول الاوروبية متوازنا تقريبا (١٧) .

مقابل ذلك فقد حقق الميزان التجاري مع دول آسيا وافريقيا وامريكا فائضا في معظم السنوات . يلاحظ ان الميزان التجاري مع الولايات المتحدة حقق فائضا في عام ١٩٨٥ ، بعد ان كان يحقق عجز بصورة دائمة في السنوات السابقة . كما ان الميزان التجاري مع المناطق المحتلة حقق لاسرائيل فائضا وصلت قيمته اكثر من فائض الميزان التجاري مع دول آسيا واورقياوسيا مجتمعة خلال الثمانينات . وقد ساعد هذا في تقليص عجز الميزان التجاري الكلي . فكما في الجدول (٨/٧)

جدول رقم ٨/٧

عجز الميزان التجاري الاسرائيلي قبل وبعد احتساب التجارة مع الضفة الغربية وقطاع غزة لسنوات مختارة بالدولار (١٨)

|                                                    | ١٩٧٠ | ١٩٧٥ | ١٩٧٨ | ١٩٨٠ | ١٩٨١ | ١٩٨٢ | ١٩٨٣ | ١٩٨٤ | ١٩٨٥ |
|----------------------------------------------------|------|------|------|------|------|------|------|------|------|
| للمعزبون التجارة مع الضفة الغربية وقطاع غزة        | ٢٣٥  | ٦٥٨  | ٥١٤  | ٦٥٦  | ٦٣٠  | ٧٢٨  | ٨٥٠  | ٥٨٣  | ٤٥٢  |
| للمعزبون احتساب التجارة مع الضفة الغربية وقطاع غزة | ٢١٤  | ٥٨٦  | ٤٤٩  | ٥٦٣  | ٥٣٥  | ٦٣١  | ٧٤٦  | ٤٨٢  | ٣٥٤  |
| رق                                                 | ٢١   | ٥٢   | ٦٥   | ٩٣   | ٩٥   | ٩٧   | ٩٤   | ١٠١  | ٩٨   |

يلاحظ انه بعد احتساب التجارة الخارجية بين اسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة يتقلص عجز الميزان التجاري للفرد بنسبة واضحة . ففي عام ١٩٧٠ تقلص هذا العجز بمقدار ٢١ دولار ثم ٥٢ دولار عام ١٩٧٥ ووصل هذا التقلص اكثر من ٩٥ دولار كمتوسط خلال الثمانينات .

xxxxxxxxxxxx

تبين دراسة تطور التجارة الخارجية في اسرائيل الاتجاهات الرئيسية التالية :

اولا : اصبحت التجارة الخارجية من اهم العناصر المحددة لنمو الاقتصاد الاسرائيلي بسبب

الاعتماد الكبير على استيراد المواد الخام والمواد الوسيطة من جهة ، وبسبب الاعتماد على الاسواق الخارجية لتسويق جزءا هاما ومتزايدا من الناتج المحلي الاسرائيلي . وادى هذا الوضع الى ازدياد حساسية الاقتصاد الاسرائيلي للتطورات في الاسواق العالمية .

ثانيا : ازدياد اعتماد اسرائيل على سوق الولايات المتحدة الامريكية في تسويق منتجاتها . وهذا التزايد لم ينجم عن آلية السوق والمنافسة وانما كان نتيجة للتسهيلات الواسعة التي منحتها الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل ، ونتيجة للعقود المتزايدة التي ضمنها الشركات والمؤسسات الامريكية للشركات الاسرائيلية خصوصا في نطاق الصناعات العسكرية . ويعتبر هذا احد اهم مظاهر التحالف الاستراتيجي القائم بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية .

ثالثا : كما تبين الدراسة حجم الفائض التجاري الذي تحققه اسرائيل من المناطق المحتلة ( الضفة الغربية وقطاع غزة ) - هذا الفائض الذي يلف من عجز ميزانها التجاري بالاضافة للارباح الصافية التي تحققها من تجارتها مع هذه المناطق ولا بد من الاشارة هنا ان المستوردين والمصدرين الاسرائيليين في المناطق المحتلة يتعاملون معها من موقع احتكاري في الغالب ، مما يزيد من هامش ارباحهم ويمكنهم من استنزاف اقتصادها في جانبي عملية التبادل - التصدير والاستيراد - ان هذا يبرز احد اسباب تمسك اسرائيل باحتلالها ، واصرارها على التمسك بسيطرتها على هذه المناطق في اي حل من الحلول السياسية المطروحة .

رابعا : كما تبين بنية الصادرات الاسرائيلية تنامي دور الصناعات الالكترونية والمعدنية ، او ما يطلق عليه بالمصطلحات الاسرائيلية صناعات التكنولوجيا المتقدمة ، ولما كانت هذه الصناعات تتركز في الصناعات العسكرية ، فان ذلك يبين سبب دعم اسرائيل لسياسة توتير الوضع الدولي التي تميز سياسة الادارة الامريكية الحالية بدون اية تحفظات . اذ ان هذا النوع من الصناعات لا ينتعش الا في ظروف التوتر والحروب . وتسعى اسرائيل من خلال ذلك لعب دور متزايد الاهمية في السياسة الكونية للادارة الامريكية ولحلف الاطلسي ، وربما ان هذا سيمكنها في نهاية الامر من امتلاك بطاقة العضوية في هذا الحلف .

كما ان اسرائيل ومن خلال تطوير صناعات التصدير العسكرية تسعى الى فك طوق العزلة السياسية والاقتصادية التي عانت وما زالت تعاني منها في اسواق الدول النامية .

1) Statistical Abstract of Israel , No 37, 1986, Jerusalem, 1986, P.170.



- 2) S.A.I. Ibid, PP. 210.
- 3) S.A.I. No 37, P 5, No 31, 1980.
- 4) S.A.I. Ibid. PP,217.
- 5) S.A.I. Ibid. PP 210,211.
- 60 S.A.I. Ibid. PP 216
- 7) S.A.I. Ibid. PP.5.
- 8) S.A.I. Ibid. PP.5.
- 9) S.A.I. Ibid. PP.5.
- 10)S.A.I. Ibid. PP.5
- 11)S.A.I. Ibid. PP.216 - 218.
- 12)S.A.I. No 31, 1980.No 37,1986.

(١٢) يظهر في بيانات الواردات في المجموعة الاحصائية المشار اليها

- 14)S.A.I. No 37, 1986 PP 210 - 211.
- 15) S.A.I. Ibid PP.210 - 211.
- 16) S.A.I.Ibid PP .211.
- 17) S.A.I. Ibid. P 216 - 2188.
- 18) S.A.I, Ibid. P 211.



# الأوضاع الصحية في قطاع غزة



اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية

## مقدمة:

تبلغ مساحة قطاع غزة ١٣٥ ميلا مربعا ، وهو يمتد طولا الى ٣٥ ميلا وعرضا الى خمسة اميال . ويقطن القطاع حوالي نصف مليون نسمة ، غالبيتهم من اللاجئين الذين طردوا من قراهم وشردوا عنها عام ١٩٤٨ ، وقد ارتفع عدد السكان في حينه الى ثلاثة اضعاف ، اي من ٨٠ر٠٠٠ نسمة الى ٢٦٠ر٠٠٠ . وتشير الاحصائيات في يومنا هذا الى انه يوجد في القطاع ٤٢٧ر٨٩٢ لاجئا يقيم ٢٣٦ر٤٨٦ منهم في المخيمات ١٠ (١) اما عدد السكان الاجمالي للقطاع فيبلغ حوالي ٥٠٩ر٠٠٠ نسمة ٠ (٢)

وعلى الرغم من مضي ثمان وثلاثون سنة لا يزال سكان المخيمات الفلسطينية يعيشون في تلك التخشيبيات المتهالكة غير الصحية والمتراصة بجانب بعضها البعض التي كانت منذ عام ١٩٤٨ ولا تزال حتى يومنا هذا تشكل الوحدة السكنية الاساسية للمخيمات .

ان الاكتظاظ والفقر وسوء الاوضاع الاقتصادية قد اصبح السمة المميزة للقطاع مما انعكس على اوضاعه المختلفة الصحية والاجتماعية ، وجعل من معالجة المشاكل الصحية المختلفة كتراكم القذورات وانتشار الوبئة امرا عسيراً . اضاف الى ذلك ان القوى العاملة في قطاع غزة والمكونة في الاساس من العمال غير الفنيين ، تعيش ظروف قاسية . فهي تعتمد في الاساس على العمل داخل الخط الاخضر باجور منخفضة وظروف عمل غير ثابتة وبدون ضمانات اجتماعية او صحية ، مما جعل هذه الطبقة تعيش في حالة من العناء الشديد وعدم الاستقرار .

## بعض المؤشرات الصحية:

على ارقام دقيقة تحدد نسبة وفيات الاطفال في غزة دون عمل مسح صحي بحيث يغطي قطاعا واسعا من السكان . وفي ظل ندرة هذا النوع من الابحاث الدقيقة لا يسعنا سوى استعمال تقدير عام يتراوح ما بين ٥٠ الى ٨٠ وفاة لكل ١٠٠٠ ولادة .

وعلى سبيل المقارنة تفيد التقارير التي صدرت عن المكتب المركزي الاسرائيلي للاحصائيات بان نسبة وفيات الاطفال في اسرائيل لعام ١٩٨٢ قد بلغت ١٤ وفاة لكل ١٠٠٠ ولادة (٤) .

وفي دراسة اخرى اجريت على السكان اللاجئين في المخيمات اظهرت النتائج ان المسببات الرئيسية لوفاة الاطفال في مخيمات قطاع غزة هي الامراض المعدية المعوية والتي تشكل ٤٦٪ من مجموع الوفيات بينما تحتل امراض الجهاز التنفسي المرتبة الثانية حيث تشكل ٢٨٪ من مجموع الوفيات (٥) . ومن المعروف ان الوفيات التي تحدث بسبب الامراض انفة الذكر لها علاقة وثيقة بالوضع الاقتصادي للسكان . كما انه بالامكان تجنب هذه الامراض وبالتالي تفادي الوفيات عن طريق توفير ظروف السكن الملائمة وتحسين الظروف الصحية للبيئة المحيطة وبرامج التوعية الصحية الى جانب وجود تسهيلات تساعد على توفير الخدمات الصحية .

وفي دراسة اخرى اجريت بالاعتماد على تقارير احدى المستشفيات في غزة تبين انه في عام ١٩٧٩ كان ٤٣٪ من مجموع وفيات الاطفال بين عمر شهر واحد وثلاث سنوات قد حدثت بسبب الامراض المعدية المعوية (٦) .  
ب - الاصابة بالطفيليات :

اجريت دراسة ميدانية في عام ١٩٧٦ في

لا تتوفر حاليا مدلولات شاملة ودقيقة عن الامراض الصحية لسكان قطاع غزة . الا اننا ارتأينا تحليل واستعراض بعض المؤشرات الصحية المتوفرة والتي تعطي صورة عن الوضع الصحي في القطاع .

ان نسبة وفيات الاطفال هي من المؤشرات الصحية العامة التي تعكس الوضع الصحي لاية مجموعة من السكان . ونسبة وفيات الاطفال هي عدد الاطفال الذين يموتون لاسباب صحية خلال السنة الاولى من حياتهم من اصل ١٠٠٠ ولادة .

وعلى الرغم من وجود تناقض في الارقام حول معدل الوفيات الا انه من المسلم به ان نسبة وفيات الاطفال في القطاع هي نسبة عالية، وعلى سبيل المثال أصدرت السلطات العسكرية الاسرائيلية في عام ١٩٨١ احصائياتها وقدمتها الى منظمة الصحة العالمية رجا فيها ان نسبة وفيات الاطفال في منطقة غزة تبلغ ٤٣ وفاة لكل ١٠٠٠ ولادة .

وقد واجهت هذه الارقام انتقادات على مستوى واسع مما حدا بالسلطات الى تغيير لجهة التقرير الذي تلى في عام ١٩٨٦ ، حيث ورد فيه ان نسبة وفيات الاطفال المذكورة فيه تنكسر فقط عدد الوفيات التي تم التبليغ عنها . اضافة الى ذلك اورد التقرير ذاته استمرافا بدراسة ميدانية اجراها المكتب المركزي الاسرائيلي للاحصائيات والتي مفادها ان نسبة وفيات الاطفال في غزة تبلغ حوالي ٣٠ وفاة لكل ١٠٠٠ ولادة (٣) .

وبهذا يتبين لنا انه من الصعب الحصول

احدى قرى قطاع غزة شملت ٢٥٠٠ طفلا يذهبون الى المدرسة، وكانت نتائج هذه الدراسة ان ما يزيد عن ٥٠٪ من هؤلاء الاطفال مصابين بواحدة او اكثر من الطفيليات المعوية (٧) .

وفي دراسة اخرى اجريت عام ١٩٧٩ على اطفال من قرية جباليا ( وحيث تم اختيار هؤلاء الاطفال في دون سن المدرسة) . دلت النتائج ان ٦٢٪ من الاطفال ذاتهم مصابين بفقر الدم . وقد اقترحت هذه الدراسة وجود علاقة بين الاصابة بالطفيليات والوضع التغذوي لدى الاطفال (٨) .

وتتurf الاوساط الصحية حاليا بان الامراض المعدية المعوية قد تلعب دورا هاما في تصعيد التعقيدات التي ينتج عنها سوء التغذية عند الاطفال .

وقد تبين من هاتين الدراستين ان الطفيليات الاكثر انتشارا في قطاع غزة هي الاسكارس الجiardia والانكليستوما .

#### ج- سوء التغذية :

تعتبر نسبة سوء التغذية بين اللاجئين في قطاع غزة من اعلى النسب مقارنة مع المناطق الاخرى التي تديرها وكالة الغوث في انحاء العالم . وهذه المناطق هي المخيمات في الاردن والضفة الغربية وسوريا ولبنان (٩) فقد قامت وكالة الغوث بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية باجراء مسح يتعلق بالوضع التغذوي في غزة وتم عمل المسح في عام ١٩٨٤ ، وقد شمل مخيمات اللاجئين في الاردن والضفة الغربية وقطاع غزة .

ودلت نتائج المسح ان نسبة سوء التغذية

المزمن قد تدنت منذ عام ١٩٧٤ في المخيمات الموجودة في الاردن وفي الضفة الغربية بينما بقي الحال كما هو في مخيمات قطاع غزة (١٠) .

وفي دراسة اخرى اعتمدت على تقارير عيادات الاطفال بين عمر ٢ - ٥ سنوات في اربعة مخيمات للاجئين في غزة جرى البحث فيها على ٤٠٠٧ طفلا دلت النتائج ان ٢٥٨٪ من مجموع الاطفال المبحوثين مصابين بسوء التغذية الناتج عن نقص في البروتينات والسعرات الحرارية (١١) . استخدمت في هذه الدراسة مقاييس متعارف عليها عالميا تركز على العلاقة بين الطول والوزن كمقياس للوضع التغذوي .

#### د- العمى :

ان حالات الاصابة بالعمى المنتشرة في قطاع غزة هي من النوع الذي بالامكان تفادي حدوثه والوقاية منه . ومعظم الحالات تكون نتيجة للأمراض التالية : - التراخوما ، التراخوما العنسية والتهاب ملتحمته . وتنتج هذه الامراض بسبب الاوضاع الصحية والبيئية السيئة وبالامكان معالجة هذه الامراض في مرحلة مبكرة في حالة توفر التسهيلات اللازمة وقد دلت نتائج مسح اختص بامراض العيون ومدى انتشارها في قطاع غزة ان المنطقة تعتبر حسب تصنيف منظمة الصحة العالمية من مناطق الاصابة عالية الخطورة ، كما ورد في ذلك التقرير ان ١٤٪ من سكان القطاع يعانون من فقدان البصر في كلتا العينين وعلى سبيل المقارنة تبلغ هذه النسبة بتلك الحالة في المملكة المتحدة ٠٢٪ فقط

## الاكتظاظ السكاني

يتميز قطاع غزة بكثافة سكانية عالية تصل الى ١٤٥٠ شخصا لكل كيلو متر واحد مربع . وتغير المصادر الاسرائيلية ان ٧٦٪ من سكان القطاع يعيشون في بيوت مكونة من ثلاثة غرف اواقل يسكن فيها معدل ٦٦ فرد لكل بيت (١٥) ان كثافة سكانية عالية بالدرجة المذكورة توفر افضل الظروف لتسهيل عملية انتقال وعدوى الاصابة بين افراد العائلة الواحدة .

### ٤ - الخدمات الصحية :

يوجد في قطاع غزة جهازات رئيسيان يعملان في مجال الخدمات الصحية . يدار الاول من قبل السلطات العسكرية والآخر من قبل وكالة الغوث . وتنفق السلطات العسكرية ثلاثين دولارا سنويا للفرد الواحد في مجال الصحة (١٦) بينما تنفق وكالة الغوث ستة عشرة دولارا في السنة للفرد الواحد من اللاجئين (١٧) ولغرض المقارنة نعطي مثلا لما يعبر ميزانية وافية للخدمات الصحية : تنفق الحكومة الاسرائيلية عما يقدر بحوالي ٣٥٠ دولارا سنويا على الفرد الاسرائيلي في مجال الرعاية الصحية (١٨)

وفي عام ١٩٨٤ دلت الاحصائيات ان سرير مستشفى واحد متوفر لكل ٥٨٤ شخص مقيم في غزة (١٩) . ويختلف الوضع في اسرائيل حيث ان عدد الاسرة المتوفرة للاسرائيليين يفوق بثلاثة اضعاف تلك المتوفرة في قطاع غزة (٢٠) . هذا وقد بلغ العدد الاجمالي لاسرة المستشفيات في غزة عام ١٩٧٤ ١٠٠٤ سرير

## الماء : توفر الماء للاستعمال :

يستدل من مصادر البحث الاسرائيلية ان ٤٩٪ من مجموع سكان قطاع غزة لا تتوفر لهم امدادات للمياه داخل سكتاهم . حيث انهم يقومون عادة بجمع المياه من الحفريات العامة الموجودة في ( ساحات ) مراكز المخيم . (١٣) ونتيجة لصعوبة عملية جمع الماء فان الكمية التي تستهلك تكون محدودة وبالتالي تتأثر الكميات من المياه اللازمة والمستعملة لغراض النظافة الشخصية والمنزلية .

الطرق المتبعة في المخيمات للتخلص من الباء الاسنة ( المياه المستعملة للغسيل والنظافة الشخصية ) ومياه المجارى :

ان التخلص من المياه القدرة والمستعملة في النظافة البيئية في مخيمات قطاع غزة يتم عن طريق شبكة من القنوات الضيقة المكشوفة والتي تصب في برك مفتوحة او في حفر ترشيح داخل المخيم او قريبا منه . وتؤدي هذه الطريقة عمليا الى تكوين برك من المياه القدرة داخل وحول منطقة المخيم ، وتصبح هذه البرك مرتعا لتوالد وتكاثر مختلف انواع الحشرات الناقلة للأمراض .

اما عن المجارى فان معظم البيوت لديها حفر امتصاصية تستعمل لجمع الفضلات (الفاائط) الا ان هذه الحفر تفيض بمحتوياتها في كثير من الاحيان وانهما تفرغ من تلك الحفر لتصب في قنوات مفتوحة فيصبح وجود هذه الحفر واهلها سيان . وفي الشتاء تتسرب محتويات الحفر الامتصاصية الى خارج تلك الحفر وتتجمع في برك راكدة حول المخيمات (١٤)



بينما تضاءل العدد ليصل ٨٨٥ سرير عام  
١٩٨٢ (٢١) .

ويضيف التقرير الاسرائيلي الذي يحمل  
عنوان "مشروع جمع المدلولات عن الضفة  
الغربية" الاوضاع الصحية لمستشفى نموذجي  
كما يلي :

"... شهدت الفئران والصراصير  
وغيرها من الحشرات وهي تترامض في اجنحة  
الاقسام المختلفة وفي الغرف والمراحيض .  
وتبدو في قمة القذارة وفي حالة انهيار  
فالنوافذ محطمة وطلاء الحيطان مشقق اما بلاط  
الارض فهو متصدع . ان الاسرة في ذلك  
المستشفى قديمة ويلوها الصدا . ويتشارك اكثر  
من مريض واحد في هذه الاسرة وينامون على  
اغشية (شراشف) ممزقة ومغطاة ببقع الدم . .  
اما غرفة العمليات الجراحية فهي في  
حالة مماثلة من الخراب والتلف وهي اضافة  
الى ذلك غير معقمة " (٢٢)

وتدير السلطات الحكومية خمسة وعشرين  
عيادة في انحاء قطاع غزة وهذه العيادات  
تنسب الى الاقسام المختلفة من المستشفيات  
وقد وصف الباحث نفسه تلك العيادات على  
النحو التالي :

"... ان أغلبية هذه العيادات تمتلك  
القليل او لا شيء من الادوية . كما تنقصها  
التجهيزات المخبرية الضرورية . ولا يتوفر في  
العديد منها اية استعدادات لحالات الطوارئ  
... اما عن نوعية الخدمات التي تقدمها هذه  
العيادات فهي محدودة الى درجة كبيرة وهي  
غالبا ما تستعمل كطريقة للوصول الى  
المستشفى للاستفادة الفعلية من خدماتها " (٢٣)  
هذا وبالامكان الاستدلال على نوعية  
الخدمات المتوفرة في تلك العيادات عن

طريق معرفة عدد المرضى الذين يتلقون العلاج  
مثلا تم في عام ١٩٨٥ معالجة حوالي ١١٠  
مريض يوميا في كل واحدة من العيادات  
الحكومية مع العلم بان كل عيادة لها طبيب  
واحد فقط (٢٥) .

اما عن مدى الاستفادة من تلك الخدمات  
فان الاحصائيات الاسرائيلية لعام ١٩٨١ قد  
دلت على ان ٨٣٪ من سكان قطاع غزة لديهم  
تأمين صحي حكومي . لكن هذه النسبة في  
عام ١٩٨٥ قد انخفضت الى ٥٦٪  
بسبب انخفاض عدد المشتركين في برنامج  
التأمين الصحي الحكومي (٢٦) . ويعزى هذا  
الانخفاض الى الامرين التاليين :

(١) لا يشعر السكان بأن نوعية الخدمات  
الصحية التي تقدم في تلك العيادات  
توازي او تستحق المبالغ التي يدفعونها  
لبرنامج التأمين الصحي .  
(٢) او ان السكان لم يعودوا قادرين على  
تحمل التكاليف الباهظة لاقساط التأمين  
الصحي والتي بالمناسبة قد شهدت  
ارتفاعا واضحا خلال السنوات الاخيرة  
الماضية .

تستخدم وكالة غوث اللاجئين ٢٩ طبيا  
وتدير تسعة مراكز في انحاء قطاع غزة . وبذلك  
تقدر نسبة الخدمات بما يعادل طبيب واحد  
لكل ١٣٤٠٠ لاجيء (٢٧) . وفي عام ١٩٨٥  
عالج كل طبيب من اطباء وكالة الغوث مدبل  
٦٠ مريضا يوميا (٢٨) . وتعتبر الخدمات  
الي تقدمها تلك العيادات اعلى مستوى من  
العيادات الحكومية الا انها لا تزال تعاني من  
نقص في التجهيزات والمساحة وعدد العاملين  
اضافة الى ذلك فان مراكز الوكالة تعاني وبشكل  
منتظم من انقطاع تزويدات الادوية الشهرية

المحلية التي تنظر اليها السلطات العسكرية بعدم الرضى يكون مصيرها الرضى " (٣٠) .

## خاتمة

لا تتوفر حاليا المعطيات الشاملة والدقيقة عن الوضع الصحي في قطاع غزة . ان المعلومات المتوفرة حاليا تشير الى ان المستوى الصحي في تلك المنطقة مشابه لكثير من دول العالم الثالث . حيث توجد نسبة عالية من وفيات الاطفال وتقشي الامراض المعدية والسارية التي بالامكان تغاديها والتواقي منها . الى جانب ذلك نسبة عالية من سوء التغذية .

ان الوضع البيئي في قطاع غزة يلعب دورا هاما في تحديد الوضع الصحي للسكان . ومن ابرز المشاكل في هذا المجال الاكتظاظ السكاني والظروف البيئية الصحية المتدنية .

ان المؤسستين الرئيسيتين ( السلطات العسكرية ووكالة الغوث ) اللتين تعملان في مجال الخدمات الصحية في قطاع غزة لا توفر الخدمات الضرورية بالشكل المطلوب . وبهذا تبرز الحاجة الملحة لملئ ذلك الفراغ عن طريق اعطاء الفرص والمجال للمؤسسات المحلية الاخرى من اجل توفير خدمات صحية اضافية تفي بحاجة سكان منطقة قطاع غزة .

يحدث ذلك عادة عند منتصف الشهر مما يفطر المرضى الى شراء الادوية من اموالهم الخاصة (٢٩) .

اما عن الجهات الاخرى التي تعمل في مجال الصحة في قطاع غزة فيوجد ستة منظمات صحية خاصة . غير ان تلك المنظمات الخاصة لا توفر سوى خدمات اضافية محدودة لدعم عمل المؤسسات الصحية الرئيسية . وتخضع هذه المنظمات لسيطرة السلطات العسكرية الازيلية المباشرة . وكشرط لعملها هناك يتلزم عمل ما يلي :

" الحصول على اذن رسمي لمعظم النشاطات التي تقوم بها بما في ذلك تحديد المسج التطويري والتوسع في البناء والمواقع وبناء المحاضرات واقامة المعارض وطرح الشارع الجديدة وزيادة عددا العاملين والانساب للاعضاء الجدد واجتماعات المجلس الدورية ...

اما في مجال تمويل المشاريع فان السلطات العسكرية تمارس اشد انواع السيطرة ونتيجة لذلك فان ادارة وقدرة المنظمات الخاصة على توفير الخدمات الصحية الناجعة كانت ولا تزال تحت التأثير العكسي ( المضاد لتلك القيود المفروضة عليها ... وعليه فان التخطيط لعمل مشاريع بالتعاون مع الجهات

الهوامش :

- (١) وكالة غوث وتشغيل اللاجئين (١٩٨٦) التقرير الصادر عن مدير الصحة، ١٩٨٥، وكالة غوث وتشغيل اللاجئين - فيينا ص ٢٦ .
- (٢) المكتب المركزي الاسرائيلي للاحصائيات (١٩٨٣) الموجز الاحصائي الاسرائيلي، القدس .
- (٣) وزارة الصحة الاسرائيلية (١٩٨٦) ملخص حول الخدمات الصحية في يهودا والسامرة وغزة ١٩٨٥-١٩٨٦ . القدس، ص ١١ .
- (٤) المكتب المركزي الاسرائيلي للاحصائيات - ذكر سابقا .

- (٥) بويت ج ٥٥ (١٩٧٩) دراسات حول نسبة وفيات الاطفال اجريت على مجموعة منتقاة من مخيمات اللاجئين في الشرق الادنى، ورقة غير منشورة، وكالة غوث وتشغيل اللاجئين فيينا .
- (٦) لاشي ١٠١، عابد يحيى ٥٥٥ (١٩٨٣) تقييم حول معالجة الجفاف عن طريق الفم وتأثيرها على الاسهال داخل المجتمعات الكبيرة . المجلة الاسرائيلية للعلوم الطبية ص ٩٩٥-٩٩٧
- (٧) وزارة الصحة الاسرائيلية . ذكر سابقا . ص ١٣٧ .
- (٨) عابد ، يحيى (١٩٧٩) دراسة وبائية عن انتشار الامراض المعوية وتأثيرها على نسبة الهيموجلوبين والنمو وتطور الاطفال في قرية جباليا . اطروحة غير منشورة ، كلية الطب في هداسا . القدس .
- (٩) وكالة غوث وتشغيل اللاجئين . ذكر سابقا . ص ١٠٢ .
- (١٠) غينا ، ١٠١ هـ (١٩٧٧) سوء التغذية الناتج عن نقص في البروتينات والسكريات الحرارية بين اطفال المخيمات في قطاع غزة . صحة الطفل والبيئة . ص ٣٧ - ٥٢١ .
- (١٢) توسون ، م . م . وشولم ل . م . (١٩٨٤) امراض العيون في الضفة الغربية وقطاع غزة ، المجلة البريطانية لأمراض العيون ٨/٦٨ ، ص ٥٩٨ - ٦٠٢ .
- (١٣) وكالة غوث وتشغيل اللاجئين . ذكر سابقا . ص ٤٤ .
- (١٤) روى ، سارة (١٩٨٦) مسح حول قطاع غزة ومشروع جمع المعلومات عن الضفة الغربية ، القدس ، ص ١٠٢ .
- (١٥) المكتب المركزي الاسرائيلي للاحصائيات . ذكر سابقا . ص ٧٧٠ .
- (١٦) روى ، س . م . ذكر سابقا . ص ١١٢ .
- (١٧) تم الوصول الى هذا الرقم بالرجوع الى تقرير وكالة غوث وتشغيل اللاجئين ( ذكر سابقا ) وعن طريق استخدام المدلولات المعطاة لمجموع الانفاق في مجال الصحة للوكالة في منطقة الشرق الاوسط : حيث ان مجموع الانفاق لعام ١٩٨٥ كان يساوي ٣٠٤ دولار ، ومجموع السكان المستفيدين من الخدمات الصحية يساوي ١٨ مليون نسمة وبالتالي فان المعدل يساوي ١٦ دولار للفرد الواحد .
- (١٨) روى ، س . م . ذكر سابقا ، ص ١١٢ .
- (١٩) روى ، س . م . ذكر سابقا ، ص ١٠٨ .
- (٢٠) بالاعتماد على ما ورد في الموجز الاحصائي الاسرائيلي ١٩٨٤ (ص ٧١٦٠) يوجد ٦٧٧ سرير مستشفى لكل ١٠٠٠ فرد اسرائيلي .
- (٢١) المكتب المركزي الاسرائيلي للاحصائيات (١٩٨٥) الموجز الاحصائي الاسرائيلي ، القدس ، ص ٧٥١ .
- (٢٢) روى ، س . م . (ذكر سابقا) ص ١٠٩ .
- (٢٣) ص ١١٠ .
- (٢٤) تدل مصادر وزارة الصحة الاسرائيلية ( مصدر ذكر سابقا ص ١٢٣ ) انه في عام ١٩٨٥ زار ٨٣٥ الف شخص العيادات الحكومية ومجموعها خمسة وعشرين .
- (٢٥) روى ، س . م . ذكر سابقا . ص ١١٠ .
- (٢٦) روى ، س . م . ذكر سابقا . ص ١٠٧ .
- (٢٧) وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين . ذكر سابقا . ص ٢٧ - ٢٨ .
- (٢٨) بالاستناد الى تقرير وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين ( مصدر ذكر سابقا ص ٢٧ - ٢٨ ) كان هناك ٥٢٠ الف مراجعة طبية في عيادات الوكالة في عام ١٩٨٥ ( باستثناء الغيارات والابر وامراض الجلد وامراض العيون وعلاج الانسان ) اذا افترضنا انه يوجد ٢٩ طبيب يعملون ٣٠٠ يوم في السنة فان كل طبيب يعالج ٦٠ مريضا في اليوم الواحد .
- (٢٩) روى ، س . م . مصدر ذكر سابقا ص ١١٣ .
- (٣٠) روى ، س . م . مصدر ذكر سابقا ص ١٠٦ .

# تقييم الموارد البشرية الفلسطينية التعليم العالي والقوة البشرية



بقلم : د. جميل طاهر : ترجمة سمير حليلة

## ١ - مقدمة :

تعرض الفلسطينيون (١) ابتداءً من عام ١٩٤٨، لمجموعة من الازمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، نبعت بالاساس من نشوء دولة اسرائيل ومن تهجيرهم من اراضيهم. وقد ادرك الفلسطينيون في الشتات قيمة التعليم والتدريب المهني واهميتها لحياتهم في المنفى او تحت الاحتلال. واصبح للتعليم عند الفلسطينيين اهمية كبرى، حيث غدا ضمانا ثابتا لا يمكن ان تصادره أي قوة استعمارية.

ويتفق الكثيرون من علماء الاقتصاد على ان الموارد البشرية في الدولة، وليس رأسمالها ولا مواردها المادية، هي التي تحدد بالنهاية ابعاد وسرعة تطورها الاقتصادي والاجتماعي. وبشكل عام، تقاس ثروة الدولة بالتعليم وانتاجية السكان. ان معرفة ومهارة الفلسطينيين تكوّنان الاساس المطلق لثروتهم، وهذان العاملان هما اللذان جعلنا للفلسطينيين دورا فعالا في التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في الشرق الاوسط.

ان اهداف هذه الدراسة هو فحص وتحليل وتقييم الموارد البشرية الفلسطينية، داخل الاراضي المحتلة وفي انحاء العالم، وتقييم الابعاد المختلفة لمراكز قوة وضعف الموارد الفلسطينية كأحد عوامل تطور الخيارات السياسية لمستقبل هذا المجتمع (٢).

\* نشرت هذه المقالة في مجلة Journal of Pal. Studies عدد ٥٥ / ١٩٨٥.



## ملاحظات احصائية :

لتجنب تكرار الملاحظات النقدية على بعض البيانات الاحصائية عن الفلسطينيين ، سوف يتم هنا نقاش المشكلة الاساسية بشكل مختصر. وقد تم الحصول على الاحصاءات الواردة في هذه الدراسة بشكل اساسي من منظمات عالمية كالبيونسكو والانروا ومصادر حكومية عربية واسرائيلية ومن دراسات وابحاث خاصة. وفي رأى الكاتب ، فان هنالك مشاكل جدية في الاحصاءات المأخوذة من الانروا ومن المصادر الحكومية العربية واسرائيلية .

فالاحصاءات الواردة من الانروا عن التعليم عند الفلسطينيين محددة ، وتبين نسبة معينة فقط من تعليم الفلسطينيين ، حيث تقدم الانروا التعليم للفلسطينيين المصنّفين تحت اسم (لاجئين) ، مما يعني ان كل من هو ليس لاجئاً ، لا يقع ضمن هذه الاحصائيات (٣) . اضافة الى ذلك ، وبما ان الانروا لا تقدم تعليمًا جامعيًا فان احصائياتها عن التعليم الجامعي محدودة ايضا .

ان معظم الفلسطينيين يعيشون اما تحت الاحتلال او مشتتين في الدول العربية المجاورة ، فلا توجد تقريبا اى احصائيات تعترف بهم كفلسطينيين . اصف الى ذلك ان تلك الاحصائيات الموجودة هي في احسن حالاتها لا يعتمد عليها . واسوأ من ذلك انها تكون احيانا مشوهة ، لانها عادة تتأثر بمصالح الذين جمعوها . مثل هذه الاحصائيات تخضع ايضا للتحريف السياسي من السلطة ذات المصالح المتعارضة . وفي البيانات الرسمية الاردنية يعتبر الفلسطينيون مواطنين في بلدهم (٤) ، بينما بعضهم ( عدد قليل منهم ) يعتبر جزءا من البيانات الرسمية السورية ، اللبنانية والمصرية ، اما المناطق الوحيدة التي تعد فيها احصائيات يكون فيها الفلسطينيون مفصولين عن غيرهم من السكان ، فهي في الضفة الغربية ، قطاع غزة واسرائيل (٥) . الا ان هذه البيانات ايضا هي غير متكاملة وغير صحيحة تماما (٦) .

## ٢- التعليم العالي عند الفلسطينيين :

على الرغم من انهم مشتتون في جميع انحاء العالم ، ورغم ان انظمتهم التعليمية تقع تحت سيطرة سلطات سياسية مختلفة ، الا ان الفلسطينيين في كل مكان قد وصلوا الى مراحل عليا في التعليم من خلال جهود ذاتية وشخصية . لقد اصبح التعليم وسيلة للبقاء وضمانا للمستقبل المجهول . في هذه الدراسة سوف نتناول فقط مستوى التعليم الجامعي : الطلاب المسجلين في الجامعات او اى مؤسسات اخرى للتعليم العالي . (انظر جدول رقم ١) .

## جدول رقم (١)

عدد طلاب التعليم العالي ونسبتهم لمجموع السكان الفلسطينيين

| النسبة        | عدد الطلاب | عدد الطلاب لكل ١٠٠٠ نسمة |
|---------------|------------|--------------------------|
| ١٩٦٦/١٩٦٥ (١) | ٣٠ر٠٠٠     | ١١ر٤ (١)                 |
| ١٩٦٩/١٩٦٨ (١) | ٣٣ر٠٠٠     | ١١ر٤ (١)                 |
| ١٩٧٤/١٩٧٣ (٣) | ٥٠ر٠٠٠     | ١٤ر٧ (٣)                 |
| ١٩٧٨/١٩٧٧ (٢) | ٦٠ر٠٠٠     | ١٥ر٧ (٢)                 |
| ١٩٨٠/١٩٧٩ (٣) | ٧١ر٠٠٠     | ١٧ر٠ (٣)                 |
| ١٩٨١/١٩٨٠ (٣) | ٧٧ر٠٠٠     | ١٧ر٨ (٣)                 |
| ١٩٨٢/١٩٨١ (٣) | ٨٤ر٠٠٠     | ١٨ر٨ (٣)                 |

## المصادر:

- (١) ابراهيم ابولغد . " تعليم مجتمع في المنفى : التجربة الفلسطينية " مجلة دراسات فلسطينية . عدد ٣ . ربيع ١٩٧٣ . ص ( ٩٤ - ١١١ ) .
- (٢) ابراهيم ابولغد " تعليم الفلسطينيين " كانون ثاني : ١٩٨٢ ص ١٧ . وقد قدمه محسن يوسف العدد لعام ١٩٧٨/٧٧ بـ ٨٠ر٠٠٠ . انظر محسن يوسف ، " التأثير المحتمل لتعليم الفلسطينيين عن دولة فلسطين " . مجلة دراسات فلسطينية ، العدد ٤ ( صيف ١٩٧٩ ) ص ٧٨ .
- (٣) تقدير الكاتب . قدر دون بيرتز العدد لعام ١٩٧٤/٧٣ بـ ٧٠ر٠٠٠ . انظر دون بيرتز " التقسيم الاجتماعي للفلسطينيين : النتائج السياسية " : مجلة دراسات فلسطينية عدد ١ ( خريف ١٩٧٧ ) ، ص ٦٦ .

١ - عدد الطلاب ونسبة طلاب الجامعات الى عدد السكان :

تضاعف عدد الفلسطينيين طالبي التعليم العالي خلال الفترة بين ١٩٦٦ و ١٩٧٨ . ويعود اقدم تقرير حصلنا عليه لسنة ١٩٦٦/٦٥ ، عندما كان هناك ٣٠ر٠٠٠ فلسطيني يدرسون في المعاهد والجامعات في انحاء مختلفة من العالم . اما آخر تقرير فيعود لسنة ١٩٧٨/٧٧ وينص على ان ٦٠ر٠٠٠ فلسطيني مسجلون في جامعات ومعاهد للدراسات العليا . ( انظر الجدول ١ ) .

ويقدر الكاتب ان عدد الفلسطينيين طلاب الدراسات العليا في الفترة ما بعد ١٩٧٨ يتراوح حوالي ٧٧ر٠٠٠ في ١٩٨١/١٩٨٠ ، وحول ٨٤ر٠٠٠ في ١٩٨٢/٨١ . ويعتمد هذا التقدير على افتراضين مختلفين ومتصلين في نفس الوقت . الاول هو ان عدد الفلسطينيين في الجامعات والمعاهد يزداد بنسبة ٩٪ سنويا منذ ١٩٦٦/٦٥ . والافتراض الثاني هو ان ٢٠٪ من هؤلاء الذين يحصلون على الشهادة الثانوية يتوجهون الى مؤسسات التعليم العالي وبالتالي يحصلون على شهادة

جامعية (٧) . ويعطي استخدام أي من هذين الافتراضين نفس النتيجة لعدد الفلسطينيين في مؤسسات التعليم العالي .

ان نسبة طلاب الجامعات الى مجموع السكان العام كانت ايضا في تصاعد مستمر منذ ١٩٦٦ . فقد ارتفعت من ١١ر٤ طالبا لكل ١٠٠٠ في عام ١٩٦٦ الى ١٥ر٧ لكل ١٠٠٠ في عام ١٩٧٨ . ويقدر الكاتب باستخدام الافتراضين السابق ذكرهما ان هذه النسبة سوف تصبح ١٧ر٨ / ١٠٠٠ في ١٩٨١ / ٨٠ . وتزيد هذه النسبة لطلاب الجامعات الفلسطينيين الى مجموع السكان الفلسطينيين عن أي بلد اسلامي آخر في الشرق الاوسط ، وهي ايضا أعلى من بعض الدول الغربية المتقدمة مثل فرنسا وانجلترا (٨) . وهذه النسبة ليست فقط أعلى من تلك في المجتمعات العربية الاخرى ، بل انها تماثل نسبة طلاب الجامعات الاسرائيلية الى مجموع السكان . ففي عام ١٩٨٢ / ٨١ كان عدد السكان الاسرائيليين ٣٣ر٣ مليون نسمة (٩) ، ومجموع طلاب الجامعات والمعاهد منهم ٦٠ر٠٠٠ في نفس السنة (١٠) . وهكذا فان نسبة طلاب الدراسات العليا الى مجموع السكان كانت حوالي ١٨ر١ / ١٠٠٠ وهي نسبة مماثلة لتلك التي عند الشعب الفلسطيني على الميد الكمي .

ومن الجدير بالملاحظة هنا ، انه عند المقارنة بين نسبة طلاب الجامعات الى مجموع عدد السكان في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وفي انحاء العالم ، بتلك النسب للفلسطينيين داخل اسرائيل ، فان الصورة تختلف كلياً . فبينما كانت الاولى ١٧ / ١٠٠٠ لعام ١٩٨١ / ٨٠ ، فان الثانية لم تتعد ٢٩ر٠ / ١٠٠٠ لنفس السنة (١١) هذه النسبة المتدنية تعكس سياسة تفرقة تتبعها السلطات الاسرائيلية ضد الفلسطينيين في حقل التعليم العالي ، حيث تتبع مؤسسات التعليم العالي في اسرائيل سياسة متشددة بعدم السماح للفلسطينيين بدراسة بعض التخصصات بالاضافة للقيودات الاخرى (١٢) .

## ب - مجالات الدراسة التي يهتم بها الفلسطينيون :

استنادا الى دراسة جرت عام ١٩٧٠ ، درس ٦١٪ من الفلسطينيين العلوم الانسانية والاجتماعية ، بينما فضل ٣٦ر١٪ منهم دراسة المواد العلمية و ١٠ر١٪ دراسة الطب (١٣) . ومع ان كثيرا من الطلاب الجامعيين يركزون على العلوم الانسانية ، الا ان طلاب الدراسات العليا فيميلون الى التركيز على الطب ، الهندسة والعلوم . فكلما انخفضت الدرجة الجامعية كلما قل عدد طلاب الهندسة والعلوم . وحسب احد التقارير ، فان ٤٦٪ من حاملي شهادة الماجستير ، ٨٤٪ من حملة الدكتوراه كانوا متخصصين في العلوم (١٤) .

في دراسة لاحقة في الولايات المتحدة ، تبين ان ٢٠٪ من الذين تجاوبوا مع الدراسة كانوا متخصصين في الهندسة ، ١٦٪ في العلوم الاجتماعية و ١٦٪ في العلوم الطبية (١٥) . وفي بحث اجري عام ١٩٧٧ (١٦) ، تبين ان ٤٢ر٧٪ من الطلاب الجامعيين من الفلسطينيين

والأردنيين كانوا يدرسون موادا في العلوم . هذه الزيادة كانت ناتجة عن العدد الكبير من الطلاب الذين يتوجهون لدراسة الطب . ففي عام ١٩٧٧ كان طلاب الطب يمثلون ١٩ر٢٪ من المجموع بالمقارنة مع ١٠ / ١ حسب دراسة ١٩٧٠ .

## جـ - دوافع الفلسطينيين لنيل التعليم العالي :

لعبت ثلاث عوامل - ضمن عوامل أخرى دورا أساسيا في دفع الفلسطينيين باتجاه طلب التعليم العالي .

أولاً: كان الفلسطينيون دوماً ، وما زالوا يؤمنون بأن التعليم سيوفر لهم الضمان المالي والاستقرار النفسي في ظل عدم الاستقرار الجغرافي والسياسي الذي يعانون منه . هذا الواقع للتعليم ازداد قوة مع فقدانهم للأرض مما دفعهم للتعويض عن ذلك بالبحث عن طرق أكثر أماناً يعول عليها لتحصيل الرزق . وقد أجبرتهم حقيقة عدم استطاعتهم العمل في مجالات كثيرة إلى استيعاب أهمية اكتساب المهارات التي تحتاجها مجتمعاتهم المضيفة ، لهذا ، ارتبط بقاؤهم الاقتصادي بشكل مباشر بتقدمهم العلمي .

ثانياً: يؤمن الفلسطينيون أن أحد أسباب فقدانهم للأرض كان التفوق التكنولوجي ( العلمي ) لدولة إسرائيل . هذا الاعتقاد أدى بهم إلى محاولة تحسين مستواهم العلمي والمهني . لقد أدرك الفلسطينيون أن عليهم ردم الهوة الحضارية والثقافية ( الأكاديمية ) التي تميزت بها المواجهة الصهيونية - الفلسطينية منذ البداية .

ثالثاً: استفاد الفلسطينيون من التسهيلات ( التعليمية ) المتوفرة في العالم العربي . فقد تمكن الكثيرون منهم الدراسة في معاهد وجامعات الدول العربية لأنهم ببساطة يعيشون في تلك المناطق . وهناك العديد من الدول العربية مثل ، مصر ، سوريا والعراق التي تسمح لعدد كبير من الطلبة الفلسطينيين الالتحاق بمؤسساتها التعليمية العليا ، كما تقدم لهم المساعدات المالية . فأكثر من ٧٥٪ من حاملي الشهادات من الفلسطينيين خريجوا جامعات عربية .

أن التأثير الكبير لهذا الاندفاع القوي نحو التعليم يتضح اليوم حيث يوجد ٢٠٠ ألف فلسطيني من حملة الشهادات الجامعية يشغلون الوظائف والأعمال المختلفة في سنة ١٩٧٨ (١٧) . أن هذا الانجاز يعكس النسبة المرتفعة للمتعلمين بالنسبة لعدد أفراد الشعب الفلسطيني بالمقارنة مع غيرهم من العرب في المهن المختلفة .

## د - نقاط الضعف في التعليم العالي للفلسطينيين :

على الرغم من أن الفلسطينيين اكتسبوا مستوى عالياً من الثقافة والتعليم بالمقارنة مع الشعوب الأخرى في الشرق الأوسط ، إلا أن هذا التعليم لم يكن خالياً من نقاط ضعف ناتجة



عن تشتت الفلسطينيين في جميع انحاء العالم . اولاً لانهم ليس لديهم دولة ذات صفة قومية فلسطينية توجه عملية التعليم نحو الوفاء باحتياجات المجتمع الفلسطيني ، فقد ترك تعليمهم العالي ليفي بالاحتياجات الشخصية . وقد اضطر الفلسطينيون الى اختيار مجال الدراسة حسب متطلبات سوق العمل في الدول المضيفة لهم . ونتيجة لذلك ، فان ثقافة الفلسطينيين وجهت نحو احتياجات المجتمعات غير الفلسطينية بدلاً من خدمة احتياجات المجتمعات الفلسطينية .

ثانياً ، ومع ان الدول العربية قد فتحت ابوابها ومؤسساتها التعليمية للطلاب الفلسطينيين ، الا ان عدد الفلسطينيين المقبولين في الجامعات يتم تحديده من قبل السلطات الحاكمة في الدول المضيفة ، اضافة الى ذلك فان عدداً قليلاً من الفلسطينيين يسمح لهم بالتخصص في المجالات التي يرغبون بدراستها بغض النظر عن العدد الذي تحدده الحاجات الرسمية . اما الاولوية في الجامعات ، فانها عادة ما تعطي لابناء البلد المضيف ، ويتنافس الفلسطينيون مع غيرهم من الاجانب على المقاعد الباقية . وتلعب العوامل السياسية ايضاً دوراً في تحديد المدى الذي يتم به قبول الفلسطينيين في الجامعات (١٨) .

اما نقطة الضعف الثالثة ، فهي كون الفلسطينيين - بسبب الشتات - ليسوا في مركز يسمح لهم بالسيطرة على الانظمة التعليمية التي يدرسون في اطارها . نتيجة لذلك ، فان ثقافة الفلسطينيين تفتقر الى قاعدة ثقافية موحدة منسجمة . لقد كان ٨٠٪ من الذين تجاوبوا مع المسح عام ١٩٧٠ . يدرسون في جامعات عربية ، بينما درس ١٤١٪ منهم في جامعات اوربية وامريكية (١٩) . وفي عام ١٩٧٨/٧٧ ، كان ٦٥٦٪ من الطلاب في جامعات عربية ، بينما ٢٤٤٪ منهم يدرسون في دول اوربا وآسيا والولايات المتحدة (٢٠) . ولان البرامج التعليمية التي يلتحق بها الفلسطينيون قد تم وضعها من قبل غير الفلسطينيين ، فانها لا تقوم بتشجيع الوعي القومي عندهم ، مثلاً ، عادة ما تكون برامج العلوم الاجتماعية موجهة نحو الحاجات والظروف المحلية لكل دولة على حدة ، مما يمنع التركيز على مجالات الاهتمام الفلسطيني وترك المجال للفلسطينيين كأفراد ليطوروا الوعي الجماعي والشعور بالانتماء في انحاء العالم .

رابعا ، ان الفلسطينيين لا يتوجهون وبشكل جدي الى التدريب الصناعي والمهني ، وهذا ناتج عن نزعة بين الفلسطينيين للتقليل من قيمة هذا المجال من التعليم العالي . ففي عام ١٩٧٦ كان هناك فقط ٢٥١٥ فلسطينيا في المدارس المهنية والصناعية في اسرائيل و ٤٥٠٠ في تلك المدارس التي تديرها الانروا (٢١) ويقدر الكاتب بأنه في عام ١٩٨٢/٨١ كان عدد الفلسطينيين في المدارس الصناعية والمهنية ١٠٦٥٢ بالاعتماد على افتراضين : الاول هو ان عدد الفلسطينيين في المدارس المهنية في اسرائيل قد ازداد بنسبة ٨٪ سنوياً منذ عام ١٩٧٦/٧٥ والثاني هو ان عدد الطلاب في المدارس المهنية التي تديرها الوكالة قد ازداد بنسبة ٩٪ سنوياً خلال نفس الفترة . وبالرغم من انه لا توجد هناك احصائيات مفصلة عن الفلسطينيين في المدارس المهنية الاردنية او العربية الاخرى ، فان حقيقة كون ٥٪ فقط من المدارس الثانوية في الاردن هي مدارس مهنية يدل على عدد قليل من الطلاب مواز لتلك النسبة في مدارس التدريب

ان السبب الرئيسي للنقص في التدريب المهني لدى الفلسطينيين هو الاعتقاد الراسخ لديهم ( ولدى المجتمع العربي بشكل عام ) بان التدريب المهني والصناعي هو شكل متدن من التعليم ، ويضعف المركز الاجتماعي للشخص ، وبانه يجب ان يقتصر على اولئك الذين لا ينجحون في دراستهم الاكاديمية . هذه المسألة تظهر بشكل واضح بين سكان مخيمات اللاجئين ، حيث الاعتقاد ان تحقيق هدف رفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي سوف يتم فقط من خلال الدراسة الاكاديمية (٢٣) .

اما نقطة الضعف الاخيرة في التعليم الجامعي للفلسطينيين ، فهي ان تعليم النساء الفلسطينيات بالرغم من كونه في تحسن مستمر ، الا انه ما زال يتطور ببطء بالمقارنة مع التعليم عند الرجال . وبالرغم من القيمة العالية التي تعطي للتعليم كوسيلة للحراك الاجتماعي ، الا ان دراسة المرأة الجامعية لا تلقى تشجيعا بين قطاعات واسعة من السكان بسبب العادات والتقاليد الاجتماعية . ومع ان عدد البنات تقريبا يساوي عدد الاولاد في المدارس الاعدادية في كل مناطق التركيز السكاني الفلسطيني ، الا ان ثلث عدد طلاب التوجيهي فقط ، هم من البنات ، بينما تصبح تلك النسبة الى ٤ : ١ بين طلبة الجامعات (٢٤) .

## ٢- العمل والقوى البشرية :

=====

تم تقدير عدد الفلسطينيين في انحاء العالم بحوالي ٤ مليون نسمة عام ١٩٨١ . ويبين هذا الرقم زيادة بنسبة ٢٢١٪ عن عدد الفلسطينيين عام ١٩٤٨ ، الذي كان ١٣٩٨٠٠٠ (٢٥) ، ما يمثل زيادة سنوية مقدارها ٥٪ . ( التوزيع الجغرافي للفلسطينيين عام ١٩٨١ موضح في الجدول (٢) ) . ويبدو من هذا الجدول ان ٤٠٪ من مجموع الفلسطينيين يعيشون ضمن حدود لطين التاريخية (١٨٧٪ في الضفة الغربية ، ١٠٪ في قطاع غزة ، و ١٢٪ في اسرائيل ) . فعدد الفلسطينيين داخل حدود فلسطين حاليا يفوق ما كان عليه عددهم عام ١٩٤٨ ، في حين يفيض عن العدد اولئك الذين يقطنون في الخارج الان .

## (جدول رقم ٢)

التوزيع الجغرافي لل فلسطينيين لعام ١٩٨١

| مكان الإقامة     | عدد السكان | النسبة المئوية |
|------------------|------------|----------------|
| الضفة الغربية    | ٧٠٧٣٠٠     | ١٦ر-           |
| قطاع غزة         | ٤٥١٤٠٠     | ١٠ر٢           |
| اسرائيل          | ٦٥٧٥٠٠     | ١٤ر٨           |
| الأردن           | ١١٤٨٣٣٤    | ٢٥ر٩           |
| سوريا            | ٢٢٢٥٢٥     | ٥ر١            |
| لبنان            | ٣٥٨٢٠٧     | ٨ر-            |
| الكويت           | ٢٩٩٧١٠     | ٦ر٨            |
| العراق           | ٢٠٦٠٤      | ٠ر٥            |
| ليبيا            | ٢٣٧٦٩      | ٠ر٦            |
| مصر              | ٤٥٦٠٥      | ١ر٢            |
| العربية السعودية | ١٣٦٧٧٩     | ٣ر-            |
| الإمارات العربية | ٣٦٥٠٤      | ٠ر٨            |
| قطر              | ٢٤٢٣٣      | ٠ر٥            |
| دول عربية أخرى   | ٥٠٧٠٦      | ١ر١            |
| الولايات المتحدة | ١٠٤٨٥٦     | ٢ر٣            |
| دول أخرى         | ١٤٠١١٦     | ٣ر٢            |
| المجموع          | ٤٤٢٨٩٣٨    | ١٠٠ر-          |

المصدر: تم تركيبه من احصاءات فلسطين ( دمشق : دائرة الاحصاءات المركزية، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٨١ ). لقد عدل الكاتب الأرقام المتعلقة بالضفة الغربية، قطاع غزة واسرائيل على ضوء الاحصاءات الواردة في كتاب احصاءات اسرائيل ( القدس : دائرة الاحصاءات المركزية، ١٩٨٢ ) جدول ٤/٢ و ٣/٢٧ ص ٣٤ و ٣٤٤ بالترتيب .

## جدول رقم (٣)

Table 3: Percentage Distribution of All Palestinians by Age and Sex in 1970

| Age Group | Percentage |      |       | Sex Ratio<br>M/F |
|-----------|------------|------|-------|------------------|
|           | M          | F    | Total |                  |
| 0-4       | 9.7        | 9.0  | 18.7  | 107.7            |
| 5-9       | 8.7        | 8.1  | 16.8  | 107.5            |
| 10-14     | 7.1        | 6.4  | 13.5  | 110.6            |
| 15-19     | 5.2        | 4.9  | 10.1  | 107.4            |
| 20-24     | 3.8        | 3.9  | 7.7   | 98.3             |
| 25-29     | 3.5        | 3.5  | 7.0   | 99.8             |
| 30-34     | 2.9        | 2.7  | 5.6   | 108.6            |
| 35-39     | 2.5        | 2.4  | 4.9   | 101.7            |
| 40-44     | 2.0        | 1.9  | 3.9   | 108.0            |
| 45-49     | 1.6        | 1.4  | 3.0   | 108.8            |
| 50-54     | 1.1        | 1.1  | 2.2   | 104.5            |
| 55-59     | 0.8        | 0.8  | 1.6   | 104.6            |
| 60-64     | 0.9        | 0.8  | 1.7   | 103.1            |
| 65-69     | 0.7        | 0.5  | 1.2   | 118.2            |
| 70+       | 1.1        | 1.0  | 2.1   | 112.3            |
| Total     | 51.6       | 48.4 | 100.0 | 106.5            |

المصدر: جورج وقفي، "السمات الديموغرافية للسكان العرب الفلسطينيين"، في خليل نخلة  
والها زريق (اعداد)، علم اجتماع الفلسطينيين (نيويورك، مطبعة سانت مارتين، ١٩٨٠)  
ص ٢٢٠

## ١- السمات الديموغرافية للفلسطينيين :

يبدوان هناك عاملان اساسيان يؤثران على توزيع الفلسطينيين :

١- العمر : الجنس :

ان التكوين الجنسي وكيفية التوزع على فئات الاعمار لمجموعة من السكان يعكس الخصوبة  
ومعدل الوفيات وعوامل الهجرة . وتساعد نسبة الاطفال الى البالغين، والذكور الى الاناث، في  
فهم تكوين السكان الفلسطينيين الذي تأثر بشكل كبير بالهجرات وارتفاع عدد الوفيات بشكل غير  
عادي نتيجة للحروب المستمرة .

ان المعطيات في الجدول (٣) تبين ان الشعب الفلسطيني في انحاء العالم عام ١٩٧٠ كان  
شابا، حيث يكون الذين اعمارهم ١٤ سنة فأقل، ٤٩٪ من مجموع السكان الكلي. ويكون  
الفلسطينيون في عمر المشاركة في القوة العاملة (٢٥ - ٢٩ سنة) ، ٧٪ من مجموع السكان الكلي.  
بينما يكون هؤلاء الذين هم في مقتبل عمرهم العملي (٣٠ - ٤٥ سنة) ١٤ر٤٪. وعند جمع  
الرقمين معا في مجموعة واحدة (٢٥ - ٤٥) فينتج الرقم ٢١ر٤٪ في مجموع السكان الفلسطينيين  
في انحاء العالم في تلك الفترة. اما نسب الجنس بين الفلسطينيين فتبين هبوطا في نسبة الذكور  
في مجموعتا العمر ٢٠ - ٢٤ ، ٢٥ - ٢٩ الذي يمكن تفسيره كنتيجة لارتفاع عدد الوفيات الذكور  
الناتج عن الحروب المستمرة. ومع ان هذه البيانات هي لسنة ١٩٧٠، الا انه لا توجد دلائل تشير  
الى التغير في تكوين الجنس والاعمار للفلسطينيين في انحاء العالم .

## جدول رقم (٤)

Table 4: Distribution of Palestinians in the West Bank, Gaza Strip, and Israel  
by Age and Sex in 1981

| Age<br>Group | Male  |      | Female |      | Total   |       | Sex Ratio<br>M/F |
|--------------|-------|------|--------|------|---------|-------|------------------|
|              | 000   | %    | 000    | %    | 000     | %     |                  |
| 0-4          | 167.5 | 9.2  | 156.1  | 8.6  | 323.6   | 17.8  | 106.9            |
| 5-9          | 146.5 | 8.1  | 134.8  | 7.4  | 281.3   | 15.5  | 109.4            |
| 10-14        | 120.9 | 6.6  | 110.5  | 6.1  | 231.4   | 12.7  | 108.2            |
| 15-19        | 117.5 | 6.5  | 107.3  | 5.9  | 224.8   | 12.4  | 110.2            |
| 20-24        | 92.0  | 5.1  | 87.5   | 4.8  | 179.5   | 9.9   | 106.3            |
| 25-29        | 59.4  | 3.3  | 62.1   | 3.4  | 121.5   | 6.7   | 97.1             |
| 30-34        | 38.3  | 2.1  | 47.2   | 2.6  | 85.5    | 4.7   | 80.7             |
| 35-39        | 32.5  | 1.8  | 43.0   | 2.4  | 75.5    | 4.2   | 75.0             |
| 40-44        | 27.6  | 1.5  | 36.9   | 2.0  | 64.5    | 3.5   | 75.0             |
| 45-49        | 26.1  | 1.4  | 33.8   | 1.8  | 59.9    | 3.2   | 77.7             |
| 50-54        | 23.3  | 1.3  | 28.3   | 1.5  | 51.6    | 2.8   | 86.6             |
| 55-59        | 18.2  | 1.0  | 19.9   | 1.1  | 38.1    | 2.1   | 90.9             |
| 60-64        | 12.6  | 0.7  | 13.2   | 0.7  | 25.8    | 1.4   | 97.2             |
| 65-69        | 9.1   | 0.5  | 8.9    | 0.4  | 18.0    | 0.9   | 104.2            |
| 70+          | 17.5  | 0.9  | 17.9   | 0.9  | 35.4    | 1.9   | 97.9             |
| Total        | 909.0 | 50.1 | 907.4  | 49.9 | 1,816.4 | 100.0 | 100.4            |



المصدر : مشتق ومركب من احصاءات اسرائيل ( القدس : دائرة الاحصاءات المركزية ، ١٩٨٢ )  
الجدول ٢٧/٣ ، ٢٥/٢ ، ص ٧٣٤ و ٦٢ بالترتيب .

اما تكوين العمر والجنس بالنسبة لتلك المجموعة من الفلسطينيين التي تقطن الضفة الغربية وقطاع غزة واسرائيل عام ١٩٨١ ، فهو موضح في الجدول ( ٤ ) . ان بنية الاعمار عند الفلسطينيين في سن العمل ( ٢٥ - ٢٩ ) يكونون ٦٧٪ من مجموع الفلسطينيين في الضفة الغربية ، قطاع غزة واسرائيل سنة ١٩٨١ ، والذين هم في مقتبل قوة عملهم ( ٣٠ - ٤٥ ) يكونون ١٢٤٪ . وهكذا فمع جمع النسبتين في مجموعة واحدة ، نحصل على الرقم ١٩١٪ من الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة واسرائيل عام ١٩٨١ ، اما نسب الجنس بين الفلسطينيين في تلك المناطق فتبين ان الاناث اكثر من الذكور في فئتي العمر ( ٢٥ - ٢٩ ) و ( ٦٠ - ٦٤ ) ، في حين يخلل التوازن اكثر في مجموعة العمر ( ٢٥ - ٤٥ ) حيث كان هناك ٨٣ ذكرا لكل ١٠٠ انثى . ويعود هذا بالاساس الى حقيقة ان الذكور من الضفة الغربية وقطاع غزة يتكونون هذه المناطق بحثا عن العمل خارجها .

### جدول رقم ( ٥ )

Table 5: Sex Composition of the Palestinians  
1980/1981  
(Thousands)

| Region          | Male    | Female  | Total   | Sex Ratio<br>M/F |
|-----------------|---------|---------|---------|------------------|
| West Bank       | 352.0   | 355.3   | 707.3   | 99.1             |
| Gaza Strip      | 224.4   | 227.1   | 451.6   | 98.8             |
| Israel          | 332.5   | 325.0   | 657.5   | 102.3            |
| Jordan          | 607.4   | 540.9   | 1,148.3 | 112.3            |
| Syria           | 114.0   | 108.5   | 222.5   | 105.0            |
| Lebanon (camps) | 34.0    | 34.0    | 68.0    | 100.0            |
| Iraq            | 11.0    | 9.6     | 20.6    | 114.5            |
| Egypt           | 26.6    | 19.0    | 45.6    | 140.0            |
| Kuwait          | 159.7*  | 140.0*  | 299.7   | 114.0            |
| Saudi Arabia    | 74.1*   | 62.6*   | 136.7   | 118.4            |
| UAE             | 22.5*   | 14.0*   | 36.5    | 160.7            |
| Libya           | 14.6*   | 9.1*    | 23.7    | 160.4            |
| Total           | 1,973.0 | 1,845.0 | 3,818.0 | 106.9            |

المصدر : مشتق ومركب من احصاءات فلسطين ( دمشق : منظمة التحرير الفلسطينية ، دائرة الاحصاءات المركزية ، ١٩٨١ ، احصاءات اسرائيل ( القدس : دائرة الاحصاءات المركزية ( ١٩٨٢ ) الجدول ٢٧/٣ ، ١٨/٢ ، ص ٧٣٤ و ٥٤ بالترتيب ، ومن باسم سرحان ، " السمات الديموغرافية والاجتماعية للشعب الفلسطيني " ، مجلة العربي ( الكويت : وزارة المعلومات كانون ثاني ، ١٩٨٣ ) ص ٥٢ .  
هذه معلومات مقدرة حسب احصاءات عام ١٩٧٥ .

وتبين البيانات في الجدول ( ٥ ) ، ان نسبة الجنس تختلف في التجمعات الفلسطينية حسب ظروف الهجرة . فبينما كان عدد الذكور والاناث متساويا تقريبا عام ١٩٨١/٨٠ ، نجد انه كان هناك ١٦٠٧ ذكرا لكل ١٠٠ انثى في الامارات العربية المتحدة . و ١٦٠ ر ٤ في ليبيا ، ١١٨٤ في

المملكة العربية السعودية. وكان هناك ٩٨ر٩ ذكرا لكل " انثى في الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٨١، بالمقارنة مع ١٠٢ر٣ في اسرائيل، و ١٢٠ في الدول العربية المنتجة للبتترول، و ١١١ر٤ في بقية العالم العربي. ومرة اخرى فان سبب ذلك يعود الى هجرة الذكور الفلسطينيين غير المتزوجين الى دول النفط العربية للعمل هناك (٢٦).

## ٢. نماذج الهجرة الفلسطينية :

ان النموذج الفلسطيني في الهجرة يعكس الظروف الاقتصادية والسياسية الاستثنائية التي يعيشون في ظلها. وقد لعبت هذه العوامل دورا اساسيا في الهجرة الفلسطينية، منذ عام ١٩٤٨، ومنها سياسة الاستيطان الصهيوني في فلسطين، وسياسة " الاردن" للضفة الغربية خلال الفترة ما بين ١٩٥٠ - ١٩٦٧ (٢٧).

كانت اول موجة من الهجرة نتيجة للحرب العربية / الاسرائيلية ونشوء دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ حيث نتج عنها ما يقدر بين ٧٠٠ر٠٠٠ - ٧٥٠ر٠٠٠ مهاجر فلسطيني (٢٨) ونتيجة لتركز الحكومة الاردنية للاستثمار والمشاريع الصناعية في الضفة الشرقية في وقت مبكر، فان النظام الاقتصادي في الضفة الغربية لم يستطع استيعاب تدفق العدد الكبير من الفلسطينيين. وازافة الى الهجرة الاولى في ظل الظروف الاقتصادية في الضفة الغربية التي كانت تعيق رغبتهم في تحسين دخلهم ومستواهم المعيشي - هاجر ٣٠٠ر٠٠٠ فلسطيني آخر من الضفة الغربية قبل عام ١٩٦٧، معظمهم من الذكور الفاعلين اقتصاديا ومنهم نسبة عالية من العمال المهرة.

نتيجة لحرب ١٩٦٧، وفقدان الضفة الغربية وقطاع غزة من جهة، ونتيجة لسياسي التفرقة والاستيطان اللتين استخدمتهما السلطات الاسرائيلية ضد الفلسطينيين في المناطق المحتلة، من جهة اخرى، هاجر ٤٥٥ر٠٠٠ فلسطيني آخر من الضفة الغربية وقطاع غزة منذ ١٩٦٧ (٢٩). ويمكن القول بشكل عام، ان الهجرة الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ قد تأثرت بأربعة عوامل اساسية : اولاً : نشوء دولة اسرائيل عام ٤٨ حيث نشأ عن ذلك تشريد حوالي ٧٥٠ر٠٠٠ فلسطيني من ديارهم الاصلية.

ثانياً : سياسة السلطات الاسرائيلية ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ ١٩٦٧ حيث ادت الى هجرة ٥٥٥ر٠٠٠ فلسطيني . والعامل الثالث هو عدم قدرة النظم الاقتصادية المحلية خلال الفترة ما بين ١٩٥٠ - ١٩٨٣ على استيعاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. رابعاً : عمل التطور الاجتماعي والاقتصادي السريع في الدول العربية المنتجة للنفط، والنقص في القوى البشرية المؤهلة، على تحسين مستوى الدخل والمعيشة للفلسطينيين المثقفين والمهرة . ان نظم الهجرة الفلسطينية خلال ١٩٤٨ - ١٩٨٣، والتي يمكن ان ننظر اليها على انها اثر على سنية القوة العاملة، يمكن تلخيصها في ثلاث نقاط اساسية :

اولاً : ان معظم المهاجرين هم من الرجال ( اما غير متزوجين او ) يعيشون منفصلين عن زوجاتهم

واولادهم ) . وقد انعكس هذا في انخفاض نسبة الذكور الى الاناث في المناطق المحتلة، وارتفاعها في الدول العربية المنتجة للنفط .

ثانيا : كان المهاجرون الفلسطينيون بشكل عام اقرب الى ان يكونوا في مقتبل سن العمل، فعالين اقتصاديا ، في اوائل او اواخر العشرينات من العمر، وعادة مستواهم الثقافي اعلى من المعدل العام للسكان في المناطق التي يهاجرون منها . ان ضعف وغياب النظم الاقتصادية والسياسية المتكاملة التي تعتمد على نفسها في المناطق التي يعيش فيها الفلسطينيون ، جعلت الشباب الفعال اقتصاديا والمثقفين يعتمدون على فرص العمل خارج المجتمعات الفلسطينية .

## ب - معدل المشاركة في قوة العمل :

يتحدد حجم قوة العمل في بلد معين بثلاثة عوامل :

( ١ ) توزيع العمر - الجنس بين السكان .

( ٢ ) مستوى مشاركة الذكور في قوة العمل حسب مجموعات الاعمار .

( ٣ ) مستوى مشاركة الاناث حسب مجموعات الاعمار .

يستخدم الكاتب هنا مجموعة الاعمار ما بين ١٤ - ٦٥ كعمر للعمل ، بينما يستثنى الذين هم اصغر من ١٤ عاما واكبر من ٦٥ سنة من كل الحسابات التي تحدد قوة العمل .

ان معدل المشاركة بين الفلسطينيين داخل الحدود التاريخية لفلسطين ( الضفة الغربية، قطاع غزة ومناطق ٤٨ ) خلال الفترة ما بين ١٩٧٩ - ١٩٨١ مبينة في الجدول رقم (٦) .

## جدول رقم (٦)

Table 6: Palestinians Aged Fourteen and Over by Labor Characteristics and Sex in the West Bank, Gaza Strip, and Israel 1979-1981 (Thousands)

|                                | Male  |       |       | Female |       |       | Total |       |        |
|--------------------------------|-------|-------|-------|--------|-------|-------|-------|-------|--------|
|                                | 1979  | 1980  | 1981  | 1979   | 1980  | 1981  | 1979  | 1980  | 1981   |
| WEST BANK                      |       |       |       |        |       |       |       |       |        |
| Population                     | 193.1 | 193.3 | 193.5 | 205.5  | 207.7 | 209.4 | 398.6 | 401.0 | 402.9  |
| Labor Force                    | 109.9 | 111.5 | 114.8 | 24.2   | 25.7  | 20.5  | 134.2 | 137.2 | 135.3  |
| % of labor force to population | 56.9  | 57.6  | 59.3  | 11.7   | 12.3  | 9.7   | 33.6  | 34.2  | 33.6   |
| GAZA STRIP                     |       |       |       |        |       |       |       |       |        |
| Population                     | 115.6 | 115.8 | 118.1 | 127.4  | 126.9 | 129.0 | 243.0 | 242.7 | 247.1  |
| Labor Force                    | 75.3  | 75.8  | 77.9  | 4.5    | 5.5   | 4.9   | 79.8  | 81.3  | 82.8   |
| % of labor force to population | 65.1  | 65.5  | 66.0  | 3.5    | 4.3   | 3.8   | 32.8  | 33.5  | 33.5   |
| ISRAEL                         |       |       |       |        |       |       |       |       |        |
| Population                     | 165.9 | 172.3 | 180.1 | 164.0  | 172.3 | 179.3 | 329.9 | 344.6 | 359.4  |
| Labor Force                    | 105.6 | 111.9 | 120.6 | 19.4   | 20.3  | 19.2  | 125.0 | 132.2 | 139.8  |
| % of labor force to population | 64.0  | 64.9  | 67.0  | 11.8   | 11.8  | 10.6  | 38.4  | 37.9  | 38.9   |
| TOTAL                          |       |       |       |        |       |       |       |       |        |
| Population                     | 474.6 | 481.4 | 491.7 | 496.9  | 506.9 | 517.7 | 971.5 | 988.3 | 1009.4 |
| Labor Force                    | 290.6 | 299.2 | 313.3 | 48.1   | 51.5  | 44.5  | 339.0 | 350.7 | 357.8  |
| % of labor force to population | 61.3  | 62.1  | 63.7  | 9.6    | 10.2  | 8.6   | 34.9  | 35.5  | 35.4   |

المصدر : مشتق ومركب من كتاب احصاءات اسرائيل ( القدس : دائرة الاحصاءات المركزية ،  
الجدول ٢٧/٥ ، ١٢/٥ ، ص ٧٤٨ - ٧٤٩ و ٣٣٢ بالترتيب .  
١٩٨٢ )

وكما هو واضح فان تقدير معدل المشاركة في هذه المناطق وصل الى ٣٥٣٪ في هذه الفترة ، اي حوالي ٣٥٧ الف مشارك من بين ١٠٠٩٤٠٠ شخص . وعند المقارنة بين معدل مشاركة فلسطيني الضفة والقطاع والذين في مناطق ٤٨ ، يتبين ان معدل المشاركة يزيد ٥٪ في اسرائيل عنه في الاراضي المحتلة بعد ٦٧ ( ٦٥٧٪ بالمقارنة مع ٦٠٨ ) . ويبدو ان هناك سببا واحدا مسوء ولا عن هذا الفرق في المشاركة بين الذكور يعود الى النسبة العالية من الشباب الملتحقين بالجامعات والمعاهد في الضفة الغربية وقطاع غزة ( ٣٠ ) . اما معدل المشاركة بين الاناث فانهما متدنية جدا في كل المناطق ( ٨٥٪ في الضفة والقطاع و ١١٤٪ في مناطق ٤٨ ) . ويمكن ان نعزو انخفاض معدل مشاركة النساء في قوة العمل الى التقاليد والعادات التي لا تشجعهن على الالتحاق بالعمل . من المحتمل ايضا ان النساء يبقين في بعض المناطق في البيوت للاهتمام بالارض ، فالنساء العاملات في الاثر غير ممثلات في البيانات المتعلقة بقوة العمل . وبشكل عام ، فان هذا المعدل المنخفض بين النساء هو المسوءول عن خفض معدل المشاركة العام في قوة العمل ما بين الفلسطينيين في حدود فلسطين التاريخية .

سوف يتم الان تقدير معدل المشاركة العام وحجم قوة عمل الفلسطينيين الذين يعيشون خارج المناطق الفلسطينية ، اعتمادا على حقيقة ان النساء الفلسطينيات خارج فلسطين هم اكثر فعالية ، وان معدل مشاركتهن هي اعلى منها في الداخل . ونتوقع على هذا الاساس ان معدل المشاركة العام سوف يكون اعلى من ال ٣٥٣٪ المقدرة لفلسطيني الضفة وغزة واسرائيل في الفترة ما بين ٧٩ - ١٩٨١ . ويقدر الكاتب ان هذه النسبة هي ٤٠٪ ( ٣١ ) وهذا يعني انه من بين ٥٦٠ / ١٣٤٥ فلسطيني تتراوح اعمارهم بين ١٤ - ٦٥ يعيشون خارج المناطق الفلسطينية هناك ٥٣٨٢٤١ مشاركين في قوة العمل .

عند المقارنة بين معدل المشاركة وحجم قوة العمل بين الفلسطينيين العاملين خارج المناطق الفلسطينية وداخلها نجد ان حوالي ٦٠٪ من ال ٨٦٩٠٤١ فلسطيني المشاركين في قوة العمل ، يعملون خارج المناطق الفلسطينية وهذا يعكس مشاركتهم بفعالية في تطوير المجتمعات غير الفلسطينية اكثر من تلك التي في فلسطين .

### جـ-التوزيع المهني لقوة العمل :

ان التوزيع المهني لقوة العمل يشير الى المهن ، والى نسبة هؤلاء الذين اعمارهم اكبر من ١٤ سنة ممن يعملون في تلك المهن . ويوضح الجدول رقم ٧ ، التوزيع المهني للفلسطينيين القاطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة واسرائيل .



Table 7: Employed Palestinians by Occupation and Sex in the West Bank and Gaza Strip, and Israel  
1981

| Occupation                                                                               | Male           |             | Female        |             | Total          |              |
|------------------------------------------------------------------------------------------|----------------|-------------|---------------|-------------|----------------|--------------|
|                                                                                          | 000            | %           | 000           | %           | 000            | %            |
| <b>WEST BANK AND GAZA STRIP:</b>                                                         |                |             |               |             |                |              |
| 0. Scientific and academic workers                                                       | 3,206          | 1.7         | 185           | 0.7         | 3,391          | 1.6          |
| 1. Other professional, technical and related workers                                     | 7,580          | 4.1         | 6,003         | 21.7        | 13,583         | 6.2          |
| 2. Administrators and Managers                                                           | 1,493          | 0.7         | 417           | 1.5         | 1,910          | 0.9          |
| 3. Clerical and related workers                                                          | 4,746          | 2.6         | 1,154         | 4.2         | 5,900          | 2.7          |
| 4. Sales workers                                                                         | 20,498         | 10.9        | 1,037         | 3.7         | 21,535         | 10.0         |
| 5. Service workers                                                                       | 14,471         | 7.7         | 1,107         | 4.0         | 15,578         | 7.2          |
| 6. Agricultural workers                                                                  | 32,769         | 17.4        | 14,032        | 50.7        | 46,801         | 21.7         |
| 7. Skilled workers in industry, mining, building and transport and other skilled workers | 57,872         | 30.7        | 3,718         | 13.4        | 61,590         | 28.5         |
| 8. Other workers in industry, transport and building and unskilled workers               | 45,575         | 24.2        | 37            | 0.1         | 45,612         | 21.2         |
| Total                                                                                    | 188,210        | 87.2        | 27,690        | 12.2        | 215,900        | 100.0        |
| <b>ISRAEL:</b>                                                                           |                |             |               |             |                |              |
| 0. Scientific and academic workers                                                       | 2,750          | 2.4         | 974           | 5.0         | 3,724          | 2.8          |
| 1. Other professional, technical and related workers                                     | 7,105          | 6.2         | 5,397         | 29.3        | 12,502         | 9.4          |
| 2. Administrators and Managers                                                           | 1,490          | 1.3         | 239           | 1.2         | 1,729          | 1.2          |
| 3. Clerical and related workers                                                          | 5,157          | 4.5         | 2,158         | 11.7        | 7,315          | 5.5          |
| 4. Sales workers                                                                         | 8,480          | 7.4         | 830           | 4.5         | 9,310          | 7.0          |
| 5. Service workers                                                                       | 12,835         | 11.2        | 1,396         | 7.5         | 14,231         | 10.7         |
| 6. Agriculture workers                                                                   | 13,179         | 11.5        | 2,116         | 11.5        | 15,295         | 11.5         |
| 7. Skilled workers in industry, mining, building and transport and other skilled workers | 45,725         | 39.9        | 5,081         | 27.6        | 50,806         | 38.2         |
| 8. Other workers in industry, transport and building and unskilled workers               | 17,763         | 15.5        | 458           | 2.4         | 18,221         | 13.7         |
| Total                                                                                    | 114,484        | 85.9        | 18,449        | 14.1        | 133,133        | 100.0        |
| <b>TOTAL</b>                                                                             | <b>302,694</b> | <b>86.9</b> | <b>46,189</b> | <b>13.1</b> | <b>349,033</b> | <b>100.0</b> |

المصدر : شتق ومركب من كتب احصاءات اسرائيل ( القدس : دائرة الاحصاءات المركزية ، ١٩٨٢ )  
الجدول ٢٢/٢٧ و ٩/١٢ .

### الصفة الغربية وقطاع غزة .

- ٥٠ عاملين في المجال الأكاديمي والعلمي .
- ( ١ ) مهن تقنية أخرى وعاملين ومرتبطين بها . ( ٢ ) مدراء
- ( ٣ ) مهن دينية وعاملين مرتبطين بها .
- ( ٤ ) عمال مبيعات
- ( ٥ ) عمال خدمات
- ( ٦ ) عمال زراعيين .
- ( ٧ ) صناعيين وعمال مهرة ، عمال صناعات استخراجية ، لبناء ومواصلات وعمال مهرة آخرين .
- ( ٨ ) عمال صناعيين آخرين ، مواصلات وبناء وعمال غير مهرة .

اسرائيل : \_\_\_\_\_

٥٠ عاملين في المجال الأكاديمي والعلمي .

- (١) مهن تقنية أخرى وعاملين ومرتبطين بها . (٢) مدراء
- (٣) مهن دينية وعاملين مرتبطين بها .
- (٤) عمال مبيعات (٥) عمال خدمات
- (٦) عمال زراعيين .
- (٧) صناعين وعمال مهرة ، عمال صناعات استخراجية ، لبناء ومواصلات وعمال مهرة آخرين .
- (٨) عمال صناعين آخرين ، مواصلات وبناء وعمال غير مهرة .
- الإجمالي .

تمثل قوة العمل في الضفة الغربية وقطاع غزة ٢٤٣٪ من مجموع قوة عمل الفلسطينيين في أنحاء العالم لعام ١٩٨١ ، بينما تمثل تلك التي في إسرائيل في نفس السنة ١٤٨٪ . إلا أن قوة العمل في إسرائيل هي - إلى حد ما - أكثر مهارة من تلك التي في الضفة والقطاع . ومن أهم خصائص الفلسطينيين في إسرائيل هو تركيزهم على العمل المأجور الانتاجي الذي يتطلب المهارة الفنية ، مما يميزهم عن اشقائهم في الأراضي المحتلة الأخرى (٣٢) .

إن انخفاض نسبة عمال الزراعة في إسرائيل (١١٥٪) بالمقارنة مع تلك في الضفة وغزة (٢١٨٪) ناتج جزئياً من الدرجة العالية من المكننة الزراعية في إسرائيل ، وزيادة الانتاجية الزراعية الذي سبب انخفاضاً شديداً في متطلبات الزراعة من القوى البشرية . بينما كان أكثر من ٥٠٪ من العاملين الفلسطينيين عام ١٩٥٥ يعملون في قطاع الزراعة ، أصبحت هذه النسبة ٣٧٪ عام ١٩٦٥ ، ثم ١١٥٪ عام ١٩٨١ . (٣٣) أي بمجموع نقصان ١٠.٠٠٠ عامل خلال الفترة ما بين ٦٨ - ١٩٨١ (٣٤) . أما عدد ونسبة العاملين المصنفين كموظفين وكتبة فأنها أعلى بين الفلسطينيين في إسرائيل مما هي في الضفة والقطاع ، وهذا يعكس توسع أكبر في قطاع الخدمات - الحكومة ، المال والتأمين ، التجارة والاتصالات في إسرائيل ، وقد زاد قطاعا التجارة والخدمات في إسرائيل من استخدامهما للعمال العرب بحوالي ١٢٪ (٣٢.٠٠٠ عامل في الفترة ما بين ٦٨ - ١٩٨١) (٣٥) .

أما الفلسطينيون العاملون خارج المناطق الفلسطينية والذين يمثلون ٦٠٪ من إجمالي قوة العمل الفلسطينية ، فمعظمهم متواجدون بشكل أساسي في الدول العربية المنتجة للنفط . إن الفئتين الأساسيتين للفلسطينيين في العالم العربي هما عمال وأكاديميين فنيين . خلال الفترة ما بين ٦٥ - ١٩٨٠ ، كان العمال ( المهرة وغير المهرة ) يشكلون ٤٠.٣٪ من قوة العمل ، بينما شكل الأكاديميون والفنيون حوالي ٢٣.٨٪ (٣٦) ويقدر أن حوالي ٧٥٪ من الفلسطينيين العاملين في الدول العربية المنتجة للنفط هم إما مهرة أو نصف مهرة ، وذلك لأن الطلب في تلك البلاد هو بشكل أساسي على المتعلمين والمهرة .

فإنها لا تختلف كثيراً عن تلك التي في الضفة والقطاع وإسرائيل والدول العربية . وكانت أهم المدن التي شغلها ٣٨.٠٥٩ فلسطيني / اردني الذين أخذوا إقامة دائمة في الولايات المتحدة خلال

الفترة ما بين ١٩٨٠ و ١٩٨٠ ، كانت اما فنيين ، اصحاب مهن حرة ، مدراء وكتبه ١٧٪ ، حرفيين ٥٠٪ ، باعة وعمال خدمات ٤٤٪ ، عمال ( بما فيهم عمال زراعة ) ٥٢٪ ، بينما كان ال ٦٧٩٪ الباقيون ربات بيوت ، اطفال وآخرين لم يرد بيانات عن مهنة لديهم ( ٣٧ ) . ( الطلاب في الجامعات الامريكية يكونون جزءا كبيرا من هؤلاء الذين لم يرد بيان عن مهنتهم ) .

## د - دور المرأة في قوة العمل :

يبين جدول رقم (٦) مدى مساهمة المرأة الفلسطينية في قوة العمل في الضفة والقطاع . فبينما كان معدل مشاركة المرأة في الضفة مشابها لمعدل مشاركتها في اسرائيل ( ١١٣٪ ) خلال الفترة ٧٩ - ١٩٨١ ، فان كلا المعدلين اعلى ب ٧٥٪ من معدل مشاركة المرأة في القطاع ( ٣٨٪ ) خلال نفس الفترة ، ويتضح هذا بحقيقة ان ٨٠٣٪ من النساء اللواتي اعمارهن اكبر من ١٤ سنة في قطاع غزة كن ربات بيوت في ١٩٧٩/٧٨ ، بالمقارنة مع ٦٣٧٪ في الضفة الغربية . بالمقابل نجد ان المعدل العام لمشاركة المرأة الفلسطينية في العالم العربي كانت ١٨٪ للفترة بين ٧٦ - ١٩٨٠ . ويمكن ان تعزى هذه النسبة العالية الى ان المرأة الفلسطينية خارج فلسطين ( وفي العالم العربي بشكل خاص ) اكثر نشاطا ومهارة منها في المناطق المحتلة واسرائيل .

ان النساء الفلسطينيات في قوة العمل في اسرائيل هن اكثر مهارة منهن في الضفة والقطاع . ففي اسرائيل ٢٧٦٪ عاملات مهرة في الصناعة والبناء ، ٢٩٣٪ فنيات وصاحبات مهن حرة ، بالمقارنة مع ١٣٤٪ و ٢١٧٪ على التوالي في الضفة والقطاع ( انظر الجدول رقم ٧ ) . اضافة الى ذلك انه بينما كانت الزراعة احدى المجالات التي شاركت فيها المرأة بشكل كبير في الضفة والقطاع عام ١٩٨٠ ( ٥٠٪ ) ، فان ١١٠٪ فقط من النساء الفلسطينيات كن عاملات زراعات في اسرائيل في نفس السنة . ويعود سبب ذلك الى مكنة الزراعة في اسرائيل مما قلل من الحاجة الى القوى البشرية . اضافة الى ان النساء اللواتي يبقين في البيوت للاعتناء بالارض غير ممثلات في بيانات القوى العاملة النسائية في اسرائيل .

ويبدو ان هناك سببين مسؤولين عن الانخفاض العام في معدل مشاركة المرأة الفلسطينية في قوة العمل ، اولاً : ان العادات والتقاليد الاجتماعية الفلسطينية تعرف دور المرأة بطريقة تحدد من حراكها وحياتها ، مما يخفف من حماس المرأة في البحث عن العمل . وبالرغم من ان التشتت عام ١٩٤٨ احدث تمزيقا في نظم العائلة التقليدية مما اجبر بعض النساء على العمل سعيا للرزق ، فان التقاليد ما زالت تضغط على المرأة ضد اتجاه العمل خارج البيت .  
وثانياً : ان الفلسطينيين بمصادرهم الاقتصادية المحدودة وجدوا ان هناك امانا اكثر في الاستثمار في تعليم الذكور كمصدر للثبات ضد التقلبات المستقبلية .  
بينت السنوات الحالية - بالمقارنة مع الفترات السابقة - مثلا نحو مشاركة اعلى للمرأة

ال فلسطينية في قوة العمل . ان الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها الفلسطينيون قد احدثت تغييرات في نظرتهم الى عمل المرأة وموقفهم من تحولها الى معيلة - مشاركة في دخل العائلة . وفي مسح اجري على الفلسطينيين في الكويت ولبنان تبين ان ٢٥٪ من هؤلاء الذين يعيشون في الكويت يؤيدون عمل المرأة و ٥١٪ يؤيدون عمل المرأة في مجال محدود من الوظائف و ١٢٪ يعارضون بشدة فكرة عمل المرأة ، ومن الفلسطينيين في لبنان ، ٥٢٪ يؤيدون عمل المرأة و ٣٨٪ يؤيدون ضمن مجال محدد من الوظائف ، بينما ١٠٪ يعارضون بشدة (٣٨) .

وفي النهاية ، فان مشاركة المرأة الفلسطينية في قوة العمل سوف تتأثر بعوامل عديدة . اولها ، المساح الكامل - تقريبا - للمرأة باتمام دراستها الثانوية وازدياد قبول الرجال للدراسة العليا للمرأة ، وثانيها . التغيير التدريجي للعادات والتقاليد الاجتماعية ، مما ينتج عنه ازدياد قبول المجتمع لفكرة عمل المرأة . اما ثالثا ، فهو تأثير الاحتلال الاسرائيلي على الوضع الاقتصادي ، بالإضافة الى النسبة العالية من النساء غير المتزوجات في المجتمع .

#### ٤- الخلاصة :

نتيجة للتشتتهم في انحاء العالم بعد حرب ١٩٤٨ ، فقد اعطى الفلسطينيون قيمة عالية للتعليم الذي يعتبرونه وسيلة للبقاء ، وضمانة قوية في مواجهة مشاكل المستقبل المجهول ، لانهم يعيشون في مجتمعات ليست لهم سيطرة عليها . لقد فهموا اهمية اكتساب المهارات التي تحتاجها الدول للبقاء لهم والتي لا يمكن لاي قوة ان تصادر ما يكتسب المرء منها . وبالنتيجة ، فقد اصبحوا احدي الشعوب الاكثر ثقافة والاعلى مقدرة من بين شعوب الشرق الاوسط العربي ، لكن هذا المستوى من التعليم والمهارة لم يأت دون مشاكل او نقاط ضعف . فقد وجه الفلسطينيون دراستهم نحو احتياجات مجتمعات غير فلسطينية ، وبشكل خاص مجتمعات دول النفط . فبالرغم من ان الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعرض لها الفلسطينيون منذ عام ١٩٤٨ ، قد عززت من عملية تحرير المرأة الفلسطينية ، الا ان المستوى التعليمي عند النساء ما زال متخلفا عنه عند الرجال ، بل ان معدل مشاركتهن المنخفض في قوة العمل قد ساهم بشكل كبير في خفض المعدل العام للمشاركة بين الفلسطينيين عموما .

ان المعدل العالي للهجرة من المناطق الفلسطينية هي مسألة اساسية ضمن الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي . لقد تفاقم الوضع بسبب غياب امكانية الاعتماد الذاتي ضمن النظم الاقتصادية والسياسية في المناطق التي يعيش فيها الفلسطينيون مما جعل الشباب المثقف والفعال اقتصاديا يبتعدون على العمال خارج مجتمعاتهم وهم تلك الفئة من المجتمع التي اكثر ما تحتاج اليها المجتمعات الفلسطينية لتكون احد عوامل التطور والتغيير .

من المتوقع ان الطلب على الفلسطينيين المتعلمين المهرة في الدول العربية الفنية سوف يزداد بشكل اقل في العقود القادمة ، مع ان هذا الطلب قد يتأثر بالسياسة المحلية والعالمية . نشر المؤلف انه مع حلول عام ٢٠٠٠ ، سوف يكون تعداد الفلسطينيين حوالي ٦٢٤٠٠٠٠٠



فلسطيني ( بمعدل زيادة سنوية قدرها ٣٪ ) من بينهم ١٥٠٠ ١٥٠٠٠ ( ٥٠٪ من قوة العمل ) يعملون في العالم العربي ، وبشكل خاص في دول النقطه . لكن اذا ظهرت مؤثرات سياسية جديدة وتم التوصل الى حل يضمن نشوء دولة فلسطينية ، فان هذه التقديرات سوف تختلف حيث قد يختار معظم الفلسطينيين المتعلمين والمهرة ، لسبب او لآخر ، العودة للاستقرار في فلسطين بنفس النظر عن الخيارات الاخرى .

## الهوامش :

( ١ ) في دراسة سابقة حول المصادر البشرية الفلسطينية انظر : Nabil Shaath, "High level Palestinian Manpower," *Journal of Palestine Studies*. Vol. 1, No. 2 (Winter, 1972), p. 82.

( ٢ ) هذا جزء من دراسة يعدها الكاتب لفحص احتمالات تأثير المصادر البشرية الفلسطينية على دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة .

( ٣ ) See Ibrahim Abu Lughod, "Educating A Community in Exile: The Palestinian Experience," *Journal of Palestine Studies*. Vol. 2, No. 3 (Spring, 1973), p. 98.

( ٤ ) بعض الدول العربية كالاردن منحت الفلسطينيين حق المواطنة .

( ٥ ) See Muhsin Yusuf, "The Potential Impact of Palestinian Education on a Palestinian State," *Journal of Palestine Studies*. Vol. 8, No. 4 (Summer, 1979), p. 71.

( ٦ ) انظر ملاحظات اريه برجمان حول مصداقية الاحصاءات الاسرائيلية الرسمية فيما يتعلق بالاراضي المحتلة في دراسته : "Economic Growth in The Administered Areas, 1968-1973,"

(Bank of Israel Re-search Department, Jerusalem, 1975), pp. 101-105.

( ٧ ) قدر ابولفد ( ١٩٧٨ ) انه في من اصل ٤٥ الف طالب تخرج من المدارس الثانوية في كل من المناطق عام ١٩٧٨ ، انضم منهم ١٠ الاف فقط ( ٢٠ ) الى جامعات محلية او اجنبية . انظر

Abu Lughod, "Palestinian Education," *Arab Perspectives* (January 1982), p. 15.

( ٨ ) النسب الاخرى كانت ١٠٠٠ / ٦ في سوريا ، ٤٥ / ١٠٠٠ في مصر ، في فرنسا ، ٨ في انجلترا ، مقابل ٣٠ / ١٠٠٠ في الولايات المتحدة ، ١٨ في الاتحاد السوفياتي . انظر :

A. B. Zahlan, *Arab World: Year 2000*. (Beirut: Arab Projects and Development, 1975).

( ٩ ) Central Bureau of Statistics, *Statistical Abstract of Israel* (Jerusalem, 1982), Table II/4. p. 34.

( ١٠ ) *Statistical Abstract of Israel*. op. cit. Table XXII/10, p. 624.

( ١١ ) يستند هذا التقدير الى الكتاب الاحصائي الاسرائيلي Tables XXII/35 and II/22, pp. 649 and 58, respectively.

وبسبب ان الاحصاءات تعكس فقط عدد الفلسطينيين



المجلى في الجامعات الاسرائيلية، فيمكن ان يكون هذا سببا في انخفاض الرقم عن الرقم الحقيقي لنسب التحاق الفلسطينيين في اسرائيل بالجامعات. يقدر الكاتب ان معدل الطلبة الذين يرغبون في تكميل تحصيلهم الجامعي بالنسبة لعدد السكان في اسرائيل هو حول ١٠٠٠/٥ عام ١٩٨٠ / ١٩٨١ .

These include geography, meteorology, and advanced electronics. See Adnan Abdel Razik, Riyad Amin, and Uri Davis, "Problems of Palestinians in Israel," *Journal of Palestine Studies*. Vol. 7, No. 3 (Spring, 1978), p. 51. (١٢)

See Shaath, *op. cit.*, p. 83. (١٣)

*Op. cit.*, p. 86. (١٤)

Lafi Jaafari, "The Brain Drain to the United States," *Journal of Palestine Studies*. Vol. 3, No. 1 (Autumn, 1973), p. 120. (١٥)

See Yusuf, *op. cit.*, p. 79. (١٦)

See Abu Lughod, "Palestinian Education," *op. cit.*, p. 17. (١٧)

١٨ ان مثال نموذجي لهذا الاتجاه هو قرار السلطات المصرية ان تحدد من / او ان لاتقبل طلبية فلسطينيين في الجامعات المصرية، في بعض الاحيان، بعد اتفاقيات كامب ديفيد .

Shaath, *op. cit.*, p. 89. (١٩)

Abu Lughod, "Palestinian Education," *op. cit.*, p. 17. (٢٠)

٢١ من هؤلاء، كان ١٥١٤ في الاردن، ١٨٣٠ في الضفة وغزة، ٦٧٢ في لبنان، و٤٨٤ في سوريا انظر: Yusuf, *op. cit.*, p. 81

٢٢ استندت هذه الافتراضات على المعدل الفعلي لزيادة الطلبة الفلسطينيين في المدارس المهنية في اسرائيل وفي المدارس التي تدار من قبل وكالة الغوث بين اعوام ٦٩/٧٠ - ١٩٧٦ / ٧٥ .

Yusuf, *op. cit.*, p. 83. (٢٣)

Abu Lughod, "Palestinian Education," *op. cit.*, p. 17. (٢٤)

Janet Abu-Lughod, "The Demographic Transformation of Palestine," in Ibrahim Abu Lughod (ed.), *The Transformation of Palestine* (Evanston, 1971), pp. 139-64. (٢٥)

Based on Statistical Abstract of Israel, *op. cit.*, Table XXVII/17, p. 748. (٢٦)

٢٧ اتبعت السلطات الاردنية خلال الفترة ١٩٥٠ - ١٩٦٧ سياسة تركيز معظم مشاريعها الاقتصادية في الضفة الشرقية بغض النظر عن الجدوى الاقتصادية وراء هذا القرار ( e.g., agricultural industries were established in the East Bank even though the West Bank was the main source of agricultural products).

(٢٨) ذهب ٣٩ / الى الضفة الغربية ٢٦٢ / الى قطاع غزة، ١٤ / الى لبنان، ١٠ / الى الاردن، و ١ / الى مصر. وقد قدرت بعثة هيئة الامم عام ١٩٤٩ عدد اللاجئين الفلسطينيين بين ٧١٦ و ٧٢٦ الف. اقترحت جانيث ابولغد رقما اعلى يصل بين ٧٧٠ - ٧٨٠ الف ( جانيث ابولغد ، التحول الديموغرافي للفلسطينيين ) قدر جورج قصيفي الرقم بـ ٧١٤ .

G. Kossaihi,

"Demographic Characteristics of the Arab Palestinian People," in Khalil Nakhleh and Elia Zureik (eds.), *The Sociology of The Palestinians* (New York: St. Martin's Press, 1980). Hagopian and Zahlan have suggested an estimate of 668,260 by 1952; see Hagopian and Zahlan, "Palestinian Arab Population: The Demography of the Palestinians," *Journal of Palestine Studies*. Vol. 3, No. 4 (Summer, 1974), pp. 32-71.

(٢٩) حسب احد تقديرات وكالة الغوث ، فان عدد الذين تركوا الضفة وغزة عام ١٩٦٧ كانوا ٢٥٠

الف في كانون اول ١٩٦٧ .

Mark Heller, *A Palestinian State:*

*The Implications for Israel* (Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press, 1983), p. 81. An official Jordanian estimate of displaced persons from the occupied territories in January 1970 was 428,669 of whom 167,211 were refugees from 1948; See "Palestinian Emigration and Israeli Land Expropriation in The Occupied Territories," *Journal of Palestine Studies*, Vol. 3, (Autumn, 1973), pp. 106-18. Since then the migration rate among Palestinians in the West Bank and Gaza Strip has been 1 percent annually.

(٣٠) بالاستناد الى الكتاب الاحصائي الاسرائيلي ، فان ٢١٣ / من السكان في عمر ١٤ - ٦٥ في

الضفة والقطاع كانوا منخرطين في مختلف مراحل التعليم لعام ٨٠ / ١٩٨١ .

(٣١) كان التقدير ان معدل مشاركة الفلسطينيين في قوة العمل في انحاء العالم للاعوام ٧٥-١٩٨٠

كانت حول ٣٧٢ / ، انظر :

Bassem Sirhan, "Demographic and Social

Characteristics of the Palestinians," *al-'Arabi* (Kuwait: Ministry of Information, January, 1982), p. 55.

بينما هذه النسب تشبه تلك للدول العربية غير المنتجة للبترول ، واعلى منها للدول المنتجة للبترول ، الا انها اقل بكثير في النسبة لدول العالم الثالث والتي تصل احيانا الى ٦٥ / ويعود ذلك الى انخفاض نسبة مشاركة المرأة في سوق العمل الفلسطيني .

(٣٢) N. Makhoul, "Employment Structure of Arabs in Israel," *Journal of Palestine Studies*. Vol. 11, No. 3 (Spring, 1982), p. 84. See also Raja Khalidi, "The Arab Economy in Israel: Dependency or Development," *Journal of Palestine Studies*, Vol. 13, No. 3 (Spring, 1984), p. 78.

Yvonne Haddad, "Palestinian Women: Patterns of Legitimation and Domination," In Khalil Nakhleh and Elia Zureik (eds.), *The Sociology of The Palestinians* (New York: St. Martin's Press, 1980), p. 158. This is based on figures provided by Bassem Sirhan, "Family and Kinship Among Palestinians in Kuwait," Workshop on Family and Kinship, Kuwait, November 27-30, 1976, p. 47 (unpublished).

(٣٨)

See Khalidi, op. cit., p. 77. Based on *Statistical Abstract of Israel, 1955/1956, Table N/2; Statistical Abstract of Israel, 1967, Table K/9; Statistical Abstract of Israel, 1982, Table XII/9.* (٣٣)

See Khalidi, op. cit., p. 55. (٣٤)

Based on *Statistical Abstract of Israel, 1969, Table J/10; Statistical Abstract of Israel, 1982, Table XII/9.* (٣٥)

Based on Sirhan, op. cit., p. 55. (٣٦)

Computed from United States Department of Justice, *Annual Report: Immigration and Naturalization Services, 1967-1977*, Washington, D.C.; and from the *Statistical Year Book of The Immigration and Naturalization Services, 1978-1980.* (٣٧)

## اعلان من مؤسسة الكاتب

تعلن "الكاتب" عن استعدادها لتوفير  
خدمات الطباعة **I.B.M** للابحاث  
والدراسات والمقالات والكتب باسعار معتدلة .

المراجعة في مكاتب المجلة — قرب  
مفرق ضاحية البريد — فوق مطعم غريل  
هاوس .

تلفون ٨٥٦٩٣١



# هنري ونستون خالد أبرا في ضمير الطبقة العاملة



بقلم : محمد البطراوي

في مساء السبت الثالث عشر من كانون الاول (ديسمبر) الماضي ،  
نعى الحزب الشيوعي الامريكي القائد الشيوعي هنري ونستون الشخصية  
الشيوعية العالمية البارزة ، قائد الحزب الشيوعي الامريكي ، والطبقة  
العاملة وحركات تحرر السود في امريكا .

ولد هنري ونستون في الثاني من نيسان  
(ابريل) عام ١٩١١ لاسرة سوداء فقيرة ، في  
مدينة هاتيسبرغ ، من ولاية ميسيسيبي . وكان  
ابوه يعمل كمامل غير ماهر في قطع الاخشاب  
، في ظروف حياة قاسية واجر ضئيل ، وكان الاخ  
الاكبر لخمسة اخوة واخوات ، فعرف اول ما  
عرف الجوع .

وعرف التمييز العنصري ، فقد كان نظام  
الرق سائدا في ولاية ميسيسيبي التي عاشت  
فيها عائلته وكذلك في ولايتي جورجيا والاباما  
المجاورتين ، وكثيرا ما سمع من والديه  
الاحاديث عن قتل السود والفظائع التي كانت  
ترتكب بحقهم دون عقاب لمقترفيها .

التحق هنري عندما بلغ السادسة من عمره  
بمدرسة للسود . وعندما بلغ الثامنة كان عليه  
ان يساعد والده ، فعمل صيا في ملعب جولف

حيث كان السادة البيض يقذفون له بقطع  
تافهة من النقود ، ولكنه كان سعيدا على ان  
يحال باسهامه في حل جزء من اعباء العائلة  
المالية .

انتقلت العائلة الى كنساس سيتي عام  
١٩٢٥ املا في ايجاد عمل يدر دخلا ، وبعد  
ان انهي هنري دراسته الابتدائية انتقل الى  
كلية متوسطة كل الطلاب فيها من السود  
وسرعان ما اصبح هنري على قمة طلاب صفه ،  
وكان من ابرز الرياضيين ، فلم تعرف كليته قبله  
ولا بعده من مائله في سباق الركض الطويل او  
في مركز الظهير الايمن . ويقول هنري ان  
الرياضة ساعدته على بناء جسمه بشكل ساعده  
على تحمل الصعوبات التي واجهها في حياته  
فيما بعد .

وفي عام ١٩٢٩ اجتاحت البلاد أزمة

جميع ولايات أمريكا المتحدة. وقد قابل هنرى عددا من اعضاء الحزب . وفي احد الايام ، وبطريق الصدفة ، حضر هنرى مؤتمرا مفتوحا نظمه فرع الحزب في كنساس سيتي ، وكان (ابنيري) احد القادة المحليين واحد من المتحدثين ، وكان الكثير مما قاله جديدا وغريبا لهنرى ولكنه كان مثيرا لاهتمامه ، فأخذ يقاطع المتحدث بأسئلة كثيرة لفتت انظار قادة المنظمة الحزبية ، بعدها ، حرص اعضاء منظمة الفرع على دعوته لحضور جميع الاجتماعات ، كما انه هو نفسه كان يحرص على الحضور الى مقر الحزب كلما مكنته ظروفه من ذلك .

أخذ هنرى يتعرف الى نشاطات الحزب الشيوعي وما يطرحه من حلول للقضايا الأكثر أهمية في حياة البلاد بأسرها وخصوصا قضية الطبقة العاملة وحقوق الأمريكيين السود واخذ يتعرف من خلال لقاءاته واحاديثه مع اصدقائه الجدد على انجازات ثورة اكتوبر في روسيا ، منهية الاضطهاد والتمييز حيث يتساوى جميع الناس لا يعرفهم لون او عرق. وقدم احد اصدقائه له كتاب جون ريد " عشرة ايام هزت العالم " حيث لم يستطع هنرى ان يتركه الا بعد ان قرأه كله دفعة واحدة. وقد قال هنرى فيما بعد ان هذا الكتاب قدم لجميع الاجابات عما كان يدور في ذهنه وكيف ان هذه الثورة قد حولت العالم نحو طريق تحقيق انتصار العدالة للطبقة العاملة .

قرأ هنرى الشاب بعض اعمال لينين المترجمة الى اللغة الانجليزية ، وقد اثار اهتمامه بشكل خاص كراس لينين " رسالة الى العمال الأمريكيين " وقد سمى هنرى هذه الرسالة " البرنامج " ( وقد كان يقتطف منها

اقتصادية حادة ، فاعلقت المصانع وعمت البطالة ، ومثل اغلب العمال السود ووجد والد هنرى نفسه بلا عمل ، وكان على هنرى ، بصفته الابن الأكبر ، ان يعيل العائلة ، فعمل في احد المطاعم بغسل الصحون من الساعة مساء حتى الساعة صباحا وكان عليه ان يذهب الى المدرسة في الساعة صباحا بدون ان ينال نطا من الراحة ، فاضطر لتترك المدرسة بعد حين اذ كان من المتعذر عليه ان يواصل الدراسة مع العمل اثنتي عشرة ساعة متواصلة .

تغلب الشاب هنرى في العديد من الاممال حيث عمل دهانا ، وفي غسل الاطباق في المطاعم ، وعنالا ، وفي صنع الاحذية ، وفي بيع الجرائد ، ثم اشتغل معلما في مدرسة للاطفال السود . وكما قال الكاتب الروسي العظيم كسيم غوركي ، فان هنرى اطلق على هذه التجارب " جامعاتي " .

عرف هنرى كل صنوف الالهانة والتمييز ضد السود ، وقد رأى بنفسه جموع المتعصبين البيض وهم يحرقون بيوت السود ، وعمليات " اللينش " والاغارة على احياء السود .

في مثل هذا الوضع ومع كل ما صادف الشاب هنرى كان لا بد من ان يتساءل باستمرار كيف يمكن ان يوضع حد لكل هذا الظلم . فاخذ يقرأ كثيرا . قرأ العديد من الكتب لفريدريك دوغلاس ودويويس وابتون سكر وغيرهم ، ولكن هذه الكتب كلها كانت تتحدث عما يجول في نفسه كما عرف ورأى الا تقدم حلولا او اجابات للقضايا التي كانت تنفل عقله .

كان الحزب الشيوعي الامريكي ( الذى تأسس في الاول من ايلول (سبتمبر) عام ١٩١٩ ) نشطا في هذه الحقبة من الزمن في

الشيوعي الأمريكي في حينها نشاطات هذه الرابطة عالياً، واشاد بهنرى ونستون كواحد من قادتها (٢) .

نظم الحزب الشيوعي في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣١، اول مسيرة جوع وطنية في واشنطن، وكان قادة الحزب امثال وليام فوسنر واليزابيث فلين وغاس هول وجون وليامسون وغيرهم يقودون هذه المسيرة. وشارك مجموعات العاطلين من مختلف المدن الصناعية في هذه المسيرة، وكان هنرى ونستون احد قادة مجموعة كانساس سيتي. وقد حاول مندوبون عن المسيرة مقابلة الرئيس الامريكى هوفر ولكنه رفض مقابلتهم ولم يراى اهتمام لمطالبيهم .

وفي العام التالي زاد اثار البطالة تقافا ووصلت الى حد لم يسبق له مثيل اذ زاد العاطلون عن ١٧ مليون . فقام الحزب بتنظيم مسيرة ثانية في واشنطن اكبر واوسع من سابقتها، وكان هنرى ونستون هو القائد الرئيسي لمجموعة كانساس سيتي واحد القادة للمسيرة الشاملة .

واجهت قوات من الجيش بقيادة الجنرال دوغلاس ماك آرثر المتظاهرين بقسوة بالغة، ونتيجة لاطلاق الرصاص مات بعض المتظاهرين وجرح العديد منهم، ولكن الحكومة اجبرت على التراجع، فاصدرت بعض التشريعات لاعانة العاطلين والضمانات الاجتماعية، وقد تجلت في هذه المسيرة مقدرة هنرى ونستون التنظيمية الفائقة .

حازت اضرابات العمال وحركة السود لنيل حقوقهم قوة متزايدة في هذه الحقبة، الا ان الاوساط الحاكمة اخذت في العمل على تقنين

مرارا وعن ظهر قلب أثناء دفاعه عن نفسه في محاكمة فولي سكوير عام ١٩٤٩ وخصوصا تلك المقاطع التي كتبها لينين مشيدا ببوجين دي ثم درس " البيان الشيوعي " . الان عرف هنرى الدرب الذى يجب عليه ان يسير عليه، درب محاربة الامبريالية دون هوادة حتى لو زج به الامبرياليون في السجن كما زجوا ببوجين دى من قبل .

عمل الحزب الشيوعي الامريكى ابتداءً من صيف ١٩٣٠ على تكثيف حركته ضد البطالة التي استشرت مع الازمة الاقتصادية التي لم يسبق لها مثيل والتي عمت جميع البلاد . فأسس الحزب " مجالس " للعاطلين عن العمل في معظم المدن الكبرى، وكان احد هذه المجالس قد انشئ في كانساس سيتي، وكان هنرى ونستون، الذى لم يتجاوز التاسعة عشرة، احد قادة ذلك المجلس، حيث جرى تنظيم العديد من المؤتمرات والمظاهرات الجماهيرية الواسعة ضد البطالة في هذه المدينة وفي غيرها من المدن الاخرى . وقد كان من المؤلف روية ذلك الشاب الاسود الرياضي يتكلم بحماس او يقود مظاهرة او يدير نقاشا، وكان الحضور يتجاوبون بحماس مع ذلك الشاب بحماسة الزائد وابتسامته الدائمة. وقد ظهرت مواهب هنرى ونستون، وهو في بداية ايام شبابه، كخطيب قادر ومنظم جماهيرى من الطراز الفريد .

اوصل النضال ضد البطالة هنرى ونستون الى التقارب مع اعضاء رابطة الشيوعيين الشباب، فانضم الى هذه الرابطة في تشرين الاول ( اكتوبر ) عام ١٩٣١، وبعد فترة وجيزة اصبح واحدا من قادتها .

وقد ثمن وليام فوسنر الامين العام للحزب

فيها على المحامي الاسود الشاب بنجامين ديفيز الذي أصبح واحدا من قادة الحزب الشيوعي وامتدت صداقتهما حتى وفاة ديفيز ومن هذه المعارك قضية الشاب الاسود بارني لي روس من تكساس الذي لفتت له تهمة اغتصاب امرأة بيضاء وحكم عليه بالموت، هذه التهمة المفضلة لادانة نشيطي حركة السود .

وعلى الرغم من الحملة الواسعة لانقاذ الشاب والتي بدأها ونستون الا ان الحكم نفذ فيه ، بعد ان جرى تأجيله لمدة طويلة . وقد علق حاكم تكساس على الحملة بقوله : " قد يكون الشاب بريئا ، ولكن ، من المفضل ، في بعض الاحيان ، حرق بيت واحد لانقاذ قرية كاملة " .

ان نشوة الانتصار ومرارة الهزيمة صهرتا هنري ونستون ليصبح كالفولاذ في صلابته ودفاعه في وجه الاضطهاد العنصري الموجه ضد ابناء قومه ، وجعلتا منه منظم حزبي جماهيري واسع التأثير .

وفي عام ١٩٣٢ سافر هنري ونستون الى نيويورك ليلتحق بالمدرسة الحزبية . واثناء جمع التوقيعات للحملة الانتخابية لترشيح وليام فوستر رئيس الحزب الشيوعي للانتخابات لرئاسة الجمهورية تعرف هنري على رفيقة شابة هي فيرن بيرسي وسرعان ما تزوجا . وفي عام ١٩٣٤ انجبا ابنتهما الاولى .

انضم هنري ونستون الى عضوية الحزب الشيوعي عام ١٩٣٣ ، وبعد ثلاث سنوات انتخب عضوا في اللجنة الوطنية للحزب وعضوا في اللجنة التنفيذية لرابطة الشيوعيين الشباب . وهو يرجع بذاكرته الى هذه الفترة من حياته قائلا : " هدنتي تعاليم

حركة الطبقة العاملة وتسعير الحقد العنصري بين البيض والسود لتفسيخ وحدتهم ، فكثرت عمليات القاء القبض المطفقة والتهم العشوائية المفضلة ضد السود .

وقد كانت قضية " سكوتسبرو بويز " واحدة من هذه القضايا ، حيث جرى تليفق اتهامات لثلاثة من الشباب السود تتراوح اعمارهم بين ١٢ - ٢٠ عاما باغتصاب امرأة بيضاء في ولاية الاباما ، ورغم انه لم تقدم ضدهم ادلة ثابتة ، الا انهم ادينوا وحكم عليهم بالموت " بالكرسي الكهربائي " ، وكان جميع المحلفين الذين ادانوهم هم من البيض من سكان سكوتسبرو .

نجر الحكم موجة غضب واستنكار ، ليس في الولايات المتحدة وحدها ، بل وفي جميع انحاء العالم ايضا . وقام الحزب الشيوعي ب حملة واسعة لانقاذ حياة هؤلاء الشباب الضحايا ، وكان هنري ونستون احد منظمي تلك الحملة في ولاية ميسوري ، وقد اضاء النضال من اجل انقاذ حياة الشبان الابرياء روية هنري ونستون حول مسألة السود في امريكا ، وجعل منه واحدا من ابرز المناضلين الذين ينتفون بشعبية واسعة بين السود في الولايات المتحدة بأسرها .

لقد قام الحزب الشيوعي ، ممثلا بخبرة ماغلية وقادته ، ب حملة واسعة لاطلاق سراح هؤلاء الشبان ، وقد تكلفت جميع الجهود بالنجاح عندما نقضت المحكمة العليا قرار المحكمة المركزية السابق ، وكانت جهود هنري ونستون ذات قيمة كبرى في الوصول الى هذه النتيجة . وقد برز اثناء الحملة والمحاكمة شعار " ابها السود والبيض اتحدوا ، وقاتلوا " .

غاض ونستون معارك مماثلة كثيرة تعرف



لينين الى الطريق الصحيح . كانت هذه الافكار ووحدها هي التي اثرت وشكلت حياتي كلها وجعلتني اعرف قضايا قيادة الطبقة العاملة . كما انني تعلمت ايضا ان انتصار الطبقة العاملة، وانتصار شعبي، سيتم فقط اذا ما وجد في بلادنا حزب شيوعي يطبق النظرية الماركسية اللينينية " .

وفي الثلاثينات انتشرت بين السود الافكار البورجوازية القومية الانفصالية، وكدراً هذا الخطر عمل الحزب الشيوعي على تكثيف نشاطه السياسي وخصوصا في اوساط الشبيبة السوداء . ولكن الامر لم يكن هينا على اى حال فالحملات الوحشية التي كانت تقوم بها العصابات العنصرية البيضاء ضد السود تزداد، وتؤجج معها نار الكراهية نحو البيض في اوساط السود . وهكذا فقد كان من اكثر المسائل اهمية والحاحا امام الحزب الشيوعي هو توحيد نضال السود والبيض ضد مستغليهم قرر الحزب ان يرسل هنرى ونستون الى الاتحاد السوفييتي ليتعرف على الحياة هناك وليقف عن كئيب على التجربة السوفييتية في حل مسألة القوميات . وقد وصل موسكو في تشرين الثاني عام ١٩٣٣، وعاد الى بلاده في آذار عام ١٩٣٥ بعد ان تعرف بعمق الى الحياة السوفييتية وزار جميع الجمهوريات، وقد استرعت اهتمامه واعجابه ما حققته جمهوريات اسيا الوسطى من تقدم، مقارنا ذلك بأوضاع السود والمكسيكيين والاقليات الاخرى المضطهدة في بلاده .

كانت البلاد تمر بمزاومة اقتصادية خانقة، وكان السود المسحوقون يتركون جنوب البلاد مهاجرين طلبا للعمل في المناطق الصناعية في الشمال . وكانت مدينة كليفلاند ( ولاية

اوهايو ) واحدة من اكثر المدن الصناعية التي استقطبت هجرة السود ، حيث شكلوا فيها جزءا كبيرا من حجم الطبقة العاملة . وكانت ظروف المنافسة على العمل تجعل من الصدامات اليومية بين البيض والسود امرا مقلقا للغاية ، فرأى الحزب في هنرى ونستون ذلك القائد القادر على مواجهة المصاعب في تلك المدينة ، فعهد اليه بالعمل فيها كسكرتير تنظيمي لرابطة الشيوعية الشباب ، حيث حقق نجاحا فاق كل التقديرات هناك . ولكنه رغم هذا لم يمكث طويلا في تلك المدينة، اذ ان نجاحا وشخصيته القيادية المتميزة جعلت المؤتمر العام لرابطة الشيوعيين الشباب المنعقد في كانون الثاني عام ١٩٣٦، ينتخبه كسكرتير تنظيمي عام للرابطة . فانتقل للعمل في مدينة نيويورك حيث عاش فيها حتى آخر ايامه .

وفي عام ١٩٣٥ عقد المؤتمر السابع للكومينترن في موسكو وكان من اهم غاياته العمل على وقف الفاشية وخطر الحرب التي تهدد العالم . فقد غزت ألمانيا منطقة الرانيلاند وحركت جيوشها الى مناطق الحدود الفرنسية، وشتت ايطاليا الفاشية حربها للاستيلاء على اثيوبيا . وقامت ألمانيا وإيطاليا بدعم القوى المناوئة للثورة الاسبانية عام ١٩٣٦، وفي نفس السنة عقدت ألمانيا النازية مع اليابان العسكرية حلفا سمي بـ " حلف مقاومة الكومنترن " الذي سرعان ما انضمت اليه ايطاليا . وهكذا ظهر للوجود تجمع عدواني يتحفز لاغراق العالم في حرب تدميرية . عملت كل القوى المحبة للسلام، وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي لوقف هذا الخطر الداهم . وشارك الحزب الشيوعي الامريكي

دولار او بالعقوبتين معا . وكان تبرير اقرار هذا القانون رسميا على اساس انه موجه ضد المنظمات النازية والفئات المتعاطفة مع المانيا النازية، ولكن القانون بصيغته المقررة كان يمكن ان يوجه ضد الحزب الشيوعي والمنظمات التقدمية .

على أى حال عمل الحزب خلال هذه الحقبة على اثاره الرأى العام في امريكا ضد الخطر النازى الداهم وهاجم بشدة صمت الدولة ازاء العدوان النازى واحتلاله لبعض البلدان الاوروبية . ازعج النفوذ المتعاطف للحزب الاوساط الرجعية، وخصوصا ما تميز به من التفاف الاعداد المتزايدة من الشباب حوله .

تم بايحاء من ضغوط القوى الرجعية في عام ١٩٣٨ تأسيس لجنة حكومية سميت بلجنة متابعة النشاطات الداخلية المناوئة لامريكا . وقد اجازت هذه اللجنة نشاطات ١١٩ منظمة مؤيدة للنازية، وانقلبت " للتحقيق في نشاطات " الحزب الشيوعي الامريكى والمنظمات التقدمية الاخرى .

وقد حمل عام ١٩٤١ تغيرا هاما في مجرى الاحداث . ففي ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤١ هاجمت المانيا النازية الاتحاد السوفيتي فجأة ، وبدأت بذلك الحرب البطولية للشعب السوفيتي ضد الغزاة النازيين . وفي ٧ كانون الاول (ديسمبر) من نفس العام هاجمت اليابان ميناء بيرل هاربر واغرقت قسما كبيرا من القوة البحرية الامريكية في منطقة الباسيفيكي . وفي اليوم التالي اعلنت امريكا الحرب على اليابان ثم على المانيا النازية بعد ذلك .

بكل جهوده في ذلك . وكان هنرى ونستون واحد من اولئك الرفاق البواسل الذين جندوا كل طاقاتهم من اجل مقاومة الحرب وخطر الفاشية ، فنظم الاجتماعات وتحدث في المؤتمرات داعيا ومحرضا ومدينا صمت حكومة الولايات المتحدة ازاء ما تقوم به الحكومات الفاشية ومطالبها بالفاء المنظمات الفاشية التي اخذت في الازدياد داخل امريكا ذاتها . وقد ظهر في هذه الاونة كتابه " تبدأ الحياة بالحريسة "

وفي عام ١٩٣٧ سافر هنرى ونستون مرة اخرى الى الاتحاد السوفياتي ضمن وفد للشاركة في المؤتمر العالمي لروابط الشيوعيين الشباب والمكرس لدعم الجمهورية الالبانية، ومواجهة خطر الفاشية المتنامي ، وقد تعرف الى العديد من القادة والمندوبين أثناء هذا المؤتمر . كما انه زار باريس في طريق عودته وتعرف الى قادة الحزب الشيوعي الفرنسي وتجربة الحزب الطويلة في تنظيم وقيادة الحركات الجماهيرية . وبعد عودته ، انتخب عضوا في اللجنة الوطنية للحزب الشيوعي الامريكى وكان عمره آنذاك ٢٧ عاما .

وفي عام ١٩٤٠ اقر الكونغرس " قانون سميت " الذى قيل في تبريره رسميا انه موجه ضد المنظمات النازية والجماعات التي تتعاطف مع المانيا النازية، ولكنه وجه في الحقيقة ضد الحزب الشيوعي والمنظمات التقدمية الامريكية الاخرى . وينص قانون سميث هذا على عدم شرعية اى منظمة تعمل على تغيير نظام الحكم بالقوة، وعقوبة من تثبت نفوذته في مثل هذه المنظمات بالسجن لمدة عشرة اعوام او بغرامة مقدارها عشرة الاف

المتحدة هو أسلوب قديم لا يتمشى وحركة التاريخ، وان "تقدم" الرأسمالية الأمريكية اوجد وضعاً من التناقض الطبقي" بين العمل ورأس المال. وللدلالة على وجهة نظره هذه استشهد ببقاء طهران بين ستالين وتشرنشل وروزفلت، وادعى ان ظروف الحرب تحتم وحدة وطنية داخلية، كما تحققت على المستوى العالمي وحدة مواجهة العدو المشترك وازاء هذا الوضع فان الظروف تدعو الى عدم قيام تنظيم جماهيري مناوئ للامبريالية، وبالتالي يجب انتهاء دور الحزب كحزب للطبقة العاملة، وتحويله الى منظمة سياسية للفكر الشيوعي.

عارض وليام فوستر الرئيس الوطني للحزب هذه الافكار، ووجه رسالة الى اللجنة الوطنية للحزب مفنداً بها افكار براودر. ولكن براودر عمل على عدم عرض هذه الرسالة على اللجنة، وعقد مؤتمراً عاماً للحزب، لم تتمكن فيه قيادة الحزب من الحصول على الاصوات المناهضة لبراودر، ولم يسمح لفوستر بإبداء وجهة نظره، وهكذا في ٢٢ مايو (ايار) ١٩٤٤. تم حل الحزب، ليحمل اسم المنظمة السياسية الشيوعية، واصبح براودر رئيساً لهذه المنظمة بعد طرد وليام فوستر.

كان هنري ونستون بعبدا في جبهة القتال مع الالف الشيوعيين وبعض القادة، ورغم ذلك فقد ادرج اسمه كواحد من اعضاء هذه المنظمة، رغم انه لم يستطع ان يجد تفسيراً لما جرى، ولم يقبل حل الحزب الذي يجسد نضال الطبقة العاملة، والتي نذر ونستون حياته من اجل انتصارها.

أخذت تظهر يوماً بعد يوم انتهازية براودر وخيانتة للطبقة العاملة، وأخذت تظهر

ومع ان امريكا كانت تحارب اليابان، الا انها اهتمت تماماً الجبهة الأوروبية حيث كان الجيش الاحمر يواجه الوحش النازي وحيداً وفي ظروف بالغة الخطر. لذلك دعا الحزب الشيوعي الأمريكي ادارة الرئيس روزفلت الى اعادة النظر في سياستها تجاه الاتحاد السوفييتي. وكان هنري ونستون في هذه الفترة يشارك في نشاط اذاعي عبر الراديو، متدداً بالحرب النازية، ومبيناً الهزائم المتلاحقة التي تلحق بالجيش الغازية على يد الجيش الاحمر، ومؤكداً حتمية انتصار النظام السوفييتي مبيناً لكل شعوب الارض، كيف انه من الممكن لشعب حر، يعمل بقيادة منظمة واعية، ان يرد بكل بسالة قطاعان النازية الهمجية" وكان يؤكّد ان دعوة اولئك الدعاة لتجاهل الجبهة الأوروبية لا يختلفون في موقفهم عن هتلر. وان على امريكا ان تبادر فوراً الى عقد تحالف عسكري مع الاتحاد السوفييتي وخوض الحرب الى جانبه، وان تفي بالتزاماتها بتزويده بالاسلحة وان تبادر الى فتح جبهة ثانية ضد النازي في أوروبا.

وفي ٧ شباط (فبراير) ١٩٤٢ تطوع هنري ونستون وانضم الى صفوف الجيش الأمريكي، فألحق بالفرقة الجوية رقم ٣١٨. وامضى فترة خدمته في بريطانيا وفرنسا.

كان الحزب قد دعا اعضاءه للتطوع، فانضم الى القوات المحاربة ما يقارب ١٥ الف عضو من اعضاءه بينهم بعض القادة امثال غاس هول وروبرت تومسون وهنري ونستون وغيرهم. في هذه الاثناء، وفي غياب العديد من قادة الحزب ونشيطيه، انتخب ايرل براودر اميناً للحزب. وقد خرج براودر بنظرية تقول ان نضال الطبقة العاملة في ظروف الولايات





في الديلي ووركر ومجلة الشؤون السياسية  
كنايات مناوئة لبراودر ، رغم انهما كانتا  
تتلاقان رسميا رأى منظمته ، وأخذ كثير من  
الأعضاء في مراجعة موقفهم وادانة حل  
الحزب. كما ان الاحزاب الشيوعية العالمية  
ادانت موقف براودر. وقد كتب جاك ديكلو  
سكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي والشخصية  
الشيوعية العالمية مقالا في " الدفاتر الشيوعية  
الحلقة النظرية للحزب الشيوعي الفرنسي في  
مئذ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ اذ ان فيه براودر  
، واصفا اياه بتحريف الماركسية وخيانة الطبقة  
العامة وقضيتهما العادلة ، ومنذ فكرة "  
"التعاضد الطبقي السلمي" بقيادة الرأسمالية  
، كما اتارالى ان " اتفاق طهران " الذى هو  
في حد ذاته وثيقة دبلوماسية ، لا يمكن ان  
يكون قاعدة فكرية" لمسألة التعاضد السلمي  
بين الطبقات. وانتقد بشدة حل الحزب  
بأنه ان الظروف الجديدة تدعو اليوم واكثر  
من اى وقت مضى بوجود حزب شيوعي امريكي  
الكرتوة".

نشرت كل من الديلي ووركر ومجلة  
الشؤون السياسية مقال ديكلو رغم معارضة  
براودر. وبعد اسابيع قليلة اعلن اغلب اعضاء  
المنظمة رفضهم لموقف براودر الانتهازي .

عقد اعضاء المنظمة اجتماعا تميهيديا  
من ١٨ - ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ شارك  
فيه عدد من قادة الحزب بينهم وليام فوستر  
بنيجز واليزابيث غورلي فلين وجون وليامسون  
والفيل غرين. وقد اذان الاجتماع البراودرية  
والتي قرارت المؤتمر الثاني عشر السابق ،  
التي ايدى الى الرئيس وليام فوستر بالاشراف على

المنظمة واقصاء براودر من منصبه ، وتقرر في  
الاجتماع الدعوة الى مؤتمر عام في اقرب  
وقت ممكن .

عقد المؤتمر الثالث عشرا لطارى في  
٢٦ تموز ١٩٤٥ في مدينة نيويورك وقرر اعادة  
الحزب الشيوعي ووافق على نظامه وصاغ  
اهدافه ومهامه للمرحلة القادمة. وانتخب  
المؤتمر وليام فوستر رئيسا وطنيا للحزب  
الشيوعي الامريكي من جديد. وفي شباط  
١٩٤٦ طرد براودر من صفوف الحزب لممارسته  
نشاطا انشقاقيا .

بعد فترة وجيزة من انعقاد المؤتمر  
الثالث عشر عاد غاس هول وهنرى ونستون  
وقادة واعضاء الحزب الآخرون الى الوطن  
بانتهاء الحرب واندحار ألمانيا النازية. وكانوا  
قد علموا باعادة تأسيس الحزب فاعربوا عن  
تأييدهم التام لقرارات المؤتمر الثالث عشر.  
وفي ١٨ تموز (يوليو) ١٩٤٦ ، وبمبادرة من  
وليام فوستر جرى انتخاب يوجين دينيس امينا  
عاما للحزب وهنرى ونستون عضوا في اللجنة  
المركزية كسكرتير تنظيمي عام للحزب .

كانت الهزيمة الماحقة للنازية انطلاقة  
جبارة لحركات التحرر الوطني وانعقاد عدد  
من البلدان من ربه الرأسمالية وانتصارا  
مؤزرا للاشتراكية . وبرزت بشكل اكثر حدة  
قضية الصراع الطبقي ، واصبحت الطبقة العاملة  
اكتر تنظيما واعظم قدرة ، وتعزز دور الاحزاب  
الشيوعية في كل ارجاء الارض .

اجتاحت موجة ما بعد الحرب الولايات  
المتحدة ، فظهرت حركات جماهيرية واسعة  
مناوئة للفاشية والاحتكار ، وتعددت اضرابات  
العمال والمظاهرات وتجمعات الجنود





القاعة نفسها ٤٥ شرطيا بملابس مدنية و ٣٨ آخرين باللباس العسكري. وكان يمنع أي انسان من الاقتراب من البناء. وقد كتبت جريدة النيويورك تايمز بأن هذا الحدث من الشرطة لم يكن له مثيل لأي محاكمة تمت من قبل. وقد طلب الدفاع اخراج الشرطة من قاعة المحكمة ولكن القاضي هارولد ميدنا رفض الطلب.

كان الالاف من المتظاهرين يحيطون بالقاعة يرفعون الشعارات القائلة لتتوقف فورا محاكمة قادة الحزب الشيوعي " ولتلي فورا التهم الموجهة لحماية الحرية " و " لاينج ١٩٣٣ - فولي سكوير ١٩٤٩ " .

كان دفاع القادة اذانة للامبريالية والتمييز العنصري. وكان دفاع هنري وستون تلخيصا لمعاناة الجماهير وشرحا لوضع الطبقة العاملة واذانة للتمييز والفرقة التي يعاني منها السود في امريكا. واختتم دفاعه قائلا: " " هذه هي حياتي... ولن انسى ابدا حقيقة ان الحزب الشيوعي كان هو المنظمة الاولى في هذه البلاد التي قدمت برنامجا عمليا وعادلا لشعبي وطبقتي " . وفي نهاية دفاعه، قال : " انها مؤامرة ضد الحرية، وخطوة نحو الفاشية " .

كان القاضي يقاطع كلمات القادة ويهددهم بمنعهم عن الكلام. ولكن دفاع المعتقلين حظي باعجاب واحترام الجماهير، حتى أولئك الذين كانوا يكرهون الشيوعيين في اعماقهم لم يملكوا غير الاعجاب بمواقفهم ودفاعهم.

وفي تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٤٩ اعلن الحكم بسجن كل واحد من المتهمين لمدة خمس سنوات وبغرامة مالية عالية. فتقدموا

المسرحين وصعد السود نضالهم من اجل المساواة. واصبح الحزب الشيوعي الامريكي اكثر نشاطا وقيادة لطموحات الجماهير. وكان رد الرجعية الامريكية هو مضايقة واضهاد الحزب الشيوعي. ففي العشرين من تموز ( يوليو ) ١٩٤٨، اعتقلت السلطات، اعتمادا على قانون سميث، اثنا عشر عضوا اعضاء اللجنة الوطنية للحزب بينهم هنري وستون.

كان الاعداد للاعتقال قد تم منذ مدة بعيدة، وكان قد جرى اعداد " الشهود والادلة " وتسريب عدد من عملاء الشرطة والمخبرين، من اجل هذا الغرض، الى بعض منظمات الحزب الجماهيرية، وكانت التهمة الموجهة الى هؤلاء القادة هي العمل سرا من اجل " قلب نظام الحكم بالقوة والعنف " . وكان الدليل الذي اعتمدته الشرطة هو ان المعتقلين يدعون الى الماركسية اللينينية. وفي ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ بدأت محاكمة القادة في محكمة نيويورك الفيدرالية في فولي سكوير واستمرت تسعة اشهر.

لقد اعادت هذه المحاكمة الى الازهان، تلك المحاكمة السيئة الصيت عن حرق الرايخستاغ في المانيا النازية عام ١٩٣٣. وقد عمت سائر انحاء البلاد وكل بلدان العالم موجة من الاستنكار والسخط والمطالبة باطلاق سراح المعتقلين فورا.

كان القادة في السجن تحت حراسة مشددة، وكانوا يحضرون الى قاعة المحكمة مصفدى الايدى حتى وهم داخلها. وبجدة حماية قاعة المحكمة من هجوم المتظاهرين، كان يحيط بها ٤٠٠ شرطي، وعدد من السيارات المحملة بالجنود، ويرابط داخل

وهكذا واجه الحزب الشيوعي الأمريكي قانونان جائران هما قانون سميث وقانون ماكاران . وبطبيعة الحال ، فان الشيوعيين لم ينصاعوا لهما وتمسكوا بحقهم الدستوري . ولكن الاعتقالات كانت تتكرر يوميا اعتمادا على اقوال المخبرين والعلماء .

في هذه الفترة العصبية عقد الحزب مؤتمره الخامس عشر ، وقدم هنري ونستون دراسة مطولة تحمل عنوان " ماذا يعني ان تكون شيوعيا " وقد طبعت هذه الدراسة في كراس جرى توزيعه بشكل واسع .

تقرر اعادة محاكمة القادة ، امام المحكمة العليا ، بناء على طعنهم السابق في قرار محكمة نيويورك الفيدرالية ، وحدد يوم الثاني من تموز ( يوليو ) ١٩٥١ للابلاغ برأى محكمة الاستئناف وفي اليوم المحدد لم يظهر امام المحكمة سوى سبعة من القادة .

سأل القاضي بدهشة : اين الآخرين ؟ لم يجد جوابا ، كان الحزب قد قرر ان يختفي كل من غاس هول ، وهنري ونستون وغيل غرين وروبرت تومبسون ( اما وليم فوستر فكان مريضا عاجزا عن الحركة في بيته ) . صادقت المحكمة على القرار السابق واقتيد القادة السبعة الى السجن في سيارة مصفحة الى سجن لويزبرغ الفيدرالي في ولاية بنسلفانيا ، ليجرى توزيعهم بعد ذلك على عدة سجون متباعدة . اصدرت المحكمة قرارا بلاحقة القادة المختفين ، وانذرت كل من يساعدهم او يتستر عليهم بالسجن لمدة ستة اشهر وغرامة مقدارها الف دولار .

اخذت الصحف البرجوازية في اختلاق شتى الروايات عن القادة المختفين ، فتدعي انهم غادروا الى امريكا الجنوبية ، وحددت

الى محكمة الاستئناف طالبين اعادة النظر في القرار . وفي الثاني من تشرين الثاني ( نوفمبر ) اخرج عنهم بكفالة مالية كبيرة على ان لا يغادر أي منهم مدينة نيويورك حتى موعد اعادة النظر في القضية .

استقبلت الجماهير القادة المفرج عنهم باحتياج ، وعقدت المهرجانات الشعبية الكبيرة احتفاء بهم وتقديرا لبطولتهم . وفي هارلم اقيم مهرجان ضخم ضم الالف الناس من البيض والود وعلى رأسهم المغني الزنجي الشيوعي بول روسون .

ازداد الحقد في الاوساط الرجعية الحاكمة ، وازداد اضطهاد المنظمات التقدمية ، واخذ الكونغرس في مناقشة مسألة " خطر التهديد الشيوعي " . فاقر في ٢٣ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٥٠ قانون ماكاران للامن الداخلي المعادي للديمقراطية والشيوعية واكثر القوانين رجعية على الاطلاق خلال فترة ما بعد الحرب . وينص هذا القانون على ان على جميع اعضاء وقادة الحزب الشيوعي وجميع المنظمات " التخريبية كالجبهة الشيوعية ، ان يسجلوا اسماءهم وعناوينهم لدى دائرة العدل . وينص القانون على منع هؤلاء من العمل في المؤسسات الحكومية ، او الصناعات الدفاعية والسفر للخارج . وعلى الحزب الشيوعي والجبهة الشيوعية تقديم قوائم بأسماء اعضائهم وعناوينهم وتقريبا ماليا سنويا يبين مصادر الدخل والانفاق . وتقضي مخالفة هذا القانون بالسجن لمدة خمسة اعوام وغرامة مقدارها (١٠) آلاف دولار . ويعطي القانون السلطات الحق في اعتقال الاعضاء ووضعهم في سكرات اعتقال دون محاكمة في حالة تعرض الولايات المتحدة للحرب او التهديد بها .

معجبون بهدوئه واتزانه. احبه السجناء، واسرتهم ابتسامته الدائمة، وسرعان ما محضوه احترامهم وتقديرهم، كان السجناء الشبان يلجأون اليه دائما طالبين نصحه وارشاده يقرأون رسائل الاهل امامه ويناقشون معادير هولاء الاهل. كثيرون كانوا في حالة يأس وقنوط، وكان حديث ونستون اليهم يبعث الطمأنينة والراحة في قلوبهم، كانوا يطلقون عليه بحبة لقب "الاب" على الرغم من ان الكثيرين منهم يكبرونه عمرا. ولم يره احد حزينا ابدا رغم كل ما يحمله في قلبه من هموم عاملته سلطات السجن بكل قسوة ووحشية كثيرا ما حرم الطعام والخروج من غرفة السجن، وكثيرا ما ادخل الى زنزانه سجين ابيض عنصري يقوم باستفرازه. كان يعلم ان استجابته لاي استفزاز ستعطي سلطات السجن فرصة التنكيل به. كانوا يعاملونه وكأنه اشد السجناء اجراما.

علم ونستون وهو في السجن ان اخطارا جديدة تواجه الحزب، فضلا عن نوايا السلطات تصفية الحزب، فان هنالك خطرا جديدا يتمثل في دعوة تحريفية جديدة مشابهة لتلك التي قام بها براودر في الاربعينات. كان جون غيتس قد امضى مدة سجنه وعاد لصقوف الحزب وانتخب امينا عاما للجنة الوطنية، وقد خرج بنظرية تقول " الاستثناء الامريكي " مدعيا ان التناقضات الطبقيّة آخذة في الزوال في امريكا، وهكذا فلا ضرورة لوجود حزب شيوعي وان الماركسية لا تنطبق على الظروف الامريكية.

كان العديد من القادة في السجن، وكان وليام فوستر طريح الفراش، فحاول غيتس ان يطرح افكاره ويعمل على اقرارها في مؤتمر

احدى الصحف مكانا معيناً في احدى غابات غواتيمالا، وقالت صحف اخرى انهم في الاتحاد السوفييتي، واختلقت روايات كثيرة وقيل الكثير على السنة ( موثوقين ) شاهدوا جميع او بعض المختفين .

كان غاس هول اول من وقع في ايدي الشرطة، ثم جرى اعتقال روبرت تومبسون، وقرر الحزب في بداية عام ١٩٥٦ ان يقوم غيل غرين بتسليم نفسه اما هنري ونستون فان عليه ان يستمر في العمل مختفيا. وهكذا استمر ونستون ولعدة خمس سنوات يعمل في الخفاء الى ان قرر الحزب ان عليه ان يسلم نفسه هو الآخر.

ارسل هنري ونستون رسالة جرى توزيعها على الصحف، اعلن فيها انه سيسلم نفسه للشرطة و اضاف : " انني اعلن براءتي واستنكر بشدة الحكم الجائر الذي اتخذ ضدي. انني ادخل السجن الان ولكي ثقة بان شعبي الامريكي سيهزم المكارثيين والايستلنديين " . ( ايستلاند اسم سينا تور عنصري من ولاية ميسيسي ) .

نقل هنري ونستون فوراً الى سجن تيري هاوت بولاية انديانا، وكان عليه ان يقضي ثلاث سنوات اضافة الى السنوات الخمس التي حكم بها. كان هذا السجن مخصصا لعناة المجرمين وللشعنا السود. وكان السود يعاملون فيه معاملة وحشية، وتسود فيه التفرقة، حيث يعطي السجناء البيض الاعمال الاكثر سهولة، وتخصص لهم فترات اطول للتمشي خارج غرف السجن.

كان مجيء ونستون الى السجن حدثا غير عادي. كان كل من السجناء والحراس يستغرب مملك هذا الرجل داخل السجن. الكل يراقبه، السلطات حذرة، والسجناء



فساعدته السجناء الآخرون على الوصول إلى الطاولة ولازمه الشعور بالضعف لفترة غير قصيرة. وبعد أيام وبينما كان يحرك بعض الأثاث في ورشة السجن شعر بالدوار والضعف مرة ثانية ثم فقد الوعي. وتكررت النوبات. وادعى الحراس بأنه يتظاهر بذلك لغرض خفي يجهلونه.

لم يشك أبدا من قبل، ولكنه هذه المرة طلب أن يقوم طبيب السجن بفحصه، أهملوا طلبه تماما وكانت صحته تتدهور شهرا بعد شهر. طلب محاميه بشدة أن يعرض على لجنة طبية، وبعد جهد كبير أوصت لجنة أطباء السجن بصرف حبوب تمنع الدوار عنه. ولكن حالته أخذت تزداد سوءا، وأخذ يشكو من صداع دائم، وظهرت علامات أصابته بمرض في القلب. وعندما أخذ يفقد نظره تماما سمحت السلطات بعرضه على لجنة طبية، حيث كان تقريرها بأنه مصاب بورم في الدماغ انتشرت، خارج السجن، أنباء الوضع الصحي المتردي لهنري ونستون، وبدأت الاحتجاجات ضد السلطات والمطالبة بعلاجه. ولكن السلطات تجاهلت ذلك، بل أنها منعت وصول الرسائل إليه من أهله وأصدقائه. وأخذ المرض يزداد بسرعة حتى أفقده القدرة على الوقوف على قدميه. وفي نفس الوقت قامت في الخارج حملة عالمية واسعة تطالب بمعالجته، وقد أدت ضغوط الرأي العام إلى السماح بتحويله إلى مستشفى السجن، ثم سمح بأن تجرى له عملية جراحية على نفقته الخاصة في مستشفى منتفيري في نيويورك بعد أن وجد أصدقاؤه طبيبا يقوم بها وبعد أن جمعوا الأموال لتغطية تكاليف الإقامة بالمستشفى.

الحزب السادس عشر القادم. ولكن الخط الماركسي اللينيني كان قويا داخل قواعد الحزب، وكان وليام فوستر، رغم مرضه، يعمل بدوره على انعقاد المؤتمر القادم. أيد القادة السجناء موقف فوستر وعارضوا أفكار غيتس، وكتب هنري ونستون إلى فوستر مؤيدا موقفه بكل شدة.

عقد المؤتمر السادس عشر في شباط (فبراير) ١٩٥٢، وكان غيتس واثقا من انتصار خطه، ولكن ظهور فوستر المريض بشكل مفاجئ على المنصة جعل جميع الحضور يقفون متفنيين تحية للرئيس الوطني للحزب الشيوعي الأمريكي الذي لم يمنعه الشلل من الوقوف دافعا عن خط الحزب الماركسي اللينيني. التي فوستر خطابا أدا فيه غيتس ونظريته التعريفية القائلة.

رغم كل محاولات سلطات السجن عزل هنري ونستون وابعاده عن المشاركة في نضال حزبه، إلا أنه كان دائما على اتصال دائم وشارك في عمل الحزب. بعد انتهاء المؤتمر السادس عشر أرسل هنري ونستون من سجنه رسالة قصيرة إلى رفاقه محييا ومؤيدا خط الحزب الماركسي اللينيني.

كان ونستون يمضي فترة الحكم في ذلك السجن الرهيب، وقد ساعدته روحه العالية وإيمانه بانتصار القضية التي نذر حياته من أجلها، وكذلك جسمه الرياضي القوي على التغلب على كل الظروف القاسية التي واجهته لفترة من الزمن. ولكن أخذ يشعر مع مضي العدة أن شيئا ما أصاب قدرته على الرؤية الجيدة. ومرة عندما كان يحمل طعامه متوجها إلى الطاولة لتناوله شعر أنه قد فقد القدرة على الوقوف، وكاد أن يسقط على الأرض،





، فتأجل نقله الى ما بعد النظر في القضية في الرابع من نيسان (ابريل) .

توسعت حملة المطالبة بانقاذ ونستون، فانهاالت العرائض والبرقيات من شتى اقطار المعمورة تحمل تواقيع شخصيات عالمية مرموقة وموظفين ومهنيين وعمال وفلاحين وطلاب، وكلهم يبدي القلق على حياة ونستون ويطالب باطلاق سراحه فوراً .

وفي آذار (مارس) تقدم محامي هنري ونستون الى الرئيس ايزنهاور طالباً تطبيق " العفو التنفيذي" الذي يخوله الدستور لرئيس الولايات المتحدة. فجاء الرد بالرفض لعدة مرات، فقامت الصحف بنشر عشرات القوائم لاسماء سجناء منحهم الرئيس هذا العفو، بينهم افراد عصابات ولصوص ومقمارون ومهربون. ورغم هذا اصر الرئيس ايزنهاور على عدم منح هذا الحق لهنري ونستون .

وفي الخامس من نيسان (ابريل) اعلن عن السماح لـونستون بالانتقال الى مستشفى قريب في ستانتون ايلاند - نيويورك .

لقد اثمرت الجهود العالمية وجهود القوى التقدمية الامريكية ورفاق ونستون الشيوعيين الامريكيين، فنجاً من الموت في "جحر الافعى"

تحولت الحملة الان، وقد اذكاها النجاح

الاولي، الى المطالبة باطلاق سراحه .

كان مستشفى ستانتون ايلاند اشبه بالسجن، ولم يكن يسمح لـونستون بمغادرة

غرفته، او بالاحرى زمراته التي يحرسها

باستمرار شرطي مسلح. ولم تسمح السلطات

بتلقيه دورساً على يد استاذ خاص للقراءة على

طريقة بريل الخاصة بالمكفوفين . وفي تشرين

الاول ( اكتوبر) ١٩٦٠ قرر الاطباء المختصون

وفي الثاني من شباط ( فبراير) ١٩٦٠ اجريت له العملية تحت الحراسة المسلحة. كانت العملية خطرة للغاية، وكان الورم السرطاني قد تضخم بشكل كبير جداً لدرجة انه دمر تماماً اعصاب النظر . استمرت العملية سبع ساعات كان فيها بين الحياة والموت ، وفي نهايتها اعلن الطبيب انه سيعيش ولم يقل انه سيفقد بصره .

ظلت حالته خطرة بعد اجراء العملية، وكان من الضروري بذل جهد كبير للعناية به والحفاظ على حياته، وقد قرر الاطباء في مستشفى منتغوري ان من الواجب نقله الى مستشفى خاص بالعناية الفائقة للحالات الخطرة، ولكن سلطات السجن كانت تصرعلى ارجاعه الى السجن، وكمرحلة اولية قرروا احواله الى مستشفى السجن في سبرنغفيلد بولاية ميسوري والذي كانوا يطلقون عليه اسم " المركز الطبي"، في حين ان السجناء كانوا يسمونه "جحر الافعى". كان هذا المركز في حقيقته سجناً للمدمنين على المخدرات ومن بهم لوثة عقلية. كانوا يحشرون مائة سجين في كل عنبر، ولا توجد في " المركز" الا خمس ممرضات لالف مريض، وتنعقد فيه كل شروط النظافة لقلّة عدد الممرضات والحمامات. كان السجناء يصابون بالرعب اذا ما ابلغوا بنقلهم الى هذا " المركز الطبي"، فأغلب المرضى المنقولين اليه كانوا يموتون دائماً . فاذا كان ونستون قد اجتاز العملية ونجا من الموت، فان نجاته من "جحر الافعى"،

ستكون مستحيلة. وكان اصداؤه يعلمون فداحة الخطر الذي سيواجهه اذا ما تمّ نقله الى ذلك المكان، فتقدم محاميه بدعوى ضد السلطات

مرة أخرى مطالبا باطلاق سراحه ، وشارك في هذه الحملة العديد من الشخصيات المناهضة والعلماء الامريكان حتى ممن يعادون الشيوعية ، وانهاالت آلاف العرائض والاحتجاجات يوميا على البيت الابيض .

وفي كانون الثاني ( يناير ) ١٩٦١ سلم جون كندى منصب رئاسة الولايات المتحدة ، وكانت قضية ونستون من اولى القضايا التي واجهته بحدة ضغوطها الداخلية والعالمية وسيل الرسائل الذي كان ينصب يوميا على مكتبه . وعد الرئيس باعادة النظر في القضية ، ولكن الرئيس لم يكن على عجله من امر انجاز وعده .

احتفل هنرى ونستون ببلوغه الخمسين في الثاني من نيسان ( ابريل ) ١٩٦١ في سجن دانبرى ، وجاءت رسائل اصدقائه مهينة بالمناسبة ومؤكدات حتمية انتصاره ومواملة بقرب اطلاق سراحه . وفي الحادى عشر من نيسان (ابريل) نقل ونستون من السجن الى مستشفى ستاتين ايلاند مرة اخرى حيث كان يعالج من قبل .

واصل اصدقاء هنرى ونستون نضالهم العنيد من اجل اطلاق سراحه ، ففي الاول من ايار (مايو) ١٩٦١ تقدم هؤلاء الاصدقاء بطلب جديد الى الرئيس كيندى لمنح ونستون العفو .

واخيرا وفي الحادى والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٦١ وافق الرئيس كيندى على اطلاق سراح هنرى ونستون ، وتم اطلاق سراحه ، وانتهت معركة اصدقاء حياته هذا المناضل الشيوعي الاسود المصلح بالانتماء

فجدة اطلاق سراحه ليتمكن من مواصلة العلاج بشكل افضل ، ولكن السلطات امرت باعادته الى السجن .

عاد للسجن مرة اخرى ، ولكن في سجن قريب من نيويورك هو سجن دانبرى . عم القصف والاستنكار هادرا من كل بلدان العالم والمنظمات المختلفة ، واخذ المتظاهرون يطوفون يوميا بناية البيت الابيض منددين مارخين بضرورة اطلاق سراحه . وعرض فيديل كاسترو مبادلتة هو وسجناء سياسيين آخرين بالسجناء الذين اعتقلتهم كوبا خلال عملية غزو خليج الخنازير .

عاد هنرى الى السجن فاقد البصر ، هزيلا من جراء العملية ، مثلول السابقين تقريبا ، لكن لم يفقد حرارة القلب وجذوة ارادة الانتماء للمشاركة مجددا في النضال . فمارس التمارين الرياضية داخل زنزانته بكل متابرة ، ونظم المشي من جديد واوجد لنفسه اسلوبا فاما للتوصل الى ذلك ، ودرس طريقة بريل واجاد القراءة بها ، وواكب محللا ودارسا كل الاحداث الداخلية والعالمية حيث كان اصدقاءه يزودونه بكل الاخبار اثناء زياراتهم له ، وقد قال فيما بعد ، انه في تلك الفترة لم يكن في صدره الا هاجس واحد ، وهو ان لا يستسلم ، ان لا يحافظ على حياته فقط ، بل ان يد نفسه من جديد ، قويا لمواصلة النضال .

لم يكن المرض قد زاوله تماما ، اخذ يشعر بالصداع من جديد واخذ يزداد حدة يوما بعد آخر ، وسلطات السجن لا تزال عند موقفها في رفضها تحسين معاملته وظروف معيشته كمرضى لا يزال يعاني ويتألم . انتشرت انباء عودة المرض اليه من جديد ، ومن جديد هب العالم

بعد ان امضى عشر سنوات من عمره مختفيا  
وفي السجن والمستشفيات .  
كان اصدقاؤه في انتظاره على ابواب  
السجن . عرفهم من اصواتهم : غاس هول  
وجيمس جاكسون وغيرهم كثيرون من قادة  
واعضاء الحزب الشيوعي .  
لقد سلب السجانون من هنرى ونستون  
بصره ، ولكنهم فشلوا تماما في كسر شوكة روحه  
المقاتلة . طلب اليه الاطباء ان يخلد الى  
الراحة ، ولكنه كان تواقا للعمل من جديد فعقد  
مؤتمرا صحفيا في الخامس من تموز ، كان  
حدثا غير عادي ، اجتذب المراسلين  
الصحفيين للعديد من الصحف في كل انحاء  
العالم ، واحتشد المراسلون الاذاعيون ومراسلو  
شبكة التلفزيون . كان يجلس خلف طاولة  
طويلة يتوسط غاس هول وبنجامين ديفيز . لم  
يكن قد شفي من مرضه ، ولكنه كان يبتسم .  
تلك الابتسامة الاسرة التي اضاءت قبل عشر

سنوات العديد من المؤتمرات واللقاءات  
الجماعية .  
انهالت الاسئلة ، وتشكك بعض السائلين  
في امكانية قدرته على العمل كما كان في  
السابق . فأجاب هنرى بوضوح وحزم : " على  
الرغم من عاهتي ، فانني عازم على مواصلة  
نفس نشاطي السابق واداء دوري ماضيا من  
اجل الوصول الى سلامة وامن اميركي وعالمي  
دائم ، عالم لا مكان فيه للفقر والفاقة والمرض  
والتمييز العنصري . . . اعود من السجن وكملي  
ثقة لا تتزعزع بأن مواطني بلادنا العظمى من  
سود وبيض ، هم في امس الحاجة الى حزب  
شيوعي يعمل بكل قوته من اجل وحدة  
الجماهير للوصول الى السلم والديموقراطية  
والاشتراكية . انني اعود الى مكاني في مفود  
هذا الحزب مرة اخرى ويكل اعزاز وفخر .  
لقد فقدت بصرى حقا ، ولكن بصيرتي باقية  
يقظة " .

يتبع العدد القادم

# العَلَنِيَّة الديموقراطية المسؤولِيَّة



اننا لا نلاحظ عادة في مجرى الحياة اليومية التطورات الاجتماعية الجارية بسرعة جامحة . وبالإضافة الى ذلك نتبدل نحن انفسنا مع العالم المتبدل . لكننا احيانا عندما تعود بنا الذاكرة الى الماضي نستغرب : اية تغيرات ، ما اسرعها ، كان ذلك بالامس فقط ...

هذا الاحساس بالذات ينشأ عندما نفكر بما ادخله المؤتمرات السابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفييتي على حياتنا . لقد مر عام فقط بعد المؤتمرات . لكننا حينما نلقي نظرة الى ذلك الجزء من الطريق الذي اجتريناه نلاحظ الان الوقائع والظواهر التي خيل انها مستحيلة قبل عام . اليكم حديثنا عنها .

عقد في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي اجتماع مع رؤساء أجهزة الدعاية والاعلام في جو عملي تبادل الاراء حول المهام الملحة للصحافة والتلفزيون والاذاعة على ضوء متطلبات الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ، الذي انعقد في كانون الثاني (يناير) من هذا العام . وقد القى ميخائيل غورباتشوف الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي كلمة امام المشاركين في الاجتماع . واعرب رؤساء أجهزة الدعاية والاعلام ، الذين تحدثوا في الاجتماع عن مساندتهم بالاجماع لقرارات اجتماع كانون الثاني (يناير) الكامل . وقد شارك في الاجتماع ليغاتشوف عضو المكتب السياسي سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ، وياكوفليف المرشح لعضوية المكتب السياسي سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي .



## ملاحظات احد المشاركين في الاجتماع

=====

تحدث خمسة عشر شخصا، وتحدث ميخائيل غورباتشوف مفتتحا ومختتما الاجتماع زهاء ٥٠ دقيقة. بدأ الاجتماع في العاشرة صباحا وانتهى تبادل الآراء في حدود الساعة الرابعة بعد الظهر تقريبا وبالمناسبة، فانه كان بالاحرى حوارات. فقد تحدث غورباتشوف عمليا مع كل متحدث: تقبل وطور الافكار المطروحة، تبادل حولها احيانا ورفضها. ولكنه كان دائما تبادل افكار. فان تبادل الاقوال يكون سريعا وقليل الاهمية ومجاولا. اما الفكرة فهي قيمة بحد ذاتها، وان تبادل الافكار الحقيقي يجرى دائما على قدم المساواة وهو ديمقراطي بحد ذاته.

عندما اغلقت مفكرتي المليئة بالملاحظات من اولها الى آخرها لم اكن اعلم بانني سأفتحها فور عودتي الى هيئة التحرير، كان رنين التلفون يسمع في الممر. كان على الخط كاتب مسرحي معروف: "ماذا كان في الاجتماع وما الذي توصلتم اليه؟" وبعده فورا اتصل بي كاتب اجتماعي معروف ايضا وسألني عن الامر ذاته، اسئلة، اسئلة - انها لا تدل على الاهتمام والعناية فحسب بل على القلق ايضا. الم يتشوه وينقطع ذلك الجديد الذي يترسخ في حياتنا؟

ما الجواب على ذلك؟ ان القرارات التي اتخذها المؤتمر السابع والعشرون في العام الماضي هي جدية وطويلة الابد. وقد زاد الاجتماع الكامل (كانون الثاني - يناير) للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي

من عمق الطابع الثوري للاحداث الجارية، ان التحضير له بالذات كان امرا صعبا: وكما قيل في الاجتماع، فان انعقاده تأجل ثلاث مرات. وكان على الاجتماع الكامل ان يصنع نظرية وسياسة التغيير، وان يجسد عمليا خط مؤتمري الحزب السابع والعشرين في كل الاتجاهات. هذا وان الاجتماع الكامل لم يخيب الامال المتعلقة عليه، وفي غضون ذلك، لا تزال الاسئلة التي تدل على القلق باقية وتظهر التخمينات. لماذا؟ لنحاول معرفة السبب.

اولا، بسببنا نحن... فنحن نحث الخطأ كأن الارض تحترق تحت اقدامنا: الاراع بعرض وطبع واخراج كل ما كان ممنوعا على مدى عشرات السنين، ونريد ارجاعه في يوم واحد فوض للبعض: لقد حدث وان خابت الامال. فمن حرقه الحليب ينفخ اللبن، فنحن نخلط بين انفعالاتنا وبين السياسة، ويعني اننا ننقل الاخيرة الى مسرح الحياة الذاتية.

اتوجد مبررات لهذا كله؟ كلا، لا توجد له مبررات - قيل خلال الاجتماع. لقد غاب المجتمع كثيرا قبل ان يتوصل الى التغيير ولا يزعم احد ان يخفف من شدة وحدة النقد؛ فالقيام بذلك يعني الحاق الضرر بعملية التغيير، التي تبغي الحفاظ عليها وصيانتها وتطويرها والسير بها الى امام. وهل يستطيع احد ان يذكر بديلا آخر؟ - ناهل غورباتشوف - لا يوجد بديل آخر!

المجتمع من تكرار اخطاء الماضي سوى اشاعة الديمقراطية بصورة مطردة .

من مفكرتي . قال متحدث : تكونت طرق لعدم الرد على انتقاد الصحافة . انه الصمت والجوابات الشكلية . انه كذلك النظرة المزدرية الى الصحافة ، الامر الذي ذكر في احدى الكلمات خلال الاجتماع الكامل . ولاحظ غورباتشوف : يجب على الانسان ان يعبر عما يفكر به . ومن الحسن جدا حينما يدلى بأفكاره . ولا بد من تعلم تقبل وجهة النظر المعاكسة . وان اى موقف آخر سيتحول الى كبح للديمقراطية . فالديمقراطية هي ليست تلك الحالة حيث كل شيء على احسن ما يرام والجدالات جزء من الديمقراطية ولو ان البعض قد نوه : اذا تأججت الالهواء كثيرا ، فان الحقيقة قد تزول .

## حقيقة التاريخ مجسمة دوما

انني انجزت في مستهل الستينات كتاب " انا سائر معك " . وكان احد فصوله عبارة عن حوارى الليلى مع الجنرال ايفان سولوفيوف بطل الاتحاد السوفييتي . انه لم يستطع ان يغفر اشياء كثيرة لستالين . ولاحظ في آن واحد انه لن ينسى ابدا كيف اختتمت البلاد الخطة الخمسية الثانية وكان الجميع منهمكين بقراءة " الدون الهادى " وينتظرون عودة تشكالفوف من الولايات المتحدة .

وبقي المخطوط في دار النشر فترة طويلة اذ اعتبروا هناك ان الكاتب لم ينتقد ستالين كما يجب . ولكن الكتاب صدر في مطلع عام ١٩٦٥ في نهاية المطاف . وقيمته الصحافة .

من مفكرتي . تحدث غورباتشوف عن امور لم ينطق الحديث اليها سابقا - حسب قوله - الا ضمن نطاق محدود من المسؤولين لوقف الاجتماع الكامل وتوصل الى الاستنتاج : ان التغيير لا يفيد وينبغي التخلي عنه ، قلت : انا لا استطيع العمل بشكل آخر . لقد طان الوقت لايكاف النقاش بشأن التغيير . وانما النقاش ضرورى لا عن التغيير ذاته ، وانما عن طريقه .

## مدم فقدان الاتصال العكسي

بتمل البعض بهيئة التحرير هاتفيا ، يتغهم من نعمة الحديث فورا : ان القارئ غير راض عن مادة ما من مواد الصحيفة . وبعد الاسماع اليه ، نجيبه : انك غير راضى عن رأى المؤلف ، طيب نحن مستعدون لنشر وجهة نظرك ايضا . وعند ذاك ينتهي الحديث عادة : فليس سيات التعبير عن وجهة النظر فانفيا وتأكيد وجهة النظر علنا . فمن السهل جدا انتاع قوانينها ... اوقفت شرطة المرور لىلا شاعرا كبير الشهرة كان يقود سيارته في طاعة سكرتديدة انا ١٠٠٠ انا ١٠٠٠ - كرر الشاعر قائلا . فاجابوه " انك طالبت بصورة طاعة بمسؤولية الجميع على قدم المساواة ، وطالبك ان تتحمل المسؤولية الان اسوة بالآخرين " .

ينبغي تعلم الديمقراطية والتعود عليها . كما اشير خلال الاجتماع ، فان الفكر الرئيسى للاجتماع الكامل ( كانون الثانى - يناير ) هي تطوير الديمقراطية : في الاقتصاد والسياسة الى الحرب ذاته . فلا يمكن ان تصون

واعدت الطبعة الثانية له . غير ان الكتاب لم يصدر للمرة الثانية اذ توصلوا في دار النشر الى الاستنتاج بان المؤلف افراط في انتقاد ستالين علما ان عاما واحدا فقط فصل بين الطبعة الاولى والطبعة الثانية التي لم تصدر . ولم يبلغ احد بطبيعة الحال قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي " حول التغلب على عبادة الفرد وعواقبه " ... اننا سرنا في طريق ملتو مدة طويلة لدرجة ان بعضنا بدأ يعطف الى اليسار والبعض الاخر الى اليمين . ويبدو الان اننا نعجز عن الوقوف والاستقامة .

عاد الحديث الى ضرورة الموقف الصحيح الدقيق عن تاريخنا في معرض ذلك اللقاء مرارا .

لقد توجه اجتماع اللجنة المركزية المنعقد في كانون الثاني (يناير) الى تحليل الماضي تحليلا انتقاديا . وتم ذلك حين انتصر التساؤل : الا نفراط في تعرية انفسنا امام العالم ؟ الا نبالغ في اظهار مصاعبنا اهمالا لما يوجد من الخير ؟ ولكن الحديث دار في اجتماع اللجنة المركزية في كانون الثاني حول الظواهر لا الاشخاص - وكان من شأن استخراج الدروس لعلنا اليوم وغدا ، بل كانت ضرورية ، كما قال غورباتشوف في اللقاء ، العودة الى المصادر ، الى الجذور لنذكر اين نحن وماذا حدث .

ان في تاريخنا اجوبة عن كل الاسئلة . وقد اجمع الكثيرون على الراي باننا في حاجة الى كتاب الى كتاب التاريخ الذي يلبي الاهتمام المتزايد بالماضي والمميز لمزاج العقول في مجتمعتنا الان وذلك مع العلم ان ذلك الكتاب لن تكون فيه بقع بيضاء واسماء

مجهولة . يجب اخذ التاريخ كما هو دون اعادة كتابته . يجب ان نرى في كل مرحلة من مراحل مسيرتنا خلال السبعين عاما الماضية تلك الحركة الى امام التي كانت في الحقيقة لا يمكن مثلا نسيان مصاعب التصنيع . ولكن لولا التصنيع لوجد السوفيتيون انفسهم تحت جناير الفاشية . لا ينبغي نسيان الاسماء لاسيما نسيان او تجاهل مراحل كاملة من حياة الشعب .

من مفكرتي . قال متحدث ان العلوم الاجتماعية تتأخر ولن نستطيع تربية اختصاصيين جدد في هذا المجال . وعارض غورباتشوف طرح القضية بهذا الشكل وقال اننا ستحقق التجديد مع شعبنا وحزبنا ومثقفينا وعلمائنا مع الموجودين اما الموند الاخر فهو مغامرة .

### من اجل المصالح الجذرية

انني حاولت بعد العرض في مسرح الكمسول اللينيني المشرف الفني عليه مارك زاخاروف . انه من المبادرين الى اجراء التجربة في مجال المسرح وهو بحقها الان . سألته : لمن من الممثلين الان مصلحة مادية مباشرة في اجراء التجربة ؟ فاجاب زاخاروف قائلا : لعلها غير موجودة لاحد . ولكن الكثيرين يفهمون اهميتها لمصير المسرح .

لقد كان في اثناء اللقاء ما دعاني لاتذكر ذلك الحوار اذ دار الحديث في تلك اللحظة حول تأثير التجديد بل ومسه من الجميع لنذكر عملية تقييم نوعية الانتاج وحدها . انها اصبحت مأساة حقيقية للبعض . ففي الشهر الماضي لم تسمح هيئات التقييم في مصانع



واللامبالاة، هما اهم من اية ارقام . نحن مولعون بالاحصاء فنذكر عدد النواب والناخبين في البلاد، بينما نضح الشعب كله في حقيقة الامر للانضمام الى الحياة السياسية يجب على التحديد ان يوحد الناس لان يفرقهم . والاتحاد والعنصرية يفرضان مسؤولية كبيرة . لا يجوز جعل الناس يشعرون بالاساءة وعدم الثقة بانفسهم وتدميرهم روحيا . اننا نحتاج الى معاملة الناس بلطف . يجب ان يجد كل انسان مكانه ويكون باني المجتمع الجديد بالفعل .

من مفكرتي . ذكر غورباتشوف مقالا وصف احد كوادرات الناحية وصفا مهينا . اين الديمقراطية؟ ربما كان ذلك الرجل يعمل بصورة رديئة . غير انه انسان . فمن منح الصحيفة الحق في اهانة كرامته . اننا لسنا فرازة تفرز الزبدة من الحليب لتخرج باقيه الى المجارى .

كان المراسل الامريكي الذي قدم الى موسكو هذه الايام اخر من سألني عن اللقاء في مقر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي بدأت الاجهزة تبث التقارير عن اللقاء في مقر اللجنة المركزية، غير ان زميلي الامريكي اراد الحصول على معلومات ممن اشترك في اللقاء مباشرة . وتساءل كذلك الم . يتوقف الانتقاد وما هو مصير العنصرية في المستقبل ؟ غير ان بلوغ التفاهم بيننا لم يكن امرا سهلا ، اذ كانت تصوراتنا عن هذه الظاهرة متناقضة تماما . اني كنت اعتبر دوما انتهاك مبادئ العدالة الاجتماعية ونقص العنصرية في حياتنا والفرق بين القول والعمل بين السياسة والمبادئ الاخلاقية تناقضا مع تلك المثل التي كانت اساسا لتربية جيلي ،

بالايات يتسويق ما يتراوح بين ٣٠-٧ بالمئة من منتجاتها الجاهزة وعلى الرغم من كل ذلك يفهم الناس ان هذه خطوة لا يمكن الاستغناء عنها .

من مفكرتي . قال متحدث : يجب اللجوء الى القصة الحديدية لزيادة المسؤولية . لكن غورباتشوف غير موافق وقد قال : لا بالقصة الحديدية بل باليد الحكيمة .

فاجاني بصراحة حديث غورباتشوف عن مساعدة الصلح المعقودة في بريست (عام ١٩١٨) تلك المعاهدة التي وصفها لينين نفسه بانها كانت مشينة وجائرة وثقيلة جدا ، ومقرفة ومبينة . ما الداعي للمقارنة ؟ لقد اصبحت مساعدة بريست مثالا للتضحية بمصالح الساعة من اجل تحقيق انقلاب تاريخي في سبيل المصالح الجذرية .

اجل ، التجديد يفرض متطلباته على الجميع وبمس احيانا مصالحنا اليومية او ثاداننا - على التحديد . غير اننا نثق بالطبع الثوري لمجريات اليوم . ويعني ذلك ان علينا الا ننسى ان الثورات تتحقق من اجل مصالح الشعب الجذرية . الم يتأمل غوركي في عدلية المصالح هذه حين كتب : " ان لادبير لينين حال دون ان يواصل الناس نضج حياتكم المألوفة ، اكثر من اي انسان اخر لئله ."

من مفكرتي . اشار غورباتشوف مرارا الى ان لا نلاحظ احيانا ركضا وراء الارقام ، الظاهر الاهم . نحن نسعى الى تجسيد عملية التجديد واعادة البناء من خلال الارقام اما الناس فيكتبون في رسائلهم ان عطلمهم اخذ بعينهم . ان بعث الاهتمام بالحياة لدى الناس وساعدتهم على التخلص من الخمول



والتي كنت اعتمد عليها اثناء تربية اولادى .  
اما ضيفي فكانت تصوراتها معاكسة تماما وكان  
يعتبر ان عدم الديمقراطية ميزة من مزايا  
الاشتراكية ، ولم يستطع لذلك التوفيق بين  
نشر الديمقراطية في بلادنا وتصوره عن  
الاشتراكية . قال المراسل الامريكى انه ينوى  
ان يمر على مقر هيئة تحرير صحيفتنا في  
الايام المقبلة مرة اخرى . يجب ان نسأله هل  
لديه المثال الاجتماعي الذي يتمسك به طول

عمره والذي يعتنقه المرء ويثبتته من خلال  
المحن العديدة . وما مدى سعادته حين يشاهد  
تحوله الى الواقع بام عينيه . لعل فيختفانفر  
قال ان التقدم موجود في تطور البشرية بلا  
شك . وحتى يمكن الثقة به . ولكن لا ينبغي مع  
ذلك ادخاله بعنف في اطار بضعة عقود  
المخصصة لحياة المرء الواعية . الا يمكن  
الافتراض ان فيختفانفر قد اخطأ ؟

ينغور ياكوفليف

## الحق في الاختيار

بقلم : فيكتور كوجيمياكو  
محرر صحيفة "برافدا" في  
قسم الحياة الحزبية

مديره .

هذا شيء رائع جدا ، ومفاجئ للكثيرين  
وقد كتب بوبوف عامل ضبط الخطوط  
الاتوماتيكية في مصنع علب السرعة في اوسك  
الى هيئة تحرير "برافدا" يقول : " لو قال لي  
احد ما حتى قبل بضعة اشهر انني سائار  
قريبا في مثل هذا العمل لما صدقت بتاتا .  
اننا ننتخب المدير ، بانفسنا اجتمع مثل  
جميع الاقسام والورشات والقي العمال الواحد  
تلو الاخر كلماتهم وتحدثوا بصراحة ، من  
اعماق القلب ... . "

ولنفكر : ما الحاجة الى هذا ؟ ماذا يعطينا ؟  
اجل ، ان كل عامل ظاهر من الاعلى . لك  
ظاهر بمقدار معين . ولا يظهر بالشكل  
الموضوعي دائما . فامام " المراجع العليا "

كثيرا ما نسمع العبارة : الروية من الاعلى  
اوضح . فهل هذا صحيح ؟ وهل الروية من  
الاعلى بالذات اوضح دائما ؟ .  
ان الحياة تشكل بهذه " الحكمة "  
الدارجة لامن الناحية الحياتية فحسب بل  
كذلك من الناحية الاجتماعية السياسية .  
سيدور الحديث عما يسمى في حزبنا  
انتقاء وترشيح الكوادر القيادية . لقد كان  
سائدا حتى الفترة الاخيرة اعتبار هذه القضية  
كلها تقريبا من مشاغل الهيئات الاعلى . فهي  
مثلا تنتقي الشخص وتعيينه في منصب مدير  
مصنع : واعتاد الناس ذلك ، فالوامر المناسبة  
لا تخضع للمناقشة .

ولكن ها قد حدث انعطاف بمقدار ١٨٠  
درجة ، كما يقال . ان فريق العمال نفسه يختار

فقد فضل باجينوف على كابلون . وصوت له الاغلبية معبرة عن الثقة بان المصنع سيحقق بقيادته نجاحات جديدة .

وينبثق بالمناسبة السؤال : اين المدير السابق لمصنع اومسك ؟ انه لم يسرح فقد اشترك فيكتور بوسيرت في مسابقة على نطاق الاتحاد السوفييتي لمنصب مدير مصنع السيارات الشهير " راف " في مدينة يلغافا اللاتفية ، وفاز في هذه المسابقة الصعبة .

كيف نشأت فكرة تنظيمها ؟ لقد بدأت سمعة ماركة " راف " تنخفض في احدى الفترات بسبب نوعية السيارات المتدنية وفي العام الماضي نزعت لجنة الدولة للمواصفات الموحدة علامة الجودة من سيارة الباص الصغيرة " راف " . وفقد فريق العاملين الثقة بقواه . وكان من الضرورة تغيير مزاجه من الجذور فسورا .

لهذا قرر اعلان مسابقة على نطاق الاتحاد السوفييتي للبحث عن مدير . واشترك فيها عشرات الاشخاص . ونوقشوا كلهم في فرق العاملين . وبقي في المرحلة ما قبل الختامية خمسة مرشحين ، وبنيتجة التصويت مرشحان هما بوسيرت وغوربونوف نائب المدير العام من بسكوف من مصنع " بسكوف خيم لينغ ماش " . وفاز في نهاية المطاف بوسيرت ، كما قلنا .

ان انتخاب المدير هو مظهر جديد لديمقراطيتنا الاشتراكية ، وتوسيع لها وترسيخ لاحق . انها الاعتماد على حكمة الشعب الجماعية .

وبذلك من المهم الاشارة الى ارتفاع مسؤولية الناس الذين يسمون كادحين عادييين . اذ لا يقرر احد بدلا منهم من يجب ان يكون رئيسا ، بل هم انفسهم يقررون ، اذن

بعض كل شخص الى ابراز نفسه بشكل افضل مما ما هو عليه في الحقيقة انه يحاول ان تكون التفاتته اجمل وكلماته من على المنبر اعلی . ومن هنا تستخلص استنتاجات بعيدة المرمى ، وما قد احيط هذا الشخص بالعطف وسجل في احتياطي الترشيح المقبل ، وبدأوا يرون فيه الملاسندا .

بيد انه يرى من الاسفل بشكل مغاير تماما . في بعض الاحيان . اذ يبدو مثلا فجا ونماما ويتجاهل لمصالح الناس ومصالح مروء وسيله . هل ينبغي اخذ ذلك بالحسبان عند الترشيح ؟ هنا ، لكنه لم يؤخذ بالحسبان دائما .

لهذا السبب بالذات برزت الحاجة بالدرجة الاولى الى الانتخابات . اذ لا ينظرون الى الانسان هنا من خلال التسكوب بل من خلال المجهر . انهم ينظرون اليه من كل الجوانب ، ويراعون كل وجهات النظر . ولا يفضن الطرف عن اى شيء ويتحدثون عن كل شيء بصراحة وبمبدئية على طريقة العمال . لقد نوقش في مصنع اومسك مرشحان رئيس المهندسين كابلون ورئيس الورشة السابق امين اللجنة الحزبية باجينوف . لقد فعل الاول في السابق الكثير من اجل المصنع . لكنه ، كما قال الخطباء ، قلل المبادرة في الآونة الاخيرة بشكل ملحوظ ربما بسبب تقدمه في السن ، واصبح متباطئا في حل المسائل ، وندرت لفتاته مع فريق العاملين .

اما باجينوف فانه شاب نسبيا ، اذ دخل العقد الرابع من السنين . وهو نشيط ومبادر مهذب في معاملة الناس ، ويتمتع باحساس زفانسا . الامر الذي يقدر بخاصة في

لقد قرر كل هذا بالطبع محصلة الانتخاب

الناس يتمتعون بهذا الحق على نطاق أوسع فأوسع . فمثلا غالبا ما يقدم الرؤساء تقاريرهم الى العمال . وقد نوقش في جورجيا خلال العامين الاخيرين نحو اربعة الاف تقرير وبالنتيجة نزع الثقة في ٣٢٦ مسؤولا وسرحوا من العمل بناء على طلب فرق العاملين .

ان الديمقراطية قوة عظيمة ، ويؤيد المواطنون السوفييت نهج الحزب نحو توسيعها . لان الديمقراطية هي لمصلحة الناس .

ينبغي ان يفكروا جيدا قبل ان يقولوا كلمتهم الفاصلة . اذ تتوقف على قرارهم كيفية عملهم اللاحق ومعيشتهم وشعورهم .  
والاحظ ان مبدأ الانتخاب جيد ايضا لانه يرفع كرامة العامل . وقد كتب بوبوف نفسه من اومسك يقول :

— "وما يبعث على السرور اخذ رأينا بالحسبان وتقديره واحترامه . هذا امر ضروري جدا وهام" .

ولكن ما العمل اذا لم يبرر الرئيس ثقة فريق العاملين ؟ هل يحق للفريق ان يحاسبه على ذلك ؟ ان له الحق طبعاً وتقول صراحة ان

## الولادة الثانية

=====

اندرية بلاخوف

رئيس لجنة الخلافات

لدى اتحاد السينمائيين

تراودنا الرغبة لان نقضي بالسرعة الممكنة على الاجحاف السابق . وذلك بالدرجة الاولى ، ازاء الفنانين ومؤلفي الاعمال " المقلقة " وغالبا ما كان يقف وراء مثل هذا النزاع مصير ابداعي ومأساة شخصية ، واحيانا رغبة هؤلاء المخرجين او اولئك لانتقاء مواضيع "آمنة" . وذلك حظى بمزيد من الاحترام اولئك الذين لم يرتدوا عن مواقفهم ان اكبر اجحاف قد مورس تجاه المشاهدين . انهم اولئك المشاهدون ذوو الملايين العديدة ، الذين كان كل مسؤول سينمائي يسرع للاعراب عن حبه واحترامه لهم وفي الوقت الذي كانوا يطعمون فيه هؤلاء المشاهدين بالبدايل المحلية والمستوردة ،

ان هذه الافلام تمر الان بولادتها الثانية ، بيد ان مصيرها المأساوي السابق — حيث انها كانت قد وضعت " على الرف " ولم تجد طريقها الى المشاهدين ، ولم تكن هي المذبذبة في ذلك — قد نوقش بكل حرارة في المؤتمر الخامس للسينمائيين — واسفر عن تكوين لجنة خاصة لمعالجة المسائل الابداعية المثيرة للجدال والتي عينت انسا رئيسا لها .

كل شيء لم يكن عاديا انذاك : واقع الرقابة الاجتماعية على قرارات لجنة الدولة للسينما ، وتلك السرعة والحيوية اللتان ابدتهما القيادة الجديدة لاتحاد السينمائيين في معالجة وصايا المؤتمر .

موراتوفا و"زورق ايفان" لمارك اوسيبان و  
 " الملاك " لاندريه سميرنوف و " وطن الكهرباء  
 للاريسا شيبينكو و "المحاولة الثانية ليفيكتور  
 كروخين" ليفيكتور شيشيكوف و " نبع للعطش"  
 ليورى ايلينكو. ويجرى اصدار جديد بنسخ  
 مكرره لافضل افلام الستينات والسبعينات ،  
 التي عرضت على شاشات ثانوية ولم يشاهدها  
 الجمهور تقريبا ويجرى عرض الكثير منها على  
 شاشة التلفزيون . وتم تقرير مصير عدد من  
 الافلام الوثائقية ذات المواضيع الحادة الصعقد  
 المعقدة . ولقد اوصينا باصدار " العقدة الضيقة  
 الذى صوره ميخائيل شيفتسر قبل ٣٠ عاما ، اى  
 في عام المؤتم العشرين للحزب . وعما  
 قريب سنعالج قضية فيلم " المفوض " لالكسندر  
 اسكولدوف ، وسننظر في مصير فيلم "نكتة  
 لئيمة " لالكسندر الوف وفلاديمير نغوموف و  
 "سعادة زنبور" لاندريه كونسولوفسكي .

ذات مرة قال عليم كليموف ( وكان فيلمه  
 " اغونيا " لا يزال انداك موضوعا على الرف  
 ان الطاقة الابداعية التي يبذلها الفنان في  
 العمل تؤثر على المناخ المحيط حتى وان  
 كان الفيلم قابعا في الخزانة الحديدية ، ولا  
 يعرض على الشاشة . وهذا ليس من الصوفية في  
 شيء فالافلام التي تنبض بالمشاعر الوطنية  
 وحيث يتنفس " التراب والمصير " ( كلمات  
 باسترناك ) قد اسهمت مباشرة في اعداد ذلك  
 الانعطاف في حياتنا ووعينا الذى نعيشه الان .  
 وبما ان الكلام قد تناول " الصوفية " فلن  
 احجم عن القول : ان المؤتمر الخامس  
 للسينمائيين قد افتتح في ١٣ تشرين الثاني  
 (نوفمبر) جرى في دار السينمائيين المركزية  
 عرض فيلم ( التوبة ) للمرة الاولى والان يجرى  
 عرض هذا الفيلم في صالات موسكو ، ويحظى

كبيرا ما كانت النتائج الفنية ذات القيم  
 الروحية الحقيقية ، التي خلقها فنانون يفكرون  
 وباعين ، متنوعة من ان تجد طريقها نحو  
 مالات العرض وكان بعضها مرميا على الرفوف ،  
 ومدر بعضها الاخر بعدد ضئيل جدا من النسخ  
 في حين انه كانت تجرى في وعي الجمهور  
 وفي المجرى السينمائي نفسه تشويهات مؤسفة  
 واختلعت المعايير الفنية .

ان الهدف الاساسي للجنة الجديدة  
 الغاية ، هي ان تضع في متناول الجمهور  
 الواسع كل ما ينطوى على قيمة واهمية حقا .  
 ولا يقل اهمية عن ذلك المغزى المعنوى لوجوه  
 هذه اللجنة : فيجب خلق مناخ يستحيل  
 الاجمان فيه .

ولكننا لن نخدع انفسنا . فليست جميع  
 الافلام التي شاهدها روائع وايات فنية ، ولم  
 تمنح بعضها جميعا على الجمهور الواسع .  
 بعضها قد شاخ ولا ينطوى الان سوى على  
 اهمية محدودة . ولكن لم يكن هناك ثمة ولا  
 فيلم واحد يمكن تبرير حظره او عزو هذا  
 الخطاى منطق ما . بل لقد انعكس هنا ضيق  
 تفكير المدققين والخشية من " عدم رضاء"  
 النفس والصمم الفني وعدم الصبر والانانة .

لقد اظهر عملنا حتى الان ان ما بذلته  
 اللجنة من جهود لم يكن عبثا . فلقد ابتهجنا  
 في حينه للولادة الثانية لافلام " اغونيا"  
 للمخرج عليم كليموف " التحرر على الطرقات  
 لالكس غرمان و " الموضوع ( لجليب بانغيلوف .  
 ولكن تلك كانت عبارة عن وقائع فردية وحيدة  
 لما الان فتخرج الى الجمهور مجموعة كبيرة من  
 الافلام " القديمة الجديدة " . ومن بينها  
 افلام هامة مثل " الوداع الطويل " لكيرا



## تجربة تراكين

=====

غافريل بوبوف

الدكتور في العلوم الاقتصادية

استاذ جامعة موسكو

اطلق على نيكولاي تراكين مدير مجمع  
"موسيلستروي" رقم ١٨ بمدينة فولوكولامسك  
الواقعة على مقربة من موسكو لقب بطل العمل  
الاشتراكي، كما تقرر تطبيق تجربة مؤسسته في  
مجال البناء على نطاق واسع .

لقد بلغت خسائر المجمع عام ١٩٨٤ ٢٦  
مليون روبل . ولكن بلغ ربحه عام ١٩٨٥  
مليوناً وخمسة الف روبل وازداد خلال ٨  
اشهر من العام الماضي الى ٢٦ مليون روبل .  
وزاد المجمع عام ١٩٨٥ انتاج المنتجات بنسبة  
٥٠ بالمئة في آن واحد مع تخفيض كلفة الانتاج  
بمقدار ١٢ / وازداد معدل اجرة العاملين فيه  
بنسبة ١١ / ٠ .

فما الذي اتاح للمؤسسة قطع مثل هذا  
الشوط بسرعة ؟ انها الطرق الاقتصادية  
الجديدة لادارة المجمع .

ان نيكولاي تراكين، الذي اصبح مديرا  
للمجمع عام ١٩٨٠، شخصية غير عادية . فقد  
اتقن تراكين ثمان مهن بناء وكان رئيسا  
للفرق وكان من اوائل رؤساء الفرق، الذين  
اخذوا يطبقون مبدأ المكافحة ، ثم ترأس  
المجمع وادخل هذا المبدأ الى المؤسسة كلها

وعلى الرغم من انه لم يفلح في ازالة  
التناقض بين طريق زيادة الاجور ( الركض وراء

زيادة كمية المنتجات ) وطريقة الحصول على  
الربح ( الذي يعين عند اجمال النتائج ) غدا  
اسلوب العمل الجديد خطوة الى امام على  
طريق استقلالية المجمع الاقتصادية التامة ، كما  
مكن جماعة العاملين جميعا : من العامل الى  
المدير اما باقي رصيد الاجور ، فيشكل "الرميد  
المشترك" ، الذي يتلقى منه كل عامل حصة  
حسب القسط الشخصي . الذي يسهم به في  
الانتاج . وتعمل في كل اقسام المجمع المجالس  
الاقتصادية ، التي تحدد حصة العامل وتقسّم  
الاجور . وقرار المجلس ملزم للعامل  
والمسؤولين على السواء .

هذا مثال لذلك النمو الاقتصادي، الذي  
يتطلبه الموء تمر السابع والعشرون والذي هو  
نمو مكثف . ويتحقق هذا النمو السريع بفضل  
زيادة انتاجية العمل في آن واحد مع ازدياد  
دخل العاملين . وهو طريقة لتسيير الاقتصاد  
تستطيع ضمان هذا النمو ان انها توفيق بين  
المبادئ الاقتصادية والديمقراطية . وهذا  
الاسلوب وليد لمبادرة طلائع العمال ورؤساء  
الفرق وايده المسؤولون الاقتصاديون  
الطلبيون .

ومهد الطريق له افضل كوادر لجنة الدولة  
للبناء وبنك الدولة السوفيتي وهذا الاسلوب

انتصرت في نهاية المطاف وسرعان ما منح المدير لقب بطل العمل الاشتراكي، وأوصت اللجنة المركزية للحزب بنشر هذا الأسلوب وتطبيقه في كل مكان .

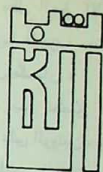
اذن فقد بدأ تطبيق الأسلوب، الذي أعلن الحرب على الروتين، وتطلب على عدم اكتراث العاملين وسلبيتهم، وازال عدم مسؤولية القادة، وكشف القناع عن أولئك الذين يريدون زيادة دخلهم بجهدهم فأوا الان افاق عملهم .

ان الأسلوب الجديد يعني كوادر جديدة فكان نيكولاى ترافكين، الذى يرفض رفضا قاطعا ، القوالب واللامبالاة في الموقف من جوهر القضية، كان ينمو ويرتقي مع تطور مبادئ الاستقلالية والديمقراطية الاقتصادية ان الكوادر من امثاله هي ما تحتاج اليه قضية التجديد واعادة البناء .

عن انباء موسكو

كان تدعوله وتدافع عنه الصحف والتلفزيون ، لان عملية التجديد واعادة البناء مستحيلة دون تعبئة الرأى العام للدفاع عن الجديد .

لقد تعرض الأسلوب الجديد لهجوم عنيف من قبل العمال والمهندسين ، الذين افسدتهم التعريف والاجور ، التي كانوا يتلقونها بلا حق كما اعترض عليه موظفو الجهاز الادارى ، الذين لا يريدون تحمل المسؤولية المادية من نتائج ادارتهم ونقل النزاع بينهم وبين ترانكين الى المحكمة . ورأت المحكمة في اعمال ترافكين انتهاكا لجملة من القواعد فلم تجد امكانية ادخال اصحاب تلك القواعد البالية ، التي فات زمنها والتي تلحق اضرارا لا تحصى الى قفص الاتهام . بدلا من ترافكين بلند حكموا على ترافكين . غير ان العدالة قد



# غوركي

## عاش معاناة شعبه وبشر بانتصار الاشتراكية

بقلم : د. امية الخماش

" اني انتزع قلبي من بين جوانحي اذا لزم الامر وادوسه بقدمي "

"مكسيم غوركي"

فلا شك ان مكسيم غوركي هو احد اعمدة ادب الاشتراكية وكتابهها الهامين ، والمبشرين بانتصارها ، لابل انه يقف على رأس قائمة فناني العالم وأرفعهم مكانة ، هؤلاء الذين تلمسوا معاناة شعوبهم ، فانخرطوا في معمان النضال من اجل قضيتهم المشتركة ، فوجدوا في الاشتراكية طريقهم الوحيد ، للخلاص من هذه المعاناة ، وبناء عالم جميل .

الانسانية وفي سبيل الادب الحقيقي لتحرير من سيطرة المجتمع الطبقي والراسالية ولتحويله الى ادب المجتمع المتحرر المبدع ، الادب الملتزم الذي يعبر عن سيرة الانسانية وتطلعات الطبقات الكادحة والمظلومة ، لقد حول الادب الى ضوء عظيم يبدد ظلمات حالكة طغت على فكر الشعوب وتطلعاتها سنين طويلة من الزمن ، ليصبح لساناً لهذه الشعوب في الماضي والحاضر والمستقبل .  
ان مكسيم غوركي بحق مؤسس الادب الاشتراكي ودعامته المتينة الابدية .

لقد كان غوركي منذ حادثته قد عانى من مختلف صور الامتهان والبؤس ، هذا البؤس والاضطهاد الذي عانته الطبقات المحرومة ، الاب ان غوركي قد خرج من جحيم هذا البؤس ورفض الامتهان والذل ليحوّله الى انتصار خالد ، تماما كما فعل دانتي ، غير أنه لم يخرج من الجحيم وحده ، بل خرج معه جميع رفاقه بل جموع الكادحين والفقراء ، والمضطهدين ، ول يعلن والى الابد انتصار الاشتراكية .

لقد كان فنانا وكاتباً تكلم وعمل باسم كل

وللتحريض ضد الاغنياء وما رافقه من صراع .

وقد كانت هذه الفترة التي اتاحت لمكسيم للمرة الاولى الاحتكاك بهذه الحركة الثورية بمثابة محطة جديدة في اعماقه فقد احتك للمرة الاولى مع الصراع الطبقي العميق ، اذ قام الاغنياء ، بحرق هذا الدكان ، لا بل كادوا ان يحرقوا مكسيم غوركي بداخله ، الامر الذي ترك انطباعا عميقا في داخله وبعد ان رحل عن هذه القرية واصل حياته متنقلا بين بحر قزوين وجبال القفقاس واقاليم الفولغا الى ان عاد مرة اخرى ١٨٨٨ الى مسقط رأسه ليلتقي من جديد ببعض المثقفين السياسيين ، وبذلك الحركات الثورية الصغيرة ، كما التقى ببعض الادباء ، الذين كان لهم اثر بالغ في حياته وادبه وهكذا اصبح طريدا للدرك القيصرى الذى طارده ويحث عنه وراقبه وقاتاده الى سجونته بين الحين والآخر ، وكان له في ذلك الوقت تجربته الاولى في الشعر ، اذ كتب ملحمة السماء "نشودة السنديانة القديمة" وقدمها للاديب الروسي الشهير "كورلنكو" الذى كان ناقدا لاذعا له . مما جعله يصاب بخيبة امل فيقرر عدم الكتابة ، وهكذا ولمدة عامين من الزمن ، حيث عمل مساعدا لاحد المحامين قرر الا ينظم شعرا والا يكتب نثرا ، على الرغم من شعوره الملح وميله الى الكتابة " ذكرياته " .

وفي ربيع ١٨٩١ يرحل غوركي من جديد من مكان الى آخر ويجوب انحاء اوكرانيا والقرم وشواطئ البحر الاسود ، حيث عمل عتالا في ميثان اوديسا المشهور ... ثم الى مدينة تيفليس حيث عمل في مصانع السكك الحديدية .

لقد ولد في آذارعام ١٨٦٨ في مدينة " ينجني نوفكوروذ " ورافقه القهر منذ اللحظات الاولى لطفولته ، اذ فقد والده وهو بعد لم يتجاوز الاربع سنين ، ولم تمض اعوام اخر واذ به يفقد والدته ، ويصبح يتيما مقهورا باننا مشردا كغالبية شعبه في حينه .

وهكذا بات هذا اليتيم المقهور ينتقل من مكان الى آخر ومن اضطهاد الى اسوأ ، فقد ترك المدرسة قبل ان يتجاوز العاشرة ، وعمل احيانا في ميدان سباق الخيل ، ثم خبازا ناعرا ، وعتالا ، وقد ذكر هذا في كتابه الذى يعتبر تحفة ادبية خالده " طفولتي " اذ وصف حياته المضنية بقوله " لقد كنت اشتغل كثيرا واحيانا الى درجة الانحلال . لقد كانت ايامي الاسوعية وابامي في الاحاد والاعياد مفعمة بانفال ذليلة بليدة " .

غير ان هذه الطفولة البائسة لم تمنعه من ان يقرأ كل شيء ، كل ما يقع تحت متناول يديه ، لقد كان يجد معنى آخر للحياة في القراءة لقد كان يجد ذاته من خلالها ، مما دفعه الى البحث عن اوجه جديدة لتطور ذاته ... فحاول مجاورة بعض المدارس فرفضته لانه لم يتمكن من الانفاق على نفسه من خلالها .

وتستمر معاناة هذا الشاب الذى كان ينطلق الى الحياة باهتمام خاص ، ويحاول اكتشاف خبونها وعذوبتها في آن واحد ... والقدر ، وكأنه اتفاق الكادحين الثوريين دائما ان يلتقي مكسيم بالثوري الشعبي ميخائيل روماس . احد زعماء ( الناردونيك ) والى الحركة الشعبية التي كانت تدعو لللاحين الفقراء الى الكفاح . اذ انه عمل معه في دكانة الذي كان مركزا للاجتماعات السرية



وفي عام ١٨٩٢ بدأت فعاليته الادبية بحق ، اذ نشر في جريدة القفاص التي كانت تصدر في جيورجيا اولى قصصه التي لاقت استحسانا كبيرا ، مما شجعه ودفعه للمواظبة على الكتابة ، فبدأ يكتب بجد ، دون ان ينثر شيئا ، حيث حالت قسوة العمل ، دون ذلك . ولم يمض عليه عام في حله وترحاله ، حيث عاد الى بلده ، ليعمل عند ذلك المحامي الذي كان عمل عنده في السابق ، وهناك يلتقي مرة اخرى بالاديب الكبير "كورولنيكو" الذي قدمه الى مجلة "روسكي بوكاستون" المجلة العريقة للادب الروسي ، حيث ظهرت قصصه فيها ونالت اعجاب الابداء والقراء واستحسانهم .

وبدأ يكتب في هذه المجلة بانتظام ، مما اتاح له فرصة التعرف على الاوساط الادبية المختلفة في انحاء البلاد .

حيث لم يمض عامان على نشاطه الادبي القصصي حتى دعتته مجلة ( سامار سكا يا غازيتا) التي كانت تصدر في مدينة "سامارا" ليعمل محررا رسميا لها ، وفي هذه المجلة نشر مجموعة من روائع اعماله كأغنية العقاب ، وبحري الغاب ، "الرحيل" مرة في الخريف .

ان نشاطه الادبي هذا واسلوبه القصصي المعبر عن واقع المعاناة التي اثقلت كواهلها على الشعب الروسي في حينه ، جعلته من جديد يقع تحت المراقبة البوليسية ويُطارَد من قبل رجال الدرك القيصري الذين شعروا بخطورة قصصه وبرفضها للنظم الحياتية القائمة وبتصويرها الحقيقي لحياة الفقراء والكادحين وفي عصره كما كانت دعوته الاولى للتغيير واضحة وجليّة ورفض الواقع ، ومن ثم عاد الى بلده والتحق محررا رسميا لمجلة "

"نيجنوكورودسكي ليستوك" اذ نشر فيها سلسلة طويلة من قصصه ... . وفي هذه الاثناء .. اشتد عليه المرض ، حيث عانى من داء السل فاضطر الى الرحيل الى القرم للعلاج ... . مما جعله يترك عمله وهناك اصدر جزئين صغيرين كل منهما يحتوي على عشرات القصص كان لهما دوي وصدى كبير .

ان هذا الادب الملتزم ، الذي كان نتاج فكر ملتزم .. جعله بدون تردد ينعكس في ممارسة حقيقية دفعته للاتصال بالحركات الثورية في البلاد فاوقف واعتقل في سجن قلعة "ميتيخ" .

وخرج من السجن ليعود اليه بعد عام واحد لنشاطه ومشاركته في العمل الثوري ، في عام ١٨٩٩ ، وكانت قد ظهرت قصته الكبيرة "توماس غورداييف" ، ووضع تحت المراقبة البوليسية في بلدة "ارساماس" وهناك صحتة الى درجة كبيرة ، اذ اشتدت عليه رطابة المرض من جديد وخارت قواه .. فاذن له البوليس بالسفر الى القرم ، ليعود الى مستشفى السل فيها ، وقد كان اسم غوركي في البلاد .. قد انتشر .. اذ نظمت له حركات الشبيبة وحلقات المفكرين مظاهرات عارمة وحاشدة وبدأت كتاباته تلعب دورا مهما في الحياة السياسية في البلاد . اذ بعد فترة "عصفور العاصفة" امتدت المظاهرات في انحاء البلاد طولا وعرضا وازدادت حركات المعارضة قوة وبأسا ، وقد كتب لينين عن هذه المظاهرات قائلا " هذا يدل على ارتفاع الموجة الثورية " . وانتخب غوركي وهو ما زال في القرم ،

وبعد انتصار الثورة البلشفية عام ١٩١٧، بدأ غوركي مرحلة جديدة من الجهد الثوري المنظم في الادب، فأخرج مجموعة من مطبوعات سلسلة الادب العالمي، الهادف والملتزم، مجادلا شرح معالم التغير، واضعا اسلوبه الادبي المتميز في خدمة الاشتراكية وبنائها .

فقد كان رفيقا للينين، عاملا بكل جد من اجل وضع اسس جديدة للادب الاشتراكي، ونشر مجموعة من كتاباته في مجلة الاممية الشيوعية، حيث وضع ترسيخا جديد لمفهوم الادب وابعاده المختلفة في حركة التغير والتطلع نحو الغد المشرق الجديد .

وفي بداية العشرينات عاوده المرض والذي ابنى الان يكون رفيقه في حله وترحاله، في سعادته وشقائه.. حيث هاجمه بشكل مرعب ومخيف فاضطر للسفر الى ايطاليا لاستكمال علاجه، وهناك كتب عن حياته وذكرياته، وظهرت كتبه الجديدة، "قراءات" "ذكرياتي" "ملاحظات من اليومية" "جامعاتي" وكل هذه ما كانت الا قراءات جميلة وصادقة في سيرة شعب بأسره، نقلها بأسلوب سهل وممتع وليس اصدق من قول لينين عنه، حيث قال "بأن غوركي قد التحم بعروة صلبة مع حركة العمال في روسيا وفي العالم اجمع، بمؤلفاته الفنية العظيمة"

وقد كان غوركي ولا يزال، فكراً منيراً لجموع العاملين مما اثار حفيظة اعداء الطبقات الكادحة .

لقد رسم غوركي بقلمه صورة العالم الجديد، وكان المهندس الحقيقي لعالمه وما لا ريب فيه، ان عبر افكاره وادبه وقصصه تقدمت ككتائب المواكب البشرية ايام الثورة البلشفية. وكانى بها من خلال كلماته، كانت

تضو شرف في اكااديمية العلوم، غير ان النصر اثار على هذه الاكااديمية بالغاء هذا الاختيار، مما اثار غضب اصدقاء غوركي فاشغال كل من انطون تشيكون، الكاتب العظيم وصديقه كورولينكو احد ادياء وشعراء روسيا الكبار من هذه الاكااديمية احتجاجا وبصرة لصديقيهم الكاتب الكبير مكسيم غوركي، ثم شارك غوركي في ثورة ١٩٠٥، حيث كان يجرر النداءات ويساعد الحركة الثورية بكل قوة.. الى ان اسس جريدة البلاشفة الاولى... التي كان اسمها "الحياة الجديدة" ... والتي عمل لينين على تحريرها فيما بعد ثم سافر غوركي الى الخارج ليجمع الاموال للحزب البلشفي وفي اثناء ترحاله وبغره في الخارج كان قد بدأ يكتب قصته الطويلة "الام" هذه القصة التي لعبت دورا كبيرا في نضال البروليتاريا، وفي تحررها والتي كان لها اثر حاسم وكبير في البومل الى اعماق هذه الطبقات وفي التعبير عنها، وعن مختلف طموحاتها ومعاناتها بأسلوب سلس، صادق، وعميق .

وبقي غوركي خارج البلاد، في ايطاليا، اجنبا سياسيا، واشترك في لندن في المؤتمر الخامس لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي كمراقب واجتمع عدة مرات مع لينين في هذا المؤتمر، وفي هذا المؤتمر نشأت صداقة قوية بين لينين وغوركي حيث تبعتها بعد ذلك مراسلات عديدة ..

وعلى اثر الحرب العظمى الاولى اسس غوركي مجلة "سجل" التي خصصها للدفاع عن التآلف الاممي ولمحاربة الحرب . وشرح اسبابها وفضح المخططات الرأسمالية العدوانية بها .

في العالم اجمع كاتب الاشتراكية ومؤسس ادبها الملتزم، " الكسيس مكسيموفتش بتشكوف " الذي عرفه الناس بـ مكسيم غوركي هذا الاسم الذي يعني " المر " ...

هذا المر الذي احتك بالحياة فهذبها بقلمه وجملها بريشته، وجعلها عذبة بكلماته، ولم يقتصر ادب هذا " المر " على تصوير المرارة والقهر بل عمد في كتاباته الى تزيين الستار عن اسباب عذاب الانسانية، وسخر كل همّه لاجراجها الى النور، كما اشترك في عملية التغيير ... اشتراكا فعليا اي كان في صفوف الثورة .

ففي احدى فصول روايته المشهورة الام، انتصب اندريه احد شخوص روايته :  
وقال :

نحن مرغمون ان نبغض الانسان حتى نستحث مجيء يوم اعجابنا به بلا تحفظ يجب علينا ان نهدم من يعترض الحياة، ويبيع الآخرين ليشترى بشئهم راحة وشرقا، اسيادنا يخولون انفسهم الحق ان يتوسلوا الجنود والجلادين والسجون ولا يتورعوا عن اللجوء الى الوسائل الدنيئة، ليضمنوا راحتهم ويصنوا مراكزهم، اسيادنا يفتكون بنا، بالملئات والالوف وهذا الاعتداء الشائن يطلق يدي ويجعلني أهوي بها على اقرب عدوٍ مني، وانا على يقين ان دمه لن يصرخ ولن تقول هامته اسقوني، بل يهدر وتنص به الارض .

اما دماؤنا فانها اذا سالت كأنها تروي الاديم كالمطر المنهمر، الحقيقة تتكون تدريجيا وتتجلى بقوة " .

انه يصور شخص المضطهد الذي ينور

تعرف ما تريد، وماذا عليها ان تشيد، لقد كتب مبادئ الاشتراكية بطريقة ادبية ممتعة، وادخل النظريات العلمية الصعبة في اسلوب سهل تستوعبه بكل بساطة، جموع الفلاحين والعمال والفقراء ... لا بل كان غوركي المتحدث الحقيقي باسمهم، وجنديا في خندقهم، وفيلسوبا لحياتهم .

وان كان غوركي قد فارق الحياة عام ١٩٣٦ .. فان الحياة لن تفارقه ابدا .. فقد انتصر عالمه وادبه وشعبه، وانتصر معهما سائر كادحي العالم، وها هو عالمه الذي بشر به، يطل مزدهرا، ويكبر صاعدا ابدا .

فقد روى طبيب غوركي انه في لحظاته الاخيرة، كان يدرس مواد مشروع

الدستور السوفييتي، وهو على فراشه مقاوما نوبات الاختناق التي كانت تداهمه بين اللحظة والاخرى، غير انه كان كمن يهم بالرقص من طريده وهو يقرأ حقوق المواطن والمرأة، كما وردت في هذا الدستور .. فكان في نشوة غريبة وحبور غامر وقال .... نحن هنا نغير اهتماما الى اشياء لا اهمية لها، بينما الحجارة ذاتها تنصرف في طول البلاد وعرضها الى الفناء .

مات غوركي، سعيدا منتصرا وخرج من الجحيم تماما مثل دانتي غير انه لم يخرج وحده، بل خرجت معه مواكب البشرية الزاحفة نحو الغد .

وهكذا وان اتفقت الصدق ان يولد هذا العظيم روسياً ويكتب باللغة الروسية، غير انه لا يمكن ان يكون محصورا بانه دون سواها، لقد كان روح المظلومين والكادحين على طول هذه البسيطة وعرضها . وبالتحديد في حزيران ١٩٣٦ بكت جموع الشبيبة والعمال والفلاحين



ان ميتيا ينشد معهم ايضا ١١.

- لا تخافي ! انها قضية مقدسة، فلولا اولئك الذين قضاوا في سبيل يسوع نفسه لما عاش مجده حتى اليوم ...

لنتذكر الحياة القديمة البائدة ١١٠٠

لنتفص الغبار عن اقدامنا .. قم ايها الشعب ...

بهذه الالحان العذبة التي صوّرها غوركي على لسان الام، في اعظم رواياته يتوجه الى الناس والى الامهات كي يحثوا ابناءهم ويدفعوهم نحو حياة جديدة ... نحو الثورة .. التي هي قضيتهم والتي هي مشعلهم ومستقبلهم .....

لقد كانت رواية الام " بلا مراة" اخلد اعماله واعقها وهي لوحة عظيمة لأعمال كل الثوريين في روسيا القيصرية وتؤرخ بحق دبيب الثورة .. وما شخصية الام الا شخصية حقيقية غير مفتعلة، ولا تدرب الخيال الا شخصية من الواقع، عاشت ورأت حلما بأم عينها يصبح حقيقة .

وقد كتب غوركي مجموعة من المقالات الفكرية " نحو التحرير العام " فيما يلي بعض منها :

.... وثقة هذا الانسان الجديد عميقة في هذه القدرة العقلية المنظمة، هذه الثقة التي اضعها المفكرّون الاوروبيون الخائرون في جهودهم العقيمة لحل المتناقضات الطبيعية . انه يشعر بانه خالق عالم جديد .

ورغم انه يعيش اليوم في ظروف صعبة، انه يعرف بأن هدفه، وان الجهد الذي اضطلعت به ارادته العاقلة، ينحصر في خلق ظروف وحالات اخرى، وعلى هذا فليس ثمة اي داع للتشاؤم انه شاب، ليس من الوجهة

وبقر ان يأخذ موقفا صلبا لا هوادة فيه نحو النضال، انه في الكلمات القليلة السابقة يصور فلسفة الاضطهاد وصراع الاسياد وجبنهم وكيف يبنون راحتهم ... وما هو الشرف عندهم ؟ وفي نفس الوقت يعلن الغضب العارم عليهم وكيف ان اضطهادهم هذا سوف يرتد عليهم، ويعزّهم قطعا صغيرة لا احترام لها، حتى ان هذه القطع سوف تخجل من ذاتها فتفر عن اجادها .

وفي مكان آخر في روايته يتحدث عن اللحظة الحاسمة التي تراود الانسان الثوري، في خطواته .

.... عندما ينوى الانسان ان يسير الى الامام ويلتحق بالطلعية يشتبك في عراك داخلي مع نفسه، واذا قدّر له الفوز ضحّى بكل شيء وتخلّى عن قلبه ...

ما اجمل هذا الموقف الذي يغوص في اعماق النفس البشرية ويحلل نفسية الانسان .. يصور حقيقة موقفه وماذا يعني الثوري .. اذ انه ما هو الى مرحلة من النضج والانتصار على النفس بادية ذي بدء ثم .. التضحية الى النهاية ...

كما انه يصوّر بطريقة حزينة كيف يستغل المال عندما تكون الام واقفة بجانب امرأة مذعورة خائفة على ولدها فتقول لها :

" - الا ترون كيف يعتصرونكم ليستخرجوا سكم الدماء كما يُستخرج عصير الثمرة ...؟"

- دعيه يمضي ... لا تخافي ١٠٠ انا كنت انا ايضا .

- وهذا آتني يحمل العلم ويسير في الصف الاول .. هو ولدي الذي يحمل العلم ..

- اسمعي كيف ينشدون .. يا عزيزتي ..



البيولوجية فحسب، بل من الوجهة التاريخية  
ايضا، هو قوة تركّز فيها الوعي، ووعي  
الطريق الذي يسلكه ووعي اهميته في التاريخ،  
وهو يتم عمله بهذه الجرأة الخاصة بقوة فتية  
موجهة على ضوء مبدأ بسيط وواضح .  
واذا كان هدف الانسان القديم ان يقرأ  
النظام الانساني العفن الذي لا يمكن

للرأسمالية ان تعيش بدونها، بكل وسائل القمع  
الروحي والجسمي، بالحرب، فان هدف الانسان  
الجديد هو ان يخلّص جماهير العمال ويحررها  
من اوهاام واذلاليل الجنس والطبقات والدول  
وان يخلق جمعية انسانية شاملة متآخية يعمل  
فيها كل عضو وفقا لموهلاته ولا يأخذ الا على  
قدر حاجاته .

مكسيم غوروكسي

### المراجع :

- رسالة التحرر الفكري - الطليعة ١٩٣٦ - العدد السابع - دمشق .
- الأم - مكسيم غوروكي .
- ذكرياتي - مكسيم غوروكي .
- غوروكي الذي فقدته الانسانية - رثيف خوري - دمشق .
- لمحات عن حياة غوروكي في طفولته - تعريب محمود سيف الدين الايراني .

# تاريخ الحركة الشيوعية المصرية

١٩٥٧ - ١٩٦٥

للدكتور رفعت السعيد



الكبر

بقلم صالح زقوت

تاريخ الحركة الشيوعية المصرية " ١٩٥٧ - ١٩٦٥ " الوحدة - الانقسام - الحل للدكتور رفعت السعيد المؤرخ والباحث المصرى الذى نشرته شركة الامل للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ليس كتابا في التاريخ يعالج القضايا من وجهة النظر المدرسية التقليدية التى تعالج التاريخ كتاريخ للملوك والحكام والامراء وانما التاريخ من وجهة نظر الدكتور رفعت السعيد هو تاريخ الشعوب تاريخ المنتجين من ابناء العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وهنا في هذا الكتاب يقترح الكاتب المؤرخ الحاصل على الدكتوراه في العلوم التاريخية من احدى جامعات المانيا الديمقراطية المحظور والمفروض من قبل المؤسسة الرسمية لدراسة التاريخ -

ويتابع الدكتور رفعت السعيد المشوار ويكتب عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ١٩٥٧ - ١٩٦٥ ليكمل ما بدأه ويتتبع هذه الحركة منذ نشأتها وتطورها لتصبح رافدا رئيسيا من روافد حركة التحرر الوطني المصرية والعربية تشق طريقها بكفاحها وشهادتها وسنوات العذاب الطويلة داخل السجون والمعتقلات ومواقفها الشريفة والمبدئية والنضالية فعندما يهاجم الوطن المستعمرون عام ١٩٥٦ " العدوان الثلاثي ويحتلون بور سعيد وتتفكك اجهزة الدولة في المدينة ويهرب رجال مباحث امن الدولة

فالكاتب هنا يتقصى في هذا الكتاب تاريخ الحركة الشيوعية المصرية في مرحلة تاريخية هامة من تاريخ كفاحنا ضد الاستعمار واعوانه ، وهو خط بدأه الكاتب في سلسلة كتب وأبحاث عن تاريخ الحركة اليسارية والاشتراكية في مصر ، فقد صدرت للمؤرخ الكتب الاتية : تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ - ١٩٢٥ و اليسار المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠ - وتاريخ المنظمات اليسارية ١٩٤٠ - ١٩٥٠ ومنظمات اليسار المصرى ١٩٥٠ - ١٩٥٧ - والصحافة اليسارية في مصر ج ١ ، ج ٢ - واليسار المصرى والنضية الفلسطينية .

المصرية بل يتعاون البعض منهم مع المحتلين  
يقتحم المدينة الشيوعيون المصريون وينظمون  
الكفاح ضد جيش الاحتلال وينسقون خطاهم مع  
الحكم الوطني المصري حكم الزعيم جمال  
عبد الناصر وخصوصا مجموعة الضباط  
اليساريين داخل تنظيم الضباط الاحرار  
وتتفجر المقاومة البطولية ضد جيش الاحتلال  
ويسقط الشهداء من الشيوعيين والوطنيين  
المصريين برصاص الاحتلال ولكنهم ينجحون في  
تنظيم المقاومة الوطنية داخل بور سعيد  
ويجعلون الارض جحيما تحت اقدام المحتلين

ويهزم الاحتلال ويرحل المستعمرون عن  
بور سعيد وتبدأ معركة جديدة من معارك  
القوى الوطنية المصرية وعلى رأسها  
الشيوعيون المصريون هي معركة تعميق الثورة  
الوطنية الديمقراطية بحيث تحصل الفئات  
الشعبية من عمال وفلاحين وجنود ومثقفين  
تحريريين على مكاسب الاستقلال حتى لا  
تذهب الى جيوب الاقطاعيين والرأسماليين  
وعملاء الاستعمار فتبدأ معركة الديمقراطية  
ومعركة القومية العربية او الوحدة العربية كما  
تبلورت في تلك الفترة التاريخية وتختلف  
وجهات النظر بين فصائل حركة التحرر الوطني  
المصرية والعربية بين الرئيس جمال عبد  
الناصر القائد الوطني والمناضل ضد  
الامبريالية وبين الشيوعيين المصريين والعرب  
ويمتد الخلاف الى سوريا والعراق ويقف  
القوميون العرب والبعثيون والتأمريون ليشنوا  
معركة خاطئة وقاهرة ضد الاحزاب الشيوعية  
العربية ليكون الكاسب الوحيد فيها هم اعداء  
العرب من المستعمرين والصهاينة وحلافهم  
الرجعيين عملاء الاستعمار ويزج بالمئات من

الشيوعيين والوطنيين العرب في السجون  
والمعتقلات وينفي الشيوعيون المصريون الى  
سجن الواحات الصحراوى ويسقط الشهداء  
وعلى رأسهم الشهيد شهدى عطية الشافعي  
- ويتتبع الدكتور رفعت السعيد خط الحركة  
الشيوعية المصرية ومواقفها من الحكم الوطني  
في مرحلة ارتفاع اسهمه بعد المكاسب الوطنية  
التي حققت بعد انتصار السويس وبعد الوحدة  
العربية " وحدة مصر وسوريا هذه المكاسب التي  
خدرت البعض من اجنحة النظام وجعلها تنقذ  
انه يمكنها ان تواصل معركة التحرر والاستقلال  
والبناء لوحدها دون الشيوعيين حلفاء معركة  
الكفاح الوطني في معارك السويس . وتتحرك  
القوى الرجعية لتصطاد في الماء العكر ولدفع  
النظام لمزيد من القمع والتعذيب ضد  
الشيوعيين وهنا نجد الخط الثابت والمبدئي  
عند فصيل رئيسي من فصائل الحركة الشيوعية  
المصرية " حدثو " ثبات في المواقف  
والمبادئ رغم التعذيب والوحشية والمعتقلات  
وقد تجلت هذه السياسة في تأييد سياسة  
الرئيس جمال عبد الناصر الوطنية والمعادية  
لالامبريالية ونقد السلبات واذا كانت الهجمة  
الشرسة التي شنها النظام ضد الشيوعيين  
المصريين والعرب عام ١٩٥٩ قد افقدت  
الجناح الاخر من الحركة الشيوعية المصرية  
وهي جماعة الحزب المكونة من تنظيم الرابطة  
وتنظيم حزب العمال والفلاحين وجعلت هذه  
الجماعة تأخذ خطا مغرقا في اليسارية وتصف  
النظام بأنه " رأسمالية الدولة الاحتكارية " .  
الا ان هذه الجماعة كما يلاحظ المؤرخ من  
تتبعه لخطها السياسي في مرحلة صعود النظام  
١٩٥٧ تلتقي مع خط حدثو في تأييد الثورة  
وخطها الوطني المعادى للامبريالية وكذلك بعد

وقد تباينت مواقف هذه المنظمات منذ النشأة والتكوين حول الخط السياسي والمواقف حول التنظيم والاتصال بال جماهير وكانت حركة الجيش ثورة ٢٣ يولية والموقف منها هو القضية الرئيسية التي تفجرت حولها خلافات الشيوعيين المصريين في تلك المرحلة التاريخية هذه الثورة التي لقيت التأييد من قبل حدتو في حين وصفت من قبل المنظمين الياية وحزب العمال والفلاحين بأنها انقلاب تمثل رأسمالية الدولة الاحتكارية" ولكن بعد ان يأخذ النظام وعلى رأسه الزعيم الوطني جمال عبد الناصر خطا معاديا للامبريالية ويحدث انتصار السويس وتصعد اسهم النظام بين الجماهير العربية وترتفع اسهم الشيوعيين ايضا النضالية تبدأ الخطوط في التقارب وتزداد الضغوط من القواعد مطالبة بالوحدة وحدة الحركة الشيوعية والعمالية المصرية ليكون لها حزبها الطليعي حتى تتلاءم الاشياء مع صعود المعارك الوطنية والانتصارات على الامبريالية بل وتزداد الضغوط من قبل الحركة الشيوعية العربية والعالمية من اجل هذه الوحدة وتستجيب القيادات وتتوحد المنظمات في اطار الحزب الشيوعي المصري المتحد يناير ١٩٥٨ وتجتمع اللجنة المركزية للحزب الاجتماعي الوحيد لتخرج القيادة منقسمة على نفسها ممهدة الامور لانقسام جديد في ظل ظروف معقدة وتحديات شرسة وهي الظروف التي تصادمت فيها القوى الوطنية والقومية والتقدمية - ويحاول المؤرخ ان يتتبع في دراسته اسباب الانقسام الجديد ولكن يؤكد ان الخاسر الوحيد من هذا الانقسام هو الحركة الشيوعية المصرية والطبقة العاملة وحلفائها والكاسب هم

مرحلة الحل ١٩٦٥ اما في لحظات القمع والفرب فكانت هذه الجماعة تجنح الى اليسارية .

والكاتب المؤرخ دائما يحاول ان يركز على خطه الاساسي في البحث وكلما ابتعد عن الخط وتعرض الى الجوانب الاخرى من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية نضالها وكفاحها وارتباطها بال جماهير او سنوات التعذيب والتحدى داخل السجون والمعتقلات والمنافي يود بنا مذكرا ان البحث قائم حول تاريخ الحركة الشيوعية المصرية " الوحدة - الانقسام - الحل ويحاول ان يستخلص ابعاد الدروس من ذلك . فالحركة الشيوعية المصرية لها خصوصيتها نشوئها وتطورها وتقدمها الى الصفوف الاولى للحركة الوطنية المصرية فقد ولد الحزب الشيوعي المصري في العشرينات من هذا القرن ولكن سعد زغلول حظر نشاط هذا الحزب وفي الاربعينات من هذا القرن بسبب تطور المجتمع المصري وظهور الطبقة العاملة المصرية الصناعية وازدياد عددها وسبب انتصار الاتحاد السوفياتي على النازية وانهار النظام الاستعماري القديم شهدت مصر بداية تشكل المنظمات اليسارية والشيوعية ويحدد لنا الدكتور رفعت السعيد ثلاث تنظيمات شيوعية رئيسية على الخريطة السياسية في مصر منذ عام ١٩٥٧ وهي :-

- (١) "الموحد" تشكيل من الحركة الديمقراطية للتححر الوطني ويرمز لها "حدتو" وبعض التشكيلات الصغيرة توحدت منذ عام ١٩٥٥
- (٢) الحزب الشيوعي المصري ويرمز له "بالراية نسبة الى جريدة الحزب .
- (٣) وحزب العمال والفلاحين "ع.ف" .
- وبعض الاحزاب الصغيرة .



فبعد ان اخذت ملامح معاداة الشيوعية تطل برأسها من قبل القوى القومية وبعد ان اتضح ان النظام يدير ظهره للحلفاء في معركة التحرر " بورسعيد" وبعد ان اخذت اسهم النظام ترتفع " انتصار السويس - الوحدة بين مصر وسوريا وبعد ان حدد الشيوعيون العرب مواقفهم المبدئية من قبل الوحدة والديموقراطية وبعد ان اتضح ان النظام لا يستمع الى وجهات نظر حلفاء الامس ويصر على وجهة نظره التي زينتها له القوى الرجعية والامبريالية واخذت تدفعه دفعا للتشبث بها عادت المواقف القديمة داخل "ع.ف" والراية وأخذوا يردون هجوم السلطة بهجوم مضاد ويصفون النظام بالاحتكار • ولكن حدثو تثبث بموقفها التاريخي المؤيد للخط الوطني لثورة يولية وتحذر من الصراع بين تيارات الحركة التحررية العربية - ويعتقل الجميع المؤيد والمعارض وتبدأ سنوات التعذيب والنفي الى الواحات الخارجية ويسقط الشهداء ولكن الانقسام بين التيارات الشيوعية الثلاثة يصبح حقيقة واقعة داخل السجون وتعود الامور الى ماكانت عليه قبل الوحدة وهنا يتتبع الدكتور المؤرخ هذه المرحلة التاريخية مرحلة الاعتقال ويحدد لنا الخطوط الرئيسية والمواقف السياسية والتنظيمية داخل التيارات الثلاثة وهي :

(١) حدثو وخطها هو تأييد للنظام في سياسته المعادية للامبريالية بل ويقولون بأن هناك مجموعة ذات توجه اشتراكي داخل النظام وعلى رأس هذه المجموعة الرئيس جمال عبد الناصر وعندما تبدأ معركة التأميمات سنة ١٩٦١ تأتي الشهود لتثبت صحة نظرهم كما

يقولون وتميز هذا التيار في المعتقل بطلاية مواقفه المبدئية وبالدفاع عن الشيوعية وهذا ما تبلور في محاكمة هذه المجموعة وأقوالها في التحقيق •

وأما تيار الراية وع.ف فأخذوا يجنحون الى اليسار في تقييماتهم للنظام وعادت نفاة رأسمالية الدولة الاحتكارية للظهور ويستعرض المؤرخ اقوال رموز بارزة من هذين التيارين في التحقيق ليوضح لنا مواقفهم المهيوزة من الشيوعية والماركسية اللينينية •

وأخيرا يصل الباحث بنا الى المرحلة الثالثة وهي مرحلة الحل " الجريمة" كما يصفها الكاتب ولكنه بموضوعة الباحث يحذر من هذا الجنوح في الوصف فالحدث حدثني مرحلة تاريخية معقدة لها ظروفها وملاساتها داخل حركة التحرر الوطني العربية بل وداخل الحركة الشيوعية العالمية وعلى الرغم من ادانة الكاتب للحل ولفقدان الشيوعيين منبرهم المستقل الا انه يستعرض في امانة الباحث الظروف التاريخية التي حدث فيها الحل والتي تتلخص بالاتي :

- (١) النظام وعلى رأسه الرئيس جمال عبد الناصر اتخذ سلسلة من القرارات والتأميمات للبنوك والشركات الرأسمالية الكبيرة فيما عرف بقرارات يولية الاشتراكية
- (٢) بدأت نغمة التطبيق الاشتراكي في الستينات تسود داخل النظام واجهزته بل واعلن الرئيس عبد الناصر ان اشتراكيته هي الاشتراكية العلمية •
- (٣) بدأ خط النظام المعادى للامبريالية يتعمق وخصوصا بعد انفصال الوحدة المصرية السورية •
- (٤) تعمقت العلاقات بين النظام والاتحاد

خصوم الصراع السياسي - لذى البعض اصبحوا  
وفجأة دعاة الاشتراكية والمدافعين عنها والامر  
لم يعد مجرد اقوال يمكن تكذيبها او  
مجادلتها او التشكيك فيها وانما افعال ...  
أفعال .. أفعال ...

اللوحة الاعلامية .. الصحف الاذاعة  
التلفزيون ولم يكونوا قد رأوه بعد يمزج بما  
كانوا يحلمون يوما ان يقولوه في نشرة سرية ..  
الصحف يتصدرها رفاقهم او اصدقاءهم  
.. خالد محي الدين على رأس اكبر مجمع  
صحفي في الشرق الاوسط " دار اخبار اليوم "  
ويقول الباحث المؤرخ " هل نضيف  
تجربة العهد الاشتراكي، وتجربة منظمة  
الشباب وتجربة وزارة الثقافة والسينما والشرح  
والنشرة الثقافية الجماهيرية وكل هذه  
المؤسسات كانت معقلا للفكر الاشتراكي العلمي  
ولكن يقول الباحث المؤرخ فبرغم ما  
حدث وبرغم كل المغريات كان قرار الحل  
خاطئا واليما فلقد فقد الشيوعيون المصريون  
رويتهم المستقلة وحزبهم حزب الطبقة  
العاملة المستقلة وفقدوا برنامجهم المستقل  
فكانت الكارثة .

ولكن على اية حال لم يكن الحل هو  
نهاية المطاف لهذه الرحلة المجيدة .  
" فالموج الصاعد ما لبث ان طفا على كل  
المعوقات وصعد من جديد ولعل هذا خير  
تأكيد على خطأ مقولة الحل " .

السوفياتي وتنوعت اشكال التعاون .

(٥) طبقت الخطة الخمسية الاول بنجاح وهي  
خطة لا تعتمد على تمويل من الرأسمالية  
المصرية ولا على تنمية من الرأسمالية  
العالمية وأدواتها مثل البنك الدولي وانما  
اعتمدت على القطاع العام وعلى  
المساعدة الاخوية والمنزهة من الاتحاد  
السوفياتي .

(٦) تعمقت علاقات التعاون بين النظام  
الناصرى وحركة التحرر الوطني العالمي  
وكانت زيارة المناضل العالمي تشي جيفارا  
لمصر عام ١٩٦٥ مظهرا من مظاهر هذا  
التعاون والتحالف .

(٧) رفع النظام شعار التعاون بين القوى  
الاشتراكية المحلية ومن ضمنها الشيوعيون  
لبناء التنظيم الطليعي الذي سيبنى  
الاشتراكية كما كان يقول قادة النظام .

(٨) التفسيرات التي سادت ادبيات الحركة  
الشيوعية العالمية وهي امكانية انتقال  
القوى الديمقراطية البرجوازية الصغيرة  
الى مواقع الطبقة العاملة والى تبني  
الماركسية اللينينية كما حدث في كوبا .

كل ذلك مهد المسرح كما يقول المؤرخ  
للحل فعندما خرج الشيوعيون المصريون من  
السنقلاات وعادوا من المنافي في ابريل ١٩٦٤  
وجدوا كل شيء قد تغير .

" اللوحة الطبقيية ... اعداء الامس اين  
ثم ؟ .. كبار الملاك - الرأسماليون اين هم ؟

مراجع :

كتاب المؤرخ " تاريخ الحركة الشيوعية المصرية " الوحدة - الانقسام - الحل "  
١٩٥٧ - ١٩٦٥ .

# قصص قصيرة جداً لحرب الرشيقه قبل أن تنام



بقلم : محمود شقير



— ع —

الحرب لا تنتهي، والمقاتل يعود من حدود المخيم الى ملجأ امه في الاجازة الخاطفة، يطمئن عليها لحظة ثم يمضي الى ملجأ الحبيبة، يحدثها عن بيت آمن وولد، يتفقان على الزواج سريعاً، ولا يذهبان الى المطبعة التجارية من اجل بطاقات العرس، ولا يشتريان الحناء من حانوت العطار .

والحرب لا تنتهي، تختلط زغاريد النساء بضجيج القذائف الموزعة على اهدافها باتقان، ويهرع الاطفال من كل الملاجئ الى العرس، والقناص يستعد لتوزيع هداياه، والعروس طالعة من ملجأ ابيها الى ملجأ العريس، لابسـة الاحمر والاخضر والعيون تتشهى السلام، والعروس تسلّم اصابعها لقبضة العريس التي خسنتها الحرب قبل الاوان .

والحرب لا تنتهي، في اللحظة الاخيرة، قبل النزول الى الملجأ تفلح طلقة القناص في الوصول الى خاصرة العروس، يتوقف الغناء لحظة لاستيعاب ما جرى، ثم يندلع الغناء من

— امومة —

الى ف. لانجر .

الولد في السجن، والمحامية تتأمل نفسها امام المرأة على عجل، وترتدي ملابسها البسيطة: تنورة رمادية فضفاضة، وبلوزة ناعمة تنطبق على الصدر بأزرار . تتأمل نفسها للمرة الاخيرة، تحمل حقيبتها الملأى بالاوراق والملفات، تخرج الى شارع ديزنكوف، تخترق صدرها المتورد عيون ناشرة، تمشي مسرعة وهي تتلفت في حذر، فقد تلقت طعنة في الخاصرة قبل اشهر فلم تمت، وازدادت قناعة بما تفعله، واصبحت تشرب باعتزاز لانهم في الجانب الاخر ينادونها

يختفي هناك ، فلم يجد أحدا ، بحث عن المرأة في المطبخ ، تحت السرير ، وفوق السطوح دون جدوى ، تنقل من شقة الى اخرى ، فلم يعثر على احد في المدينة كلها .

افتقد الشرطي الذي اعتاد ان يحرس بناية البنك فلم يجده ، بحث عن المخبر المسكين الذي لا يملّ من مراقبة الخلق ، بحث عنه ليدخنا معا سجارة على الاقل ، وليسأله عن حال المدينة بعد هذا الغياب ، فلم يعثر عليه .

في الصباح ، عثر الناس على رجل فوق الرصيف ظل يبكي حزنا حتى الموت .

## — ارغفة

زنزانة ضيقة ، ضوء باهر في السقف ، بطانية ممزقة تفوح منها روائح كريهة ، منذ اغلقوا عليه الباب الحديدي وهو يجبل النظر فيما حوله بفضول ، ويلوب في مساحة مترين مربعين دون ان يهدأ او يستقر ، قرب الركن ، رغيف محشو ببعض قطع البندورة ، يلمس الرغيف في حذر ، يختلط سائل البندورة مع لبّ الرغيف : انها لزوجة تثير الاعصاب ، ثمّة شخص آخر كان هنا ، اين مضوا به ؟؟ ولماذا لم ياكل طعامه ؟ .

يحاول ان ينام ، يؤرّق منظر الرغيف الصامت ، والضوء المنبعث من مصباح السقف ، يخفي الرغيف تحت السرير ، يدفن رأسه تحت البطانية ، فلا ينام لأن ثمّة رغيفا محيرا لا يبوح بأي كلام .

في الصباح ، يحضرون له رغيفا مشابها ، يحاول ان يقضم من طرفه لقمة ، لا يقوى على ابتلاعها ، يتقيأها ، يضع الرغيف تحت

أم الفدائيس .

والولد في السجن ، لم يفارق ثدي أمه الا قبل وقت ، والضابط الشرس لا يفهم حتى الآن كيف تأتي امرأة من شارع ديزنكوف في الصباح المبكر للدفاع عن ولد دفع السكين حتى النهاية في عنق جندي يسكن في اول شارع ديزنكوف .

والحامية تدخل السجن مثل مهرة تتأبى على الترويض ، تتبادل بضع كلمات مع الضابط الذي وقف يحدّق في ملابسها البسيطة ، واتّسع صدرها المليء ، دعاها الى فئجان نهية وفي نيّته ان يغازلها لعلها تفيق من هذا الجنون الذي تتعشّقه مضحية بأمن الدولة فلا تردّ عليه ولا تستجيب إلى توسّلات عينيه فالولد في السجن ، والحامية المرأة نضي اليه بشغف ، تجلسه في حضنها ، تناعب شعر الرأس المحروم من الماء ، تمدّ الامام الرقيقة الى الثدي الملموم ، تخرجه ابين ناصعا من غير سوء ، وعلى طلعتته بنفسجة «تندبه من شفتي الولد الذي يغفو على صدرها الان ، والضابط الشرس يتلمّس سلاحه خلفه عن شهوة القتال . حظة او لحظتان .

## — لاحد

يبود الى المدينة بعد غياب ممضٍ ، ليس شك من احد ، حتى الكلاب الضالّة والقطط لم تكن هناك ، دخل المقهى المضاء : ثمّة فئاجين نهية لم يفرغ اصحابها من احتسائها بعد ، سعد الى الشقة المجاورة ، بابها مفتوح ، وثمّة نردذاء عند الباب ، تجول في انحاء الشقة ، عطر المرأة يفوح من زجاجة مفتوحة امام المرأة ، فتشّ خزانة الملابس لعلّ عشيق المرأة



السري، ثم الان رغيان ورجل وحيد في الزنانة .

ثم يأتون ، يقتادونه الى الخارج ، والرغيان يصفيان في ارتياب ويتشمان مثل ارنين مذعورين رائحة الخطر من وراء الباب . في الصباح التالي ، كان ثمة ثلاثة ارغفة ، وبركة دم على بلاط الزنانة ، ولا احد فوق السري .

## - افق -

هي تدري منذ ان اهداها تلك الحكاية التي تتحدث عن عاشق غاب ، انها ستفقد ذات مساء ، ستبحث عنه في البيت ، في الطرقات ، في كل الامكنة التي اعتادا على ارتيادها دون ان تعثر على جواب .

هو يدري انه سيفتقدها ذات صباح ، ولن يستطيع البحث عنها ، لانه سيكون محروما من ارتياد الامكنة او قطع المسافات .

مرة ، جاءها خبر غامض ، خرجت تركض مثل مهرة حتى وصلت بيته البعيد ، لم تجرؤ على الدخول ، فقد كان البيت مسكونا بالصمت وعلى الجدران تتكاثر الظلمات .

## - رحيل -

تخرج من تحت الماء على صافرة السفينة

وهي تهذي : لو ان المدينة بلا ميناء ، ترتدي فستانها فوق اللحم على عجل ، تركض في الشارع المليء بالانقاض ودم الضحايا الذي

جففته الشمس وهواء البحر العالح ، فقد ذكرتها السفينة ان موعد رحيله القري قد حان .

. يركض مبتعدا عن الميناء وسط دهشة المقاتلين وحزن النسوة في الشرفات ، يركض وهو يهذي باسمها البري ، فقد جاء هذا الرحيل قبل الاوان .

تنوح صافرات السفن وهو مختبئ في ظل صدرها ، تهديه خصلة من شعرها ، ثم يتعاهدان على اللقاء بعد انتهاء الحروب .  
ها هي ذي السفينة تمضي فيما تنتظره حرب لا يدري بها ، حرب ليست هي الاخرة على أية حال .

## - انفصال -

تدخل المرأة السوق ، تتأمل القماش الملون الوافد الى المدينة من كل الجهات ثم تراه فجأة في الجهة البعيدة من مهرجان القماش ، تقول انه الرجل الذي عرفته طوال عام ، تفكر بالاقتراب منه ، غير ان قلبها الجريح لا يطاوعها فلم تبادلها الكلام .

يدخل الرجل السوق ، يتسلى بعض الوقت بمراقبة النسوة المتبرجات وهن يتخطرن مثل الفراش المتعدد الالوان ، ثم يراها فجأة فيقول انها المرأة التي عرفتها طوال عام ، غير انه لم يستوقفها كيلا يجرح قلبها المكسوم ، ولم يبادلها الكلام .

يهطل المطر على غيرميعاد ، يمتعض التجار وهم يسارعون الى لملمة القماش من فضاء السوق ، يتفرق الخلق في كل اتجاه ، تمضي المرأة الى بيتها مبلولة الشعر ، والرجل يصعد الى مقهى قريب ، يجلس لمق زجاج



تضربه يده، سبع واربعون راقصة، لكل واحدة  
منهن قصة لا يعلم اسرارها أحد سواه .

الكهل النحيف، وهو يموت وحيدا في  
كوخه، ايقن ان راقصات الملهى لن يتخلفن  
عن حضور الجنازة، وقد يلطن خدودهن ،  
المليئة بالاصباغ وجدا عليه .

الكهل النحيف مات، والراقصات مستغرقات  
في قيلولة ما بعد الغداء، تأهبا لليلة طويلة  
من الرقص المحموم، فلم يشارك في جنازته  
سوى حارس المقبرة، واثنين من غابري السبيل  
، واربعة من اهل البر، وكلب الحي البائس ذي  
الذنب المقطوع .

## - شقق

نسوة الشقق العشرين التي تقع في اجمل  
احياء المدينة، بعد ان اطلقن اطفالهن مثل  
العصافير إلى مدارسهم، وبعد ان ودعن  
أزواجهن عند ابواب الابنوس بقبل سريعة  
وتحايا من الاصابع الرشيقة المترقصة، نسوة  
الشقق العشرين تجتمعن في شقة واحدة للتفرج  
على فيلم فيديو بذي امتد الى ما قبل الظهر  
بقليل، ثم انصرفن الى بيوتهن وهن يتمنين  
الاتقاع الحرب التي يتحدثون عنها في  
الاذاعات، قبل ان يعود أزواجهن من مكاتبتهم  
الوثيرة، الى حيث الدفء والطمأنينة في  
بيوتهم ذات النوافذ الانيقة المزودة بستائر  
من قماش مذهب قادر على صد الحرب  
ومنعها من الدخول دون استئذان .

## - انسجام

سيد البيت الذي يناقش فيه مصير العالم

المالة، يقرب الشارع بأسى، وفي الخارج  
تقع المدينة ساكنة تصني لوقع المطر وانهمار  
الدموع .

## - ديمومة

مضيفات الرحلة الجوية الاخيرة، اللواتي  
هبطن الى المدينة الصاخبة هذا المساء، غير  
آيات لزخات المطر والضباب، المضيفات  
الجيلات ما ان دخلن صالة الليل التي اعتدن  
على ارتيادها، حتى انخرطن في الرقص دون  
ان يفكرن ولو للحظة في مصائر المسافرين  
الذين غادروا الطائرة وهن يقفن في وداعهم  
وعلى ثغورهن ابتسامات رقيقة صقلتها يد  
الهيئة المثابرة .

المضيفات البهيجات مثل ورود الصباح،  
لن يعرفن الى الابد ان واحدا من مسافري  
الرحلة الاخيرة، قد قضى نحبه في حادث  
غاص بعد مفادته الطائرة بساعتين اثنتين،  
اي فيما كانت المضيفات منهمكات في الرقص  
الليدز، استعدادا لبضع ساعات من النوم  
البادئ، ثم الاستيقاظ صباحا كالمعتاد،  
لتقديم القهوة الطازجة مع الابتسامات  
لسافرين جدد يجوبون هذا العالم من اقاصه  
الى اقاصه .

## - جنازة

الكهل النحيف، ذو العنق الطويلة  
المضطكة، مات وهو يعتقد انه عاش حياته حتى  
المنتهى، لانه منذ اشتغل ضاربا على الدف في  
الملهى الليلي، هزّت اردافها على الدف

## - رحلة -

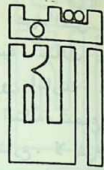
ترتدى جوربارخيسا وتمضي، منذ سنوات وهي تقطع نفس الطريق مارة بقلب المدينة حيث يتزاحم العمال في انتظار فرصة للعمل. هذا الصباح تتنابها برودة فاجعة، ظنّت غير مرة أن ثمة دموعا تتجمع في عينيها، تمرر اصبعها اليايس فوق الجفنين فلا تعثر على شيء.

وتمضي، تهب ريح قاسية في الطرقات، يضطر العمال الى رفع ياقات معاطفهم المتهترئة، تحكم قبضة يدها فوق معطف باهت كيلا تتسرب الريح الى صدرها، اذ تكفيها البرودة التي تنمو في داخلها هذا الصباح. وتمضي، لكن الجورب ينزلق فوق الساقين، تشف تجعداته الرخوة عن بؤس لا حدود له، تتوقف لحظة، تشد الجورب الى اعلى، ينظر اليها بعض المارة في اشفاق؛ انها رحلة قاسية.

غير انها تمضي الى رغيف الخبز كعادتها منذ سنوات.

بعد ان انتهى هو ومساعدوه من بحث اهم القضايا الساخنة هنا وهناك، غادر مكتبه قبيل منتصف الليل، يبحث في البيت الفسيح عن السيدة الاولى التي لم يرها منذ حل المساء، بحث عنها في قاعة الطعام، حلبة الرقص، صالة السينما، بركة السباحة الشتوية، حمامات البخار والمياه المعدنية، اخيرا عثر عليها في حوض الاستحمام المصّع بالماس وقد غمرت جسدها الى اعلى العنق في الحليب المعقّم الخالي من الاشعاع النووي طبعاً، طلبا للنوم اللذيذ، وصفاء البشرة امام اعين الصحفيين وكاميرا التلفاز.

سيد البيت إياه، بعد ان اخبر السيدة الاولى بقرار الحرب في امريكا الوسطى والشرق الاوسط فلم تكثر بتاتا، روى لها آخر نكتة بذيفة سمعها من اقرب مساعديه، ثم مضى متهدّلاً الى سريره مثل قتيل، فيما السيدة الاولى تملأ البيت بضحك مفناج كما لو انه يدغدغ جسدها دون هواده دفع الحليب.



## أزهار إلى مقبرة المخيم



بقلم : عمر حمش

الاكواخ ترتص في المخيم ، تتداخل ، تعرض جدرانها ، يمر عليها الزمن ، يهشمها ، يتسلق الابواب المحملقة في الازقة ، ينخرها ، يهاجمها الصدا ، تنفتح ، تنصق ، تقذف صبية ، تطلق سهامها ، زوائد لا لزوم لها ، يتعافر الصبية بالتراب ، يتمايحون يكونون فرقا تطارد بعضها ، يلتصقون مع الازقة العوجاء ، ترمح اقدامهم الصغيرة ، تشهر اصابعها وسخة عمياء ، تنغرز في الارض ، تخوض القنوات ، تتلون سيقانهم بالسواد ، تكتسي بالوحل ، تستمر المطاردة ، يتفرعون مع القنوات ، يلتقون بالتقاءها في مصب البركة ، البركة بحيرة تتوسط المخيم ، تخضر ، تنبت عشبا على الجنبات ، تضربها الريح ، تحرك ماءها ، رائحة مفرقة تطير ، تعودت أنوف الصغار الرائحة ، بعوض يلدغ لحمهم الطرى ، يهرشون اللحم العارى ، ترقب عيونهم سطح البركة ، يسكن حدقاتهم جمود ، جمود قاس ، معاد ، حدقاتهم شرسة ، محاربة ، تلعنها الداورية ، تحسب حسابها ، تلعن المخيم الذى انجبها .

ويأتي الشيخ درويش ، جسد ضخم وعقل هائم ، كل شيء في عينيه يرتدى غمامة ، كل شيء عائم سابح ، يقفز مترهلا ، تلفه الشياح والسبح ، يقفز ليقفز ، العينان هلعتان ، الفم منفرج ، يرخي شدة السفلي ، يسكب لعبا مسترا ، وذراع على وجهه تحوم ، تمر على اللباب ، تمسحه ، يلتصق اللباب بقماش الكم الواسع ، يهتز الجسد العملاق ، تحلق عيناه ، يكشف الصبية ، يقفز نحوهم ، يركضون اليه ،

يتجمعون ، ينشدون

شيخ درويش يا شيخ درويش

لا بتموت ولا بتعيش

يرتفع النشيد ، يرن في اذني الشيخ درويش ، يهتز ، يقفز ، ترتفع ساقيه ، يتهاوى ، تدق قدماه التراب ، تلطم ذراعا صدره وجنبه ، يرقص ، يرقص كغفريت عجيب .

ومشى الداورية على ارض المخيم ، تصدم الاحذية الثقيلة التراب ، تحفره ببرود ،



يتطاير غبار القماش الكاكي على السيقان المتراخية، يشاهدون الصبية، يتوقفون، يتفرون، يتوزعون على مداخل بعض الأزقة، يحمل الجند، ينتظم صراخ الصغار مع حركات الشيخ درويش، يعلو، يسقط، يعجب الضابط يربهم، يقلب الامر :

" المرور مشكلة، المرور صدام، سيلعبون بك، يهزأون بجندك، يجعلونك تتجاوزهم امثارا، مترا او مترين، يهمسون : "بيعه" ، يقصدون بع سلاحك، يقصدونها بلا مواربة، تبتلعها، تتغابى امامهم، تبتعد اكثر، يعلو صوتهم يرددونها جماعة، "بيعه، بيعة، تتوقف، توقف جندك، يتوارى الصبية، تخطفهم الازقة اللعينة، تمشى، يعودون، جراد شره يلاحقكم "بيعه، بيعة"، يخنقونك، يجلدونك، تشور، تضغط زناد سلاحك، تطلقه، تطاردهم برصاصك، يتوارون، يأتون، يلاعبونكم، قروود متوحشة تغيطكم، تهزلون خلفهم، يسقط احدهم، بعضهم، تنهال عليكم نساء المخيم، امهات الوحوش الصغيرة، يباحثنكم، يبطحنكم، تجعلون المكان يمطر رصاصا، غازا دخانا، تنهال عليكم الحجارة، يشتعل المخيم، تزار عربات الاسعاف، تدوخ، يدوخ جندك، لا يا ضابط، لا تتقدم في الشارع،

دعهم يصرخون، يراقصون المجنون، وأمر جندك ان يتواروا في الازقة، انسحب، غير الاتجاه، توارى عن اعين الصبية، عن حدقاتهم الوحشية، تسألك عيون الجند مستفسرة، ينتظرون اشارتك، تأتيك قسام وجه مسئولك في الثكنة، تنصاع لامر مهمتك، مهمتك عبور الشارع، لا شيء يعيق تنفيذ المهمة، لا شيء يعيقك، تأمر جندك، يتحفزون، تتقدمون من الصبية" ، ،

xxxxxx

وفي المساء ، وبهدوء عادي، يعلن عن شيخ يقتل في ارض البركة، وهو يهاجم داورية ومعه بعض الصبية .

وفي المخيم حيث الصبية لا زالوا صبية، تقذفهم ابواب الاكواخ الصفيحية، كان الصبية يشهر كل منهم لقوانين الداورية اصبعه الاوسط، يحركه، يجرون في الازقة، يتابعون القنوات، يصلون البركة، يخوضونها، يجمعون من جنباتها بعض ازهار عشب عنيد، انبثق في حواف الماء الاسن ، يجري الصبية بالازهار، يسرعون بها الى مقبرة المخيم، يزينون قبر الشيخ درويش .

شباط / ١٩٨٧ .

# نمّمات على وجه الوطن



أسعد الأسعد



تؤثّر قليلاً  
 يهلّ الآن وجه الوطن  
 ندياً  
 رقيقاً  
 كطيف ملاك  
 يهدّد فيك  
 ذواقة قلب  
 ينبض فيك  
 ويحيى هناك  
 يبعث في البحر موجاً  
 توأمّل في الشاطئين  
 فمائد عشق  
 حتى يراك  
 فتنبّس للموج  
 لم .....  
 بعينيك لم  
 إذا ما استطاعت سلاماً يداك  
 فملاً انتظرت رحيل المراكب  
 عليك تُدرِك  
 بعد الرحيل  
 جنون هَواك

.....

هُوَ اللَّيْلُ  
يَحْمِلُ عِبْرَ النَّوَافِدِ  
طَيْفُ الْأَحْيَةِ  
يَنْشُرُ فِي الْكَوْنِ  
سِحْرَ بَهَاكَ  
يَا عَشْقِي الْأَبْدِي  
رَأَيْتُكَ فِي الْحُلُمِ تَغْفُو  
عَلَى سَاعِدِي  
وَأَخْشَى الْحَرَكَ  
فَيَنْفُو النَّعَاسُ  
عَلَى رَأْسِي  
وَيَمْحُو فُؤَادِي  
إِذَا مَا رَأَى  
وَتَرَحَّلَ عَيْنَايَ فِيكَ  
فَأُصْحَوُ  
وَكَيْفَ أُنَامُ  
وَعِنْدِي حَبِيبِي  
وَأَيُّ مَلَاكٍ ؟

.....

قَلِيلًا ...  
قَلِيلًا ...  
يَهْلُ الْإِن وَجْهَ الْوَطْنِ  
نُورٌ وَنَارٌ  
وَتَبَعُ حَيَيْنَ  
وَذُوبُ اشْتِيَاقِي  
وَعَطْرُ الْأَرْضِ  
وَزَجْجُ الْمَطَرِ  
هَدْيُ حِمَامٍ  
وَرَقَّةُ طَيْرٍ  
فَوْقَ غُصْنِ شَجَرٍ  
لِقَاءُ حَبِيبٍ  
شِفَاءُ مَرِيضٍ  
وَعَفْوَةُ طِفْلِ

عَلَى صَدْرِي  
بَعْدَ طَوْلِ ضَجَرٍ  
وَابْتِهَاجِ فَقِيرٍ  
بِقِطْعَةِ خَبَرٍ  
عُضُّهُ الْجُوعِ  
إِلَى أَنْ كَفَرَ  
فَرَحُ الصَّغِيرِ  
بِثَوْبٍ جَدِيدٍ  
مَوَاسِمُ عُرْسٍ  
يَعْمُ الْبُشْرُ  
... ..

مَاذَا أَقُولُ  
وَوَجْهَكَ بِحَرٍّ  
يُطَلِّ عَلَيَّ  
بِأَحْلَى الصُّورِ  
تَضَجُّ النَّوَافِدُ فَرَحًا  
وَتَمْلَأُ قَلْبِي  
تَفَاصِيلُ وَجْهِكَ  
مَنْذُ الصَّغِيرِ

كَبْرُنَا صَدِيقِي  
وَمَا زَالَ فِينَا  
يَعْمُرُ حُسْبِي  
هَذَا الْكَفَرُ  
تَطْوُلُ الْمَنَافِي  
يَطْوُلُ انْتِظَارُكَ عَيْشًا  
وَتَأْكُلُ خَطْبُوكَ  
هَذَا الْحَفَرُ  
تَعَالِ إِذْنُ  
بَغْيَرِي وَعَيْبَرُكَ  
مَا هَبَّ رِيحٌ  
وَلَا نَزَلَ امْطَرُ



# صداة على سنة الوطن



عطا الله قطوش



كي تتوقد

كي تتوقد في مجمرة الموت وتنكسر الاحزان  
حتى تثق القدس بعمر خليفها لا صفرو نىوس  
ويقوم الجزار من الطمم المطموم عليه سدايات .. وحانوكات  
ويشهر مدفعه صوب السفن المفترسة في عمق البحر

كي تفهم خطبة سحبان

كي لا تفهم خبير ان عماها ما انقلبت ثعبان  
كي يفرج عرب بنو غطفان وبكر وداحس عن دائرة رغيغ الخبز  
وشكل الشمس بصيرا

احمل ما كان

ثم انطق ما لا يحلو للتيجان

وسيف خليفتك الخشي المامت جهرا في لبنان

xxxxxxxx

لا تحمل ملحا في جرحك وضبا يا يحجب آفاق العنوان  
لا تحمل قبة .. او تكتيكا لمصادرة الذاكرة الاولى .. والالف  
احمل صومعتك .. هديرك في ماء البحر الابيض  
وتذكر انك لا زلت مهاجر .. وامامك اكثر من هجرة

وسماء العرب ستمطرنا كثبان

xxxxxxxx

اذكر انك قد فتشت ضلوعك قصفت في صبرا .. حربئذ .. بيروتئذ  
وصرخت بكامل ملجئك .. وبسمة بنتك مي



ولم تدر بأَنَّك ميّت ام حَي  
 لمّا انسلخت قامة بيروت عن البحر ...  
 وحطّ الطاعون على كأس الشّاي .. وخبزك  
 وصرخت صرخت  
 لماذا الصمت غدا رسميا ؟ !!!  
 ولماذا الناطق عي ؟ !!!

xxxxxx

احمل حملك .. وتجاوز اطراف عواصمنا .. ومفايزات النسيان  
 هاج الجمل .. وعرقت ارض الصحراء بجوع مر  
 سكرت حانات العرب وحلّت في منتصف الليل حزام حرارتها  
 وانطلقت للخلّف

اف .... اف .....

رائحة الايام تحاول ان تختصر مشاعرنا بنقيق في المستنقع هذا  
 لا يا اخر مولاي  
 انا لا ابصق تاريخي ... او امسح ماء الوجه

xxxxxxx

اخرج من جلدك ... واتبعني  
 هيّا

لا بد لفزوال الدولار الاسود من معركة جارحة .. وجريئة  
 هل نخلغ ضرس الافعى كهديل حماسة  
 هل نخلغ ضرس الافعى بالمخرز ... او نكسره ؟  
 لا بأس

سنوقظ جرس النخوة .. والمذبوحة في مطبئة الوطن العربي  
 من سقطه حتى اطلسه

وندافع عن جوا السقف

وحرائقنا في بيروت وصبرا والفالوجة

لا بد لها ان تذكر ما تنسى

وتجيد اللغة الفصحى والنحو .. وعلم الصرف

xxxxxxxxxxx

هل فكّرت معي

لما ابصرت صلاح الدين يضيع على ابواب القدس وحول عمامته اسراب ذهاب

هل طاوعت شهامتك العربية .. لوّحت بخنجرك البتّار

وقمت بشيء بارز

في هذا الزمن المكتوب بماء العار . وخمر البار

xxxxxxx

هل فكّرت معي في الريح

لمّا طار المعتصم

وقلت بان الافق يضيق يضيق ...

ويحببنا عن رؤية خيلٍ يلقى نلمع في الكئيبان

هل فكّرت معي في الحال !!

لماذا داخ المعتصم .. ولفّوا قامته بالبرديّ .. ودعايات البيبي كولا !!

هل مرّت يدك على ثأرك تصقله ؟

هل مرت يدك على ثأرك تصقله ؟

وشعرت بندم حامض من اخمصك الى رأسك !!

داخ المعتصم ودوى واعرباه ... واعرباه

كان العرب بطنجرة الضغط طعاما هرمّا

منقولين على عربات هزيمتهم

مزهويين بشيء من اوسمة .. او تيجان

xxxxxxx

هل فاجأك العرم وقمت برحلتك لعاد وشيخ ثمود وبرفقتك الطوفان

هل فكّرت معي

كيف دهانا سور الجزار بداهية لا تُحتمل عواقبها ابدا

كيف احتشدت غربتنا في ارض عربوتنا تستدرجه للقاء عادي

كيف تدلّت دمعتك كمشقة في حذك ... تنذرني بعواقب صلفي هذا

وعواقب صلفك ذاك

هل كان تطفلنا ممقوتا باب السور :

يوم فتحنا للاشواق طريقا تركع في حضرته العربيّة

يوم رسونا في بسمته الكنعانية .. نعبد فيها الله

كنا صديقين من الهمم الشرقي ...

تعذبنا اغنية .. غنيناها

وطوبناها بالسر العلني .. لاجل غير مسمى

من منا ما لوفأ كان ...

نحن ام السور

ليطردنا الناطور اذن

بالدهشة ... او باللطف

وتشيد المستوطنة الاولى بهزيمتنا الاولى والثالثة او الالف

واريدك ان تحمل حملك

بلدا... بلدا

جيلا... جيلا

نافذة... نافذة

واحذر كل النشالين على ارفصة هزيمتنا... وشوارع تكساس

اضطرب.. اضطرب

انجذب... انجذب

اقترب... اقترب

احذر ان ينكسر حنينك... او تنكسر الروئية... والانفاس

انت الصوفي فرتل

انت الصوفي بهذا الزمن الكافر... رتل

رتل في محراب العشق... لتتكسر الاوثان.



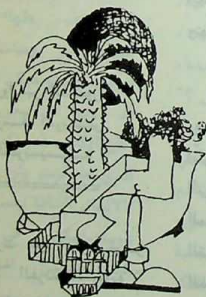
# بشرف أمي !! ؟ قصيدة بالمرجة العامة

صحي زبيدي

شَوْ عِنَّا أُمِّي وَصَارَتْ حَمَائِلَ  
وَكَلَهُ عِشَانٌ ... يَا وَطَنُ فِي الْبَالِ

xxxxx

كُلَّ مَا أَتَوَلَدُ مَوْلُودٌ  
بِالْقَهْرِ مَوْعُودٌ  
مَوْعُودٌ بِالْجُوعِ  
وَيَمُوتُ مَوْجُوعٌ  
بِتَضْيِيرِ يَا وَطَنُ ... مَوَالٍ .



يَا الْبَالُ يَا وَطَنُ فِي الْبَالِ  
مَذَى يَا وَطَنُ فِي الْبَالِ  
كَلَّ مَا رَقَصَتْ حَارِثُنَا مِنَ الْوَجَعِ  
كَلَّ مَا عَنَّ الْبَالُ مَوَالٍ

xxxxxxx

كَلَّ مَا تَعَذَّلْتُ وَاتَّصَلَحَ الْمِشْوَارُ  
وَأَتَيْدُ لِيكَ وَأَنْفَهُمْ شَوْ صَارَ  
لَنْ طَلَعَ عَلَيَّ الْحَقُّ  
لَوْ أَنْحَقَ زَعِيمٌ وَأَنْدَقَ  
يُنْجِي يَا وَطَنُ عَ الْبَالِ

xxxxxx

كَلَّ مَا صَارَ فِي الضَّفَّةِ اخْتِفَالٌ  
وَنَفِئُوا طَبَّ يَمِينٍ فِي شَمَالٍ  
أَوْعَفُوا وَلَدٌ فِي بَنَتِ طَبِّ  
وَالْتَمَسُوا وَأَنْصَرَبَ وَأَنْسَبَ  
تُخْطِرُ يَا وَطَنُ عَ الْبَالِ

xxxxxx

كَلَّ مَا طَلَعَ فَصِيلٌ جَدِيدٌ  
فَرَسَ عَلَيَّ وَعَلَيْنَا بَعِيدٌ  
سَأَلْتُ شَوْفَ شَوْفِي فَصَائِلُ





طه حسين الى البلغارية

=====

صدرت الترجمة الكاملة  
لكتاب الدكتور طه حسين "  
الايام" باللغة البلغارية في  
صوفيا، وذلك بمناسبة مرور  
ثلاثة عشر عاما على رحيله،  
قام بالترجمة وكتابة دراسة  
مطولة عن المؤلف والكتاب  
الترجمة البلغارية "جانكا  
بتلوف" التي تهتم اهتماما  
خاصا بالاداب العربية  
والدراسات الاسلامية.

روايتين للدكتور  
يوسف ادريس  
للفرنسية

=====

صدرت عن دار نشر  
"سندباد" الفرنسية، رواية "  
النداهة"، للدكتور يوسف

ادريس، وهي العمل الاول  
للدكتور ادريس الذي يترجم  
الى الفرنسية، كما صدرت عن  
دار نشر "لات" الفرنسية ايضا  
رواية "الحرام" وجدير  
بالذكر، انه صدرت للدكتور  
ادريس خمس روايات جديدة،  
بالاضافة الى خمس مسرحيات  
ويعتبر الدكتور ادريس احد  
اهم الكتاب العرب، واكثرهم  
ابداعا، بدأ حياته الادبية  
عام ١٩٥٤، صحفيا في  
جريدة "الاهرام" القاهرية،  
حيث اعتزل الطب، وبعد  
انقطاع طويل عن العمل  
الصحفي، عاد الى الكتابة في  
صحيفة الاهرام ١٩٧٩ حيث  
يكتب مقالا اسبوعيا.

تتناول مجموعته الجديدة  
"النداهة"، المتضمنة اربع  
قصص قصيرة، خيارات فلاحية  
مصرية شابة، تشدها اضواء  
المدينة الكبيرة - القاهرة -  
وتضيق فيها.

اما قصة "الحرام"، فهي  
رصد للفساد الذي استشرى  
ابان الحكم الملكي، بالاضافة  
الى محاولة الدخول الى اسرار  
المجتمع المصري، من خلال  
التركيز على طبقة الفلاحين  
المصريين، والتي تشكل عصب  
هذا المجتمع وبنيته الاساسية.

اصدر اتحاد العاملين في  
مختلف قطاعات التعليم في  
الاراضي المحتلة، نشرة لمرّة  
واحدة، تناولت مختلف  
نشاطات الاتحاد بالاضافة الى  
العديد من الزوايا والمقالات،  
وقد تناولت الافتتاحية،  
موضوع الوحدة الوطنية  
الفلسطينية، التي تجلت في  
الدفاع عن المخيمات  
الفلسطينية، حيث تبرزت  
وحدة المقاتلين الفلسطينيين،  
وأفشلت المخططات الرامية  
الى ضرب الفلسطينيين،  
واضعاف قوتهم.

كما نوهت النشرة في  
صفحتها الاولى، الى دواع  
النظام الاردني من وراء رؤى  
المعلمين، وأهداف النظام من  
وراء ذلك.

هذا بالاضافة الى استعراض  
النشاطات التي جرت على  
شرف يوم المعلم الفلسطيني  
الذي صادف ١٤/١٢/١٩٨٦  
وكذلك تقرير موجز لاهم  
نشاطات نقابة العاملين في  
المدارس الخاصة ومقالة عن  
واقع التعليم في قطاع التعليم  
الخاص والعاملين فيه.  
وقد ورد على الصفحة

المعنى فكروا ثوريا وانما هو فكر  
نصوص وشعارات لفظية متينة".

جروح

=====

صدرت في مدينة القدس،

الرواية الاولى للكاتب ادم  
الاعور، وتقع في ١٦٧ صفحة  
من القطع المتوسط.

تناولت الرواية موضوعا  
اجتماعيا، يتعلق بالحياة  
الفلسطينية بأسلوب بسيط  
وواضح، ورغم الاخطاء  
المطبعية الا ان الرواية في  
مضمونها، نجحت في نقل ما  
سعى اليه الكاتب، وخاصة في  
تطوير الحدث ونمائه، وحافظ  
على ربط القارئ بموضوع  
الرواية الاساسي.

الدكتور السبيري

=====

اكتشف فقهاء اللغة  
الروسية سر يوميات الكاتب  
فيودور دوستوفسكي التي كان  
قد دونها في سجن اومسك.  
وكان الكاتب قد حكم بالاعدام  
الذي ما لبث وان استبدل  
بالاشغال الشاقة بسبب اشتراك  
دوستوفسكي في جمعية  
البتراشفتسين التي تضم  
الاشتراكيين الطوباويين

نايف سليم، ضم مجموعة كبيرة  
من الامثال والاقوال، العربية  
والعالمية اختارها وجمعها  
نايف سليم، وقدم لها، وهذا  
هو الكتاب التاسع للشاعر.

البنية البطركية

=====

في "سلسلة السياسة  
والمجتمع" صدر عن دار  
الطليلة في بيروت كتاب  
الدكتور هشام شرابي "البنية  
البطركية: بحث في المجتمع  
العربي المعاصر". والمحتويات  
هي مقدمة النص الانكليزي.  
المجتمع البطركي الحديث  
وواقعه، النظام البطركي  
الحديث واصله الاجتماعية  
والتاريخية، النظام البطركي  
الحديث في عصر الامبريالية،  
المقال البطركي الحديث،  
الحركة النقدية الجديدة،  
المرحلة الاخيرة، ما العمل؟  
من المقدمة تقتطف ما يلي:  
" لا يمكن للوعي الاجتماعي  
ان يتبلور ويصبح خلاقا اذا لم  
يكن قائما على فكر نقدي،  
ودون ذلك يبقى نصوصا لفظية  
، وشعارات مجردة. ليس الفكر  
البطركي " الثوري" بهذا

الاحيرة مشروع النظام  
الداخلي للاتحاد، والذي  
يهدف الى دراسة اعضاء  
الهيئة العامة له، وابداء  
ملاحظاتهم تمهيدا لدراسته  
واقاراه بالشكل النهائي.

تكوين الادبية الفلسطينية

سيرة عزام

=====

عكا - بدعوة من مؤسسة  
"الاسوار" العكية، عقدت ندوة  
في مدرسة ترسانة الثانوية  
في مدينة عكا، يوم الثلاثاء  
١٩٨٧/٣/٢٠ لتكريم  
الادبية الفلسطينية الراحلة  
سيرة عزام، شارك في الندوة  
كلمن الكتاب، حنا ابو حنا،  
نبيه القاسم، وحنان عواد،  
وبحود دسوقي الذي قدم  
تمهيدا بالمناسبة.

كما شارك الفنان يوسف  
البوردة، بمشهد تمثيلي من  
نص سيرة عزام "الساعة  
والانسان".

وآدار الندوة الكاتب حنا  
ابراهيم، المسؤول الثقافي  
في "الاسوار".

"امثال واقوال"

=====

"امثال واقوال" عنوان  
كتاب جديد، اصدره الشاعر

والديمقراطيين، وقد اتاح العمل المشترك لباحثي معهد الادب الروسي في ليننغراد وجامعة اركونكس الاعداد لطبع كامل الدفتر الاول من يوميات الكاتب وهو بعنوان " الدفتر السبيري " وستصدر باقي اليوميات في دفاتر لاحقة .

يذكر انه خلال الاقامة في سجن اومسك الذي نعتسه دوستوفسكي ببيت الموتى، منع الكاتب من استخدام الريشة ولم يُرفع المنع الا في مستشفى السجن الاصلاحى حيث تم تدوين المذكرات سرا، ولذلك لم يكن يفهم الكثير منها سوى الكاتب نفسه .

#### كتاب الطواف

=====

للشاعر محمد علي شمس الدين، صدر كتاب جديد بعنوان " كتاب الطواف - سيرة مزدوجة " عن دار الحداثة - بيروت .

يقسم الشاعر كتابه الى فصلين : الاول بعنوان " الطواف حول المنزل " وفيه الباب الاول " الطواف حول المنزل " والباب الثاني " صور الاسم "، ويضم مجموعة القصائد الشعرية والنثرية، الفصل الثاني بعنوان "

"الطواف حول القصيدة" وفيه الباب الاول " من تبدلات القصيدة" الباب الثاني " مرافعات واساطير " والباب الثالث " كاف ٠٠ هـ ٠٠ ي ٠٠

عين ٠٠ صاد" يتضمن هذا الفصل بالاضافة الى الابيات الشعرية وقصائد النثر عددا من المقالات النقدية .

#### مركز الابحاث يصدر دراسة

##### حول قرية دير ياسين

=====

بيرزيت - اصدر مركز الابحاث في جامعة بيرزيت دراسة تاريخية - وقائية، من تأليف د. شريف كناعنة ونهاد زيتاوى، حول بلدة " دير ياسين " قضاء القدس اشتملت على التاريخ الشعبي للقرية وحمايلها ووضعها في الاربعينات وتفاصيل الذبحة التي وقعت في التاسع من نيسان عام ١٩٤٨ . وتضمنت الدراسة ٢٢ صورة، قديمة وحديثة، توثق البلدة ماضيا وحاضرا وكذلك خارطة للقرى لفلسطينية المدمرة. وجاءت الدراسة في ٦٥ صفحة من الحجم المتوسط مشتملة على أربعة فصول رئيسية .

استعرض الفصل الاول من الدراسة التاريخ الشعبي للقرية وأصل التسمية ومؤسساتها الاولى وشخصيتها موثقا مواصفات الاهالي وعلاقاتهم بسكان القرى المجاورة . وضع الفصل الثاني موجزا للحمايل والعائلات في البلدة ومؤسسات كل حامولة واصليها وشخصياتها مشتملا على رسومات توضيحية لشجرة العائلة وأجدادها الاوائل وامتداداتهم . جاء الفصل الثالث تحت عنوان القرية في الاربعينات متضمنا وصفا كاملا لوضع البلدة قبل تنفيذ المجزرة عام ١٩٤٨ وأسماء المواقع التي كانت تحيط بها من جميع الاتجاهات وذكر لمقامات البلدة والقصص التي تروى عنها، ووصفا للمواقع البارزة في دير ياسين . واستعرض الفصل ايضا حياة السكان الاقتصادية وطبيعة المزارع في البلدة وعملية تسويقها، متضمنا كل النشاطات الاقتصادية التي كانت قائمة قبل عملية التهجير، واشتمل الفصل ايضا على التعليم في

"مجنون هند" قصة  
وحكايات لناجي ظاهر

=====

صدر عن " منشورات  
الثقافة التقدمية" الناصرة  
بالاشتراك مع "دار المشرق"  
شفا عمرو كتاب " مجنون هند  
قصص وحكايات للكاتب ناجي  
ظاهر. وكان قد صدر للكاتب  
" اسفل الجبل واعلاه" و  
و"بحجم سماء المدينة" و  
"حدث في ذلك الشتاء" و  
" فراش ابيض كالثلج" و  
"الشمس فوق المدينة الكبيرة"

كتابتان عن منشورات  
"الجمال"

=====

صدر عن منشورات  
"الجمال" في المانيا الاتحادية  
كتابتان هما : " كتاب  
الطواسين" لابي المغيث  
الحسين بن منصور الحلاج  
وكتاب " الجنس عند العرب"

البلدة والظروف التي كانت تحيط به ووضع المدرسة وتطورها ،  
واختتم بوصف عام للوضع الصحي في البلدة والطب الشعبي  
المتعمل في حينه وأسماء الافراد الذين كانوا يقدمون هذا  
النوع من العلاج في البلدة .

اشتمل الفصل الرابع والاخير على الاحداث السياسية  
التي مرت بها البلدة وخاصة حروب عامي ١٩٣٦ و ١٩٤٨  
ستفرضا الاتجاهات السياسية والعلاقات العربية - اليهودية ،  
ودور الاهالي في ثورة ١٩٣٦ وأسماء الشهداء ، واستعرض  
الفصل ايضا قصة الدفاع عن البلدة عام ١٩٤٨ مفصلا احداث  
المذبحة التي تعرض لها الاهالي وظروف وقوعها وموثقا أسماء  
١٠٧ شهداء سقطوا فيها ، ويذكر الدكتور كناعنة في مقدمة  
الدراسة انه وصل ، نتيجة البحث ، الى قناعة تامة بأن عدد  
شهداء دير ياسين لم يزد عن ١٢٠ شهيدا وليس ٢٥٠ كما  
تذكر معظم المصادر وان العصابات التي ارتكبت المجزرة هي  
التي بالفت بالارقام بغية رمي الذعر في قلوب السكان  
اللسطينيين كي يهجروا قراهم ومدنهم دون مقاومة وأن  
العرب وقعوا فريسة هيئة لهذه الخطة وساعدوا مساعدة كبيرة  
في انجاحها .

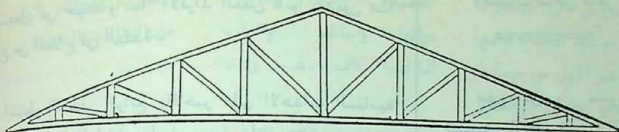
وتجدر الإشارة الى ان "دير ياسين" هي الرابعة في  
سلسلة " القرى الفلسطينية المدمرة " حيث صدر في السنة  
الناضية ثلاث دراسات مشابهة حول بلدة " عين حوض" قضاء  
حيفا و " مجدل عسقلان" قضاء غزة و"سلمة" قضاء يافا ،  
وتصدر هذه السلسلة عن مشروع " توثيق القرى الفلسطينية  
الدمرة" بشكل غير دوري وتوزع على اسرة الجامعة وأصدقاء  
مركز الابحاث .

و " المراهق" رواية عن  
سعي فتى شاب دلف الى  
معتك الحياة لتوه ، الى المثل  
العليا الاخلاقية ، وعن تأملاته  
حول معنى الحياة ، والحب ،  
والواجب الاجتماعي .

وصلت الى المكتبة الشعبية  
في الناصرة الترجمة العربية  
لرواية " المراهق" للكاتب  
الروسي الكبير دوستوفسكي  
ترجمها د. سامي الدروبي  
وراجعها د. ابو بكر يوسف .  
وتقع في مجلدين كبيرين .

"المراهق" رواية  
دوستوفسكي بالعربية





## مركز النهضة / الحكواتي برنامج حافل بالنشاطات

اصدر مركز النهضة - الحكواتي برنامجا شهريا لشهر نيسان ١٩٨٧ متضمنا العديد من النشاطات والفعاليات المسرحية والفنية والفلكلورية حيث سيرفع مسرح الشوك على مدار خمسة ايام المسرحية الغنائية " بنت الطحان " وذلك في عروض صباحية خاصة لطلبة المدارس . وتعود فرقة القدس للفنون والمسرح الفلسطيني لتقدم مسرحيتها " ضياع الهدف " في تمام السادسة من مساء يوم الخميس ٨٧/٤/١٦ ومن ثم يقدم الاتحاد العام للفن التعبيري باكورة اعماله في مهرجانه الربيعي الاول يوم الجمعة ٤/١٧ في تمام الثالثة بعد الظهر .

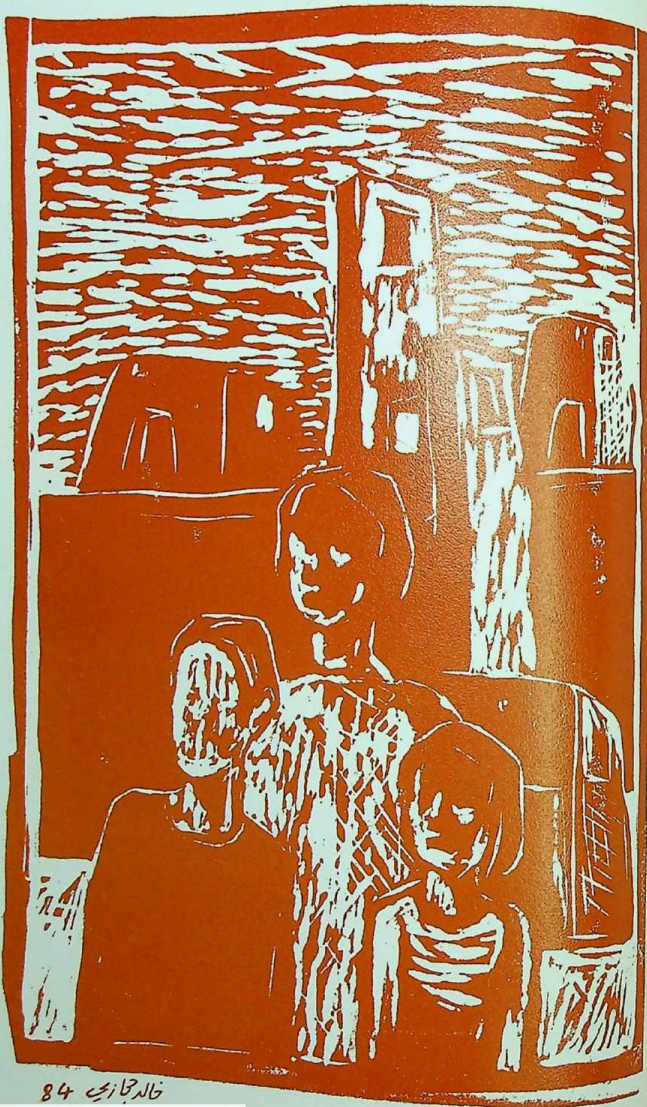
وتجني اللجنة الفنية للعمل التطوعي في القدس يوم السبت ٤/١٨ الساعة الرابعة امسية فنية يشارك فيها الثنائي امل مرقص ونزار زريق في مجموعة من الاغاني الوطنية

الملتزمة بالإضافة الى مقطوعات زجلية يقدمها الزجال الشعبي نائر البرغوثي وتلتقون يوم الاحد ١٩/٤/١٩٨٧ في السادسة والنصف مع فرقة سنابل الغنائية في جامعة بيرزيت ، حيث تستمعون للموشحات ولاغاني سيد درويش ومجموعة الاغاني الملتزمة .

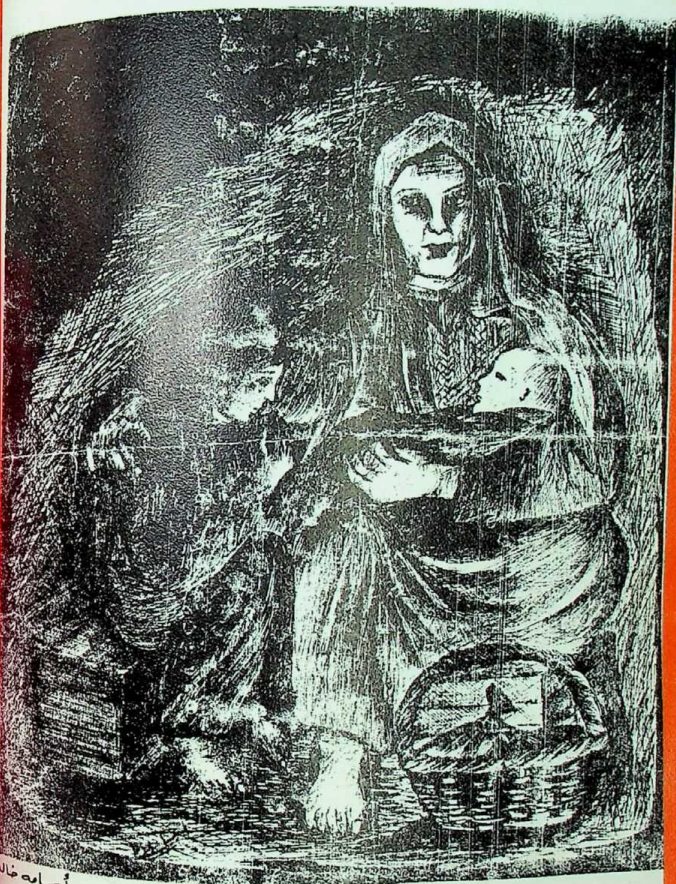
ويقدم المسرح الشعبي / سنابل يوم الثلاثاء ٨٧/٤/٢١ في الثانية عشرة ظهرا مسرحية "العرايبي" المستقاة من عيون الادب العالمي للكاتب ا. وليامز . وفي اليوم نفسه ستقوم مع فوزي السعدى ووفاء نفراوى في امسية نصراوية غنائية تبدأ في الساعة ونلتقي في الثانية والنصف بعد الظهر في مسرحية " اندروكليز " والمستقاة من اسطورة " اندروكليز والاسد " التاريخية ثم تقدم فرقة زهرة

المدائن المقدسية مهرجانا فلكلوريا جامعا يوم الجمعة ٢٤/٤/١٩٨٧ م في تمام الساعة الرابعة بعد الظهر وتلتقون مع هواة اعضاء في جمعية اصدقاء المجتمع في رام الله، شكلوا فرقة مسرح بلدنا في مسرحيات سوفياتية ذات الفصل الواحد الاولى بعنوان " ليلة في ليننغراد " والثانية بعنوان " روح البانورا " وذلك يومي السبت والاحد ٢٥ - ٢٦/٤/١٩٨٧ في تمام الساعة السادسة ومع اطلاق شهر رمضان المبارك، تلتقون مع مجموعة من الفنانين في سهرة غنائية بعنوان " غنوا معنا " يوم الاثنين ٢٧/٤/١٩٨٧ في السادسة مساء .

وادارة المركز على استعداد للاستماع لكافة ملاحظاتكم واستفساراتكم اذا ما اتصلتم على العنوان التالي تلفون ٢٨٨١٨٩ و ٢٨٠٩٥٧ ص . ب . ٢٠٤٦٢







أسماء خالدة

**AL-KATEB**

For human culture  
and progress

Editor- Axa'd Al-Axa'd

P.O.Box 20489

Jerusalem

84

**الكاتب**  
للثقافة الإنسانية والتقدم

31